فلسفة العشرين

الأشياء ليست دائمًا كما نراها

م. يحيى محمد العمري

2022

فلسفة العشرين

الأشياء ليست دائمًا كما نراها

م. يحيى محمد العمري

٢٠٢٢م

جميع الحقوق محفوظة ©

المؤلف: م. يحيى محمد سعد العمري.

اسم الكتاب: فلسفة العشرين.

نوع الكتاب: خواطر.

تصميم الغلاف والتصميم الداخلي: نقش للنشر

https://www.facebook.com/naqsh.pub

إيميل: naqsh.pub1@gmail.com

مراجعة وتنقيح: د. حمزة عبد الله الضياني.

الطبعة: الأولى ٢٠٢٣م

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية – صنعاء: ٨٠/ ٢٠٢٣م

لا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة المؤلف.

للتواصل مع المؤلف:

إيميل: alomri684@gmail.com

فيس بوك: www.facebook.com/yahyaalomri

الإهـــداء

إلى من كلماتهم ترافقني في كلّ خطوة، ودعاؤهم يسبقني في كلّ توجّه.. والديّ..

إلى من مساندتهم تحفّني، وإعجابهم يحفّزني، وتشجيعهم يجبرني على المواصلة.. إخوتي..

****

عن المؤلف

يحيى محمد سعد العُمري

كاتب ومهندس

ولد في اليمن عام ١٩٩٤م في محافظة ريمة-مديرية السلفية عزلة الأسلاف.. تعلّم الابتدائية في مدرسة الأمل، واصل تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة السلام –الأسلاف.. انتقل إلى المدينة تحديدًا إلى العاصمة صنعاء ليواصل مسيرته العلمية والعملية، فاختار تخصص الحاسوب.. تخرّج من كليّة الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات بجامعة صنعاء تخصص نظم معلومات للعام ٢٠١٨م. بدأ في كتابة أوّل مقالٍ له سنة ٢٠١٧م، وجد نفسه محبًا للكتابة، كتب بعدها العديد من المقالات والقصص القصيرة نُشِرَ البعض منها في بعض المواقع العربية.. كانت باكورة أعماله وأوّل أعماله المنشورة رواية سنة ٢٠١٩م تحت عنوان "اختطاف قلب".. شارك في كُتُب مجمّعة منها "في ظلال الحبر ٢" عن دار لوتس للنشر والتوزيع – مصر.. فاز بالمركز الأول في مسابقة اليوم العالمي للتطوع ٢٠١٨ الذي تنظمه الأمم المتحدة للمتطوعين-اليمن في مجال القصص القصيرة تحت عنوان (شباب القرية والتطوع).

عضو في بعض المنديات والمؤسسات الثقافية منها:

١. منتدى شعراء ريمه

٢. مؤسسة ابجديات التنموية الثقافية

٣. مؤسسة سماء للأدب والفنون

****

تساؤلات قبل البداية؛
لنجيب عنها في النهاية

هل للكلمة تأثير في حياتنا؟!

ما هو الأمل؟ وكيف نتمسّك به؟ وماذا ستكون النتائج عند فقدانه؟

هل كلّ ما نراه حقيقة أم وَهم؟ كيف نقيّم المواقف والأحداث لنحصل على النتائج الصحيحة؟

أيهما أولى؛ التعليم؟ أم التربية؟ أم الاثنان معًا؟!

لماذا يخرج الطالب من المدرسة يلعن معلّمه؟

ما هي السعادة؟ وكيف نحققها؟ وهل الجميع سعداء؟

لماذا نشيد بالآخرين ونترك أنفسنا؟ هل لا نستطيع؟ أم أنه ليست لدينا القدرة؟ ما الذي يمنع أن يشيد بناء الآخرون ويتفاخرون بنا؟

هل الحياة صعبة؟

هل الإنسان يتحكّم بالقانون؟ أم القانون يتحكم بالإنسان؟ من يتحكم بالآخر؟!

ما هي الحرية؟ وكيف نحققها؟ وهل كلّ ما يستطيع الإنسان فعله يفعله بداعي الحرية أم لا؟ ما العوائق والصعوبات التي تمنع الإنسان من ممارسة حريته بكامل إرادته؟

هل الخوف يقتل الإبداع؟ أم أن له مبرراته؟

كيف نغيّر؟ ومتى نتغيّر؟

أيهما أولى للإنسان؛ حاجياته؟ أم رغباته؟

هل يستطيع الإنسان التعايش مع رغباته فقط؟

متى يجب عليه تحقيق رغباته؟

وهل من السهل الوصول إلى رغبات الإنسان دون جهدٍ يبذل منه؟

وماذا سيكون إن استسلم كلّ شخص واجه صعوبةً في شيءٍ ما؟

لماذا نكرر الأخطاء إذا كانت الحياة تجارب ومواقف؟ ولماذا لا نتعلم من الآخرين؟ بل لماذا لا نتعلّم من أنفسنا أولًا لنتجنب الأخطاء في المستقبل؟

هل كلّ امرأة أنثى؟ أم العكس؟

لماذا يخاف الإنسان من الخوض في تجارب جديدة؟ وهل ذلك يمنعه من الفشل عند بداية تجربة جديدة؟

هل للتكنولوجيا فوائد في حياتنا؟ ولماذا نتّهمها بإفساد المجتمعات وتحويلهم إلى دُمى؟ من المتّهم بذلك؟ المستخدم للتكنولوجيا؟ أم التكنولوجيا نفسها؟

متى يتم تشجيع الطفل؟ ومتى يجب تحذيره؟

لماذا تحوّل الإعلام من أداة لتنوير العقل إلى أداة لتدميره والسيطرة عليه؟

لماذا يعُطل عقل الإنسان تعمدًا؟ ولصالح مَن؟ ومن هو المستفيد؟

لماذا وُجِدَ الإعلام؟ هل لنقل الحقيقة؟ أم له أهداف أخرى؟

هل ما يبث على قنوات التلفزة والإذاعات مِن باب المصادفة؟ أم أن هناك أشياء أخرى لا يعرفها المتلقّي؟

ما الذي يجب على الآباء فعله لتربية أبنائهم تربية صحيحة؟

متى يجب عليهم قول لا؟

لماذا يسعى الجميع للنجاح؟ وهل النجاح مبنيٌّ على فشل الآخرين؟ أم مساعدتهم؟

لماذا يصرّ البعض على فشل الآخرين ليثبت للآخرين أنه ناجح؟

****

المقدّمة

مَن منّا لا يقرأ؟! ومن منّا لا يعرف ويتابع ما يحدث في هذا العالم؟! أصبح اليوم معرفة ما يحدث في القطب الشمالي من أسهل الأمور؛ فقط عليك أن تمتلك جهازًا وتربطه بشبكة الإنترنت، أو تفتح جهاز التلفاز المعلّق على جدار منزلك لتعرف كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ تحدث في هذا العالم، ولكن هَل عندما نقرأ الأخبار ونشاهد الأحداث نفهم؟ وعندما نفهم؛ هل نحن نستوعب؟ وعندما نشاهد الأحداث المتتابعة على قنوات التلفزة؛ هل نعرف المغزى مِنها؟ وهل هي حقيقية أم مزيفة؟ وكيف نفرّق بينهما؟ ولماذا يشوّه الإعلام الأشخاص الآخرين؟ وهل هو بمحض الصدفة؟ ولماذا أصبح الإعلام اليوم سلبيًّا أكثر منه إيجابيًّا؟!

إنّ الأزمة التي يعاني منها العرب اليوم خاصّةً هي أزمة فِكر بالمقام الأول، وإن كثرت الأدوات يظلّ جميعها موجّهًا نحو العقل العربي الذي لم يعد يستطيع التفرقة بين واقعه وبين التزييف الذي يُمارَس عليه ليصدّق كلّ ما يسمع، ويؤمن بكلّ ما يشاهد.. أصبح البعض -إن لم يكن الأغلب- اليوم لا يفكّرون بعقولهم؛ بل بعقولِ غيرهم.

اليوم الأمة العربية تعاني الكثير مِن المشاكل التي يصعب حصرها.. ومع هذا؛ لو تمّ الاهتمام بالإنسان كبشرٍ له ما له وعليه ما عليه، وأعطي حقّه كاملًا بدون نقصانٍ، وحُفِظَت كرامته، وأمن على حياته وأسرتهِ لما رأيته يهاجر من بلدٍ إلى آخر بحثًا عن حياةٍ كريمةٍ كان يتمنّاها في بلده، ولما رأيت بلده تنهار وتتشتت وتتقسم، فالمواطن هو الأساس، فبلده هي من تحتاج له أكثر من أيّ بلدٍ آخر.. ومعَ ذلك؛ كيف له أن يظلّ فيها وهو لم يحصل على قوت يومه؟!

الإدراك متعبٌ ومُنهكٌ للعقل والجسم، يجعلك تقف خلف كلّ كلمةٍ لتعرف معناها، وخلف كلّ حدثٍ لتعرف ما وراءه، وخلف كلّ حديثٍ لتعرف المغزى منه، ولمن هو موّجه، ولماذا؟! الإدراك مرضٌ يصاب به معشر الباحثين عن الحقيقة والناظرين؛ ليس إلى الأحداث فقط، بل وما يقف خلفها.. ورغم كلّ ذلك؛ يصل الإنسان إلى مرحلةٍ ما لم يعد يغريه أي شيء، وكلّ ما يسمعه لا يلفت انتباهه.. لا أعرف ماذا يُسمّونَ من يصلون إلى هذه المرحلة، ولكن المؤكد أنه ليس كثير من يصلون إلى هذه الحالة.. يُصبح الإنسان متابعًا بصمتٍ، ويتحدّث بالتقسيط، يراه الآخرون شخصًا معدوم الحيلة؛ وكأن شيئًا منعه من التحدّث، ولكنّ الحقيقة ليست

كذلك، فعقله مشغولٌ بمعارك فكريّة وتساؤلات يريد أن يصل منها إلى نتيجة، فالإنسان خلق الله له عقلًا ليفكر ويسأل ويتساءل عن كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ تحدث، عن كلّ ما يسمعه ويشاهده؛ يضعه على أرض الواقع وهل هوَ حقيقي أم تزييف على وعيه وكذبًا على عقله.

البعض -للأسف الشديد- لديهم عقولٌ ولكنهم لا يفكّرون، ولو أتعب أحدهم عقله قليلًا لأصبح يرى الحقيقة؛ ليس نصفها بل كلّها.. وذلك فالإنسان بطبعه يحبّ التساؤل والبحث والاطلاع لمعرفة ما حدث، وما لم يحدث، لماذا هذا، ولماذا ذاك، ومعَ ذلك لا يقوم به الكثير من الأشخاص؛ بل القليل فقط من يفعل، وأقصد هنا التساؤل والبحث لمعرفة الحقيقة الضائعة، وإن وصل لها الإنسان فلا يعني أنّه وصل إلى كلّ شيء، فالله سبحانه تعالى يقول ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء – ٨٥]، ومن الغباءِ حقًا ألّا يستخدم الإنسان كلّ ما وهبه الله له ليتفكّر ويعرف الحقيقة ويعرف ما الذي ينفعه وما الذي يضرّه.

الأمّة العربية اليوم ليست بحاجةٍ للتباكي على الماضي وأطلاله؛ بل لبناء مجدٍ جديدٍ تفخر به الأجيال القادمة.. أمّا إن نظل نُمنّي أنفسنا بماضينا الجميل؛ فلن نخطو خطوةً واحدةً نحو إنجاز أيّ شيءٍ، فالماضي للتجربة وأخذ العِبَر مِن أجل تجنّب السيئ منه في المستقبل والحاضر.. لا ينقصنا سوى إيجاد العقل الذي يدير بالشكل الصحيح، الذي يستغلّ المواهب والإبداعات ليرعاها ويتبناها، فالأمة العربية ليست فقيرةَ المواهب؛ بل غنية، ولكن لم تَجِد حاضنًا لها.

****

البــدايـــة

لماذا هُم وليسَ نحن؟
الأوطان لا تُبنى بدونِ الإنسان

أتساءل دائمًا؛ ما الذي أوصل العرب إلى هذا المستوى من التأخير باللحاق بالأمم الأخرى؟! ما الذي جعلهم يتراجعون إلى الوراء في الكثير من المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية والثقافية؟! ولكنني أصل إلى نتيجةٍ مفادها أنّ الإنسان في البلدان العربية "مغيب"، بمعنى أن الإنسان لا يتمّ الاهتمام به، وليس له أيّ دور، فالوطن العربي يزخر بالعقول "العظيمة" التي لو تم استثمارها وتبنّيها والاهتمام بها لأنتجت وأصبحت تنافس الدول الأخرى.. لا نكذب على أنفسنا أنّ الدول العربية فقيرة، نعم يوجد البعض منها، ولكن ليس الكلّ، وبالمقابل هي غنيّة بالعقول إن تم استثمارها الاستثمار الأمثل، فبعض الدول العربية غنية جدًا بمواردها واقتصادها، وتستطيع أن تنفق على الدول الأخرى.. الأمر لا يتعلّق بالمال بقدر ما يتعلق بمن يديره، فالمال مهمّ لإحداث تغيير جذري في أيّ مجتمع في العالم، ولكن الأهم من يدير هذا المال، ومَن يتحكم به، وكيف يتم إنفاقه..

هل المال المهدر يذهب إلى الاتجاه الصحيح؟! لبناء الإنسان، لتعليمه، وإخراج جيل عربيّ مثقف وواعي لكلّ ما يدور حولهِ، يحب وطنه، ويعتزّ ويفخر بالانتماء إليه؟! للأسف "لا".. هناك دول عربية قليلة جدًا ربّما لا تتعدى أصابع اليد الواحدة يمكن الاحتذاء بها كنموذج عربي يفتخر بها في بناء الإنسان، سواء أكان سياسيًا أو ثقافيًا أو اجتماعيًا أو فكريًا أو أي مجال من المجالات الأخرى.

انعدام الرؤية والأفق الضيّق الذي تتمتع به الدول العربية لا يجعلها تتقدم شبرًا واحدًا، فكلّ ما هناك هو الرجوع إلى الخلف، وبشكلٍ متسارع، ومن المفترض أنّ العرب اليوم هم من يقودون العالم بسبب الموارد التي يتمتعون بها والعقول الموجودة فيها، ولكن اتّضح أن المال لا يقود.. واقعنا سيءٌ للأسف، ولكن تاريخنا حافلٌ بالإنجازات، ومعَ ذلك لا نظل نتغنّى بالماضي؛ بل يجب أن نعمل للمستقبل البعيد والحاضر الذي بين أيدينا، فجيل اليوم جيلٌ متعطّش للعمل والبناء إن أُتيحت له الفرصة لذلك. يجب ألّا نظلّ نعود إلى التاريخ في أيّ مصيبةٍ أو حدثٍ يحدث معنا في الوقت الحالي؛ بل نجد الحلول المناسبة لها مِن واقعنا؛ وليس من ماضينا، فالماضي كان زمانًا، والآن زمان آخر.. لا عيب أن نأخذ الدروس والعبر من الماضي ونعكسها على الواقع سواء أكانت إيجابيةً أم سلبية، والأهم أن نتعلم منها، نتعلم من السلبيات ونبني على الإيجابيات، فالماضي وُجِدَ للتعلّم وليس لإلقاء اللوم عليه في كلّ مصيبةٍ تحدث.. ولو أننا نتعلم من الماضي لما حدث معنا كلّ ما يحدث اليوم، ولأصبح العربي اليوم هو الرائد في جميع المجالات.. ومع ذلك؛ لا ألومه بقدر ما ألوم النخبة التي تديره، فالمواطن ليس بصاحب قرارٍ، ولكنه يستطيع التأثير على صاحب القرار، فالغرب اليوم لم يتواجد وكلّ شيء كان مجهزًا له كما هوَ اليوم؛ بل بنى مستقبله خطوةً خطوة، تعلّم من ماضيه، أخذ الدروس والعبر التي جعلته يتلافى ما حدث في الماضي، والذي كان يسمّيه عصر الظلمات، وهي القرون التي عاشوا خلالها حروبًا لم تُحمد عقباها، ومعَ ذلك؛ لم ينسوه، بل تعلّموا منه حتى يتجنبوه في المستقبل، وكما نراهم اليوم متحدّين مع بعضهم البعض.

فالتعلّم المستمر، ومواجهة التحدّيات والأحداث، وإيجاد الحلول المناسبة لها من الواقع يدلّ على أن هناك أشخاصًا يعملون ويبذلون ما بوسعهم لإسعاد مجتمعاتهم.. بينما في الشقّ الآخر؛ من يحمّل التاريخ أخطاء حاضره، فهذا من الغباء، وهذا -للأسف الشديد- ما نستطيع فعله، فالتاريخ لا يتحمّل شيئًا، من يتحمل الأخطاء هو من يدير اليوم بعقلية الماضي وليس بعقلية الحاضر.. لا عيبَ -كما قلتُ سابقًا- أن نتخذه للتجارب لنتعلم منه، وليس لنعلّق عليه شمّاعة الفشل الذي نتمتع به، ونتغنى أن تاريخنا كان جميلًا، أيّ جميلٍ هذا ونحنُ نعيشُ عيشةً لا أحد في العالم يتمنى أن يعيش ربعَ ما نعيشه؟!

العربيّ اليوم لا يريد شيئًا بقدر ما يريد وطنًا يفخر به، يعمل به، يؤمّن فيه حاجياته مِن مأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ، يعيش فيه حياته التي يريدها بدون أيّ منغصاتٍ تعيقه وتجعله يحسّ ويشعر أن هذا الوطن سيفديه بكلّ ما

يملك إن حصل له مكروه ما، يعمّق انتماءه إليه، فحالات الشرود اليوم في بعض المجتمعات العربية للمواطن لا يمكن لأيّ عقلٍ بشريٍّ أن يصدّقها! ما الذي جناه المواطن ليُكافأ بهذه المكافأة؟! نزوح جماعي من بلدانهم إلى البلدان الأخرى لإيجاد فرص العمل والعيش الذي كانوا يتمنونه ويبحثون عنه في بلدانهم، ولكنهم لم يلاقوه، فكان النزوح خيارهم الأخير.. وأنا أقولُ هُنا نُزُوحًا وليس هجرةً، فالهجرة تكون قليلةً مقارنةً بحالات النزوح، ولكنها لم تعد هجرةً؛ بل أصبح نزوحًا جماعيًّا، ولو توفرت الفرصة للأغلب لما ظلوا في بلدانهم دقيقةً واحدةً ولهاجروا إلى بلدانٍ تعطيهم وتؤمّن لهم ما يبحثون عنه، ولأصبحت بلدانهم خاويةً على عروشها..

قبل قرونٍ قليلة كان العلماء العرب وراء الكثير من الأشياء والاختراعات التي نشاهدها اليوم.. ويعود الفضل الكبير لهم؛ لأنّ الفكرة هي الأساس، وما يأتي بعدها ليس سواء هوامش.. لا أقول أنها سهلةً، ولكنها بسيطة نوعًا ما بعدما اتّضحت الرؤية في الفكرة.. أليس الطيران فكرة عبّاس بن فرناسٍ عندما حاول الطيران لأوّل مرّة؟! ومن ثمّ تلاحق العلماء والمكتشفون من بعده إلى أن وصلنا إلى هذا العصر؛ عصر الطائرات بكافّة أشكالها وأنواعها المدنية منها والعسكرية.. أليس الخوارزمي هو أوّل من وضع علم الجبر والرياضيات الذي أسّس لعصرٍ جديدٍ لم يكن في ذلك الوقت، ولكنه في المستقبل والحاضر الذي نعيشه، فالحواسيب اليوم تعمل على فكرة صفر وواحد، وهذه لم تأتِ عبثًا؛ بل بمجهودٍ قام به هذا العالم العربي، ولم يكن مبدعًا في هذا المجال فقط؛ بل في مجالاتٍ أخرى مثل الجغرافيا والتاريخ وعلم الفلك.. ابن سيناء هو الآخر برع في الطبّ، وهناك الكثير من العلماء العرب المسلمين الذين أثّروا الحياة البشرية، وساهموا في تقدّمها.. دائمًا ما تكون البداية صعبةً، وهذا ما فعله العلماء العرب، فالبداية كانت مِن جانبهم، ومن ثمّ جاء مَن جاء مِن بعدهم وواصل على ما عملوه حتى وصل كلّ شيءٍ إلى ما هو عليه اليوم.. من كان يتخيّل أن طائرةً تحمل مئات المسافرين تذهب بهم من دولة إلى أخرى بدون أن يحصل لهم شيء؟! بل ويعتبر الطيران اليوم آمَنْ رحلات السفر..

نحن اليوم كعرب وكمسلمين أصابنا الجمود، لم نعد نقدّم شيئًا رغم أنّ لدينا الإمكانيات والموهوبين، والمفكّرين، والعلماء، والمهندسين.. إذن أين تكمن المشكلة؟! وعندما ذكرتُ هؤلاء العلماء أنا هُنا لا أذكر التاريخ بقدر ما أريد أن أفتح مدارك وعقول البعض لفهم ما نستطيع فعله، ولست هُنا أذكّر نفسي بالتاريخ،

فأنا -كما ذكرتُ- أكره ذِكره، ولكن هؤلاء العلماء لا يمكن للتاريخ أن ينساهم، أو ينسى مساهماتهم، وأنا ذكرتهم على سبيل الفخر بهم وبإنجازاتهم الفردية التي توصلوا إليها.

هؤلاء العلماء لم يغيروا حاضرهم؛ بل حاضرنا ومستقبلنا أيضًا.. ربما لم يستفيدوا كثيرًا بما حققوه، ولكن النتائج لا تأتي مباشرةً، فها نحنُ نحصد نتائجهم في هذا العصر؛ عصر التكنولوجيا والآلات، عصر طائرات البوينج، عصر الكمبيوترات، عصر الإنسان الآلي، عصر السفن واليخوت السياحية، عصر كلّ شيءٍ غير متوقع، فالأمر يحتاج إلى عزيمةٍ وثقةٍ ومعرفةٍ ويقينٍ أنّ الآخرين ليسوا أفضل مِنّا، فقط يجب أن يُترَك المجال للعقل العربي ليفكّر ويعمل بدون أن ينشغل بأموره الشخصية من غذاء ومأكل ومأوى.. وللأسف هذا ما يريده المواطن العربي اليوم في ظلّ واقعٍ لا يريد فيه أيّ شيءٍ بقدر ما يريد أن يعيش ويأمن أسرته وأولاده ويبحث لهم عن مأكلٍ ومشربٍ ومأوى، فعقله مُعطّلٌ عن التفكير؛ فقط يبحث عن حاجياته خصوصًا من التهمت بلدانهم الحروب والأمراض والأزمات التي لا تنفكّ، فالغرب عمل واجتهد علماؤه وأخذوا وتعلّموا العلوم من العلماء العرب والمسلمين، ولقد كان البعض منهم تلاميذًا لدى أولئك العلماء الذين ضاع صيتهم في ذلك الزمان، وما زال إلى اليوم..

إذن ماذا علينا اليوم لنحقق شيئًا نفخر به أمام العالم؟!

أولًا: تأمين الإنسان، وتوفير الاحتياجات الضرورية والأساسية له.. ثانيًا: الاهتمام بالإنسان فكرًا وجسدًا وتعليمًا وتأهيلًا وتثقيفًا.. إنّ التعليم يعدّ أحد الأسباب الرئيسية لتقدّم الشعوب وازدهارها، فبناء الإنسان يبدأ من تعليمه التعليم الصحيح وتعليمه وتوجيهه التوجيه الذي يجعله يبدع ويفكر ويحاور ويناقش ويكون حُرًّا في اختياراته وقراراته، ولا يأتي أحد ليقوده إلى الهاوية، لا ينصاع إلّا لما يراه منطقيًا وصائبًا، ولا يجري خلف التفاهات التي تحدث اليوم والتي تعطّل العقل البشري وتجعله خارج نطاق التغطية.. وهذا لا يأتي إلا قبل تحقيق شرطٍ واحدٍ، وهو -كما ذكرتُ- تأمين المأكل والمشرب والملبس والمأمن للإنسان.. وإن لم تتوفّر هذه الحاجات فلن يفكّر الإنسان خارج إطار هذه الأشياء؛ لأنه يظلّ يبحث عنها، لأنها هي من ستبقيه على قيد الحياة وليس تفكيره أو إبداعه الذي لا يقدم ولا يؤخّر بنظره، وربما لن يرى النور أبدًا، فالعرب لم يكونوا مُتأخرين يومًا، نحنُ من تنحينا عن زمام المبادرة لنعطيها للآخرين، وإلّا كُنّا في المقدمة في جميع المجالات، وهذا لم يحدث إلا منذُ قرونٍ قليلة، فالأندلس ما زالت تشهد على الحضارة الإسلامية إلى اليوم.

العقل العربي ليس ضعيفًا مقارنةً مع العقل الغربي، ولكنه لا يستطيع التفكير بشيءٍ لا يستطيع تحقيقه؛ خصوصًا إن لم يستطِع تحقيق أو تأمين احتياجاته الأساسية من مأكل ومشرب ومأوى، فالأمر يبدأ من حرّية العقل في التفكير، ولكنني هُنا لا أعتقد أنّ العربي اليومَ مُقَيّدٌ في تفكيره بقدر ما هو مقيّدٌ باحتياجاته الأساسية، فإن تحقق ما يحتاج إليه سيفكّر ويبدع وسينافس الآخرين، فالغرب لم يتفوّق علينا، ليس لأنّا لم نكن نستطيع، بل لأنّنا نحنُ فسحنا لهم المجال ليتقدّموا علينا، والسبب الرئيسي يعود إلى أنّا دمّرنا الإنسان بكلّ ما تعنيه الكلمة مِن معنى، والواقع اليوم خير شاهد.. صحيح أنّهم بذلوا مجهودًا وحققوا إنجازاتٍ للوصول إلى ما هم عليه، ولكن هذا لا يعني أنّنا أغبياء؛ بل لأنّنا تركناهم يأخذون زمام المبادرة، والتاريخ شاهدٌ على ذلك، فكلّ العلوم اليوم كانت فكرتها مِن العلماء العرب.. وهذ ليس تقليلًا من مجهودات الآخرين؛ بل يجب أن نعطي لكلّ شخصٍ حقّه، فمن الظلم أن ننسب شيئًا لغير صاحبه، وفي هذا الصدد لا أبرئ الغرب ما وصل إليه الحال العربي اليوم مِن تشتتٍ وتشرذمٍ وانقسام، وإن كنتُ لا أحمّلهم المسؤولية كاملةً؛ بل جزءًا مِنها، فمن يتحمل المسؤولية كاملةً هو نحن؛ لأننا لم نحافظ على بلداننا بالشكل المطلوب، ولكننا نتآمر عليها وندمرها بالشكل الأمثل.. وهُنا لا أؤمن بنظرية المؤامرة بقدر ما أرى أنّنا أفسحنا المجال للآخرين ليعيثوا فينا فسادًا وقتلًا وتدميرًا وتشريدًا في بلداننا العربية، فلا أحد سيأتي إلى بلدك إذا كنتَ غيرَ راضٍ عن ذلك، فنحن بقصدٍ أو بدون قصدٍ، بحسنِ نيةٍ أو غباءٍ استدعينا الآخرين، وأصبحنا نتباكى فيما بعد وكأننا لم نكن نعلم العواقب على ذلك، وهنا جهلًا وغباءً في آنٍ واحد؛ جهلٌ لأنك لا تعرف ما أنت مُقدمٌ عليه، وغباء لأنك تعرف ذلك وتصرّ على ارتكابها رغم معرفتك أنّه ليس شخصًا معينًا سيتضرر، ولكن الجميع.. وبعد ذلك لم ينفع الندم يومًا، فكيف له أن ينفع هذه المرة؟!

في الغرب يتم تشجيع العقول المبدعة وإعطائهم كلّ ما يحلمون به لمواصلة أفكارهم واختراعاتهم، بينما العربي تموت فكرته في عقله قبل أن يكمل تفكيره به؛ لأنه يعرف أنه ليس هناك إمكانيات متاحة ليكمل ما بدأه، وليس هُناك تشجيعٌ أو دعم لفكرته، ولا يستطيع أحدٌ أن يدعمه أو أن يتبنّى إنجازه.. العقل العربي ليس غبيًا، ولكن ليس هناك مَن يدعمه أو يتبنّى أفكاره.. وعندما لا يجد المواطن العربي قبولًا لفكرته وتبنيًا لها يفكّر بالخروج مِن وطنه والهجرة إلى بلاد الغرب.. وهناك يلقى الدعم الذي يحتاجه لمواصلة العمل على فكرته، ولنا مِن خلال هذا شواهد كثيرة لعقولٍ عربيةٍ لم تلقَ دعمًا في أوطانها ونجحت في بلاد الهجرة، وهذا يؤكد لنا أنّ

الخلل ليس في العقل العربي؛ فالعقل العربي قادر ويستطيع، ولكن لا أحد يشجّعه ويتبنى فكرته ويحتضن إبداعه، فالمواطن -ليس العربي فقط- عندما يجد من يدعمه ويشجّعه ويتبنى فكرته سيذهب له؛ خصوصًا لأنها تمثّل له حلمًا قابلًا للتنفيذِ إذا وجد الدعم اللازم.. وعندما تطبّق الفكرة وتصل إلى النتائج النهائية والتنفيذ النهائي تعود فائدتها ليس على من اخترعها أو ابتكرها فقط؛ بل حتى على الدولة نفسها، فهي تستفيد بذلك، يكفي أنّ هذه الفكرة ولدت باسم هذه الدولة وهذا الشخص يحمل اسمها وجنسيتها.. ولا يقف الأمر هنا؛ فالمشاريع الكبيرة تحصد الكثير من الأموال، ويكون للدولة نصيب منها، فالعالم العربي اليوم أصبح مستهلكًا أكثر مما هو منتج، فأغلب ما يستهلكه العرب اليوم يأتي من الغرب.. وهُنا أكرّر لا يعني هذا أنّنا لا نستطيع عمل ذلك، نحنُ نستطيع وأكثر، ولكن الإمكانيات غير متاحة، فالفساد هو المتاح، وإهدار الأموال في غير فائدة، والسبب يعود إلى من يدير؛ بدل أن يقوم بفتح مصانع للإنتاج والتدوير وإنشاء الشركات أصبح يشتكي من الفساد رغم أنّ لديه السلطة لينهيه أو حتى يخفف منه، ولكن البعض امتهن الكلام على القيام بعمله.. فسادٌ بمليارات الدوارات، لو اسُتفِيدَ منها لفتحتَ مصنعًا، ووظفتَ عاطلًا، وأنقذت نفسًا من الجوع، ولكن العقل هو الفاسد.. لا تحدثني كم الفساد؛ بل قُل لي ما الذي فعلته حتى تستطيع القضاء عليه؟ وأين وصلت في ذلك؟ وأين النتائج؟ أما أن تحدّثني؛ فقد مللنا حديثًا لا فائدة منه.. إنّ العقل العربي المسؤول عن الآخرين يشتكي أكثر مما يعمل، ولو عمل لحقق نتائج مبهرة، ولكنه يرى أنّ الكلام أقرب الطرق إلى قلوب الناس، فصار يسرق ملايين الدولارات ثمّ يخرج يتحدث عن الفساد وهو الفساد بعينه، يتحدث عن توقّف التنمية وهو السبب في ذلك.. والمشكلة لا تكمن هُنا؛ المشكلة الكبرى أنّك تجد أشخاصًا يُصدّقون ذلك، وبهذا عَرَفَ كيف يضرب على الوتر الحساس ليستعطف الناس ويضمّهم إلى صفّه ويؤيدوه في كلّ ما يقوم به، يخبرهم عن الفاسد الخفيّ، وهو الفاسد بعينه، ويراه الجميع في الشاشات وعلى مدار اليوم..

في الغرب يُحاكَم المسؤول علنًا وعلى الهواء، ويستطيع أيّ مواطنٍ أن يسأل لماذا فعل هذا أو ذاك.. وليس هذا فحسب؛ بل على أبسط الأشياء التي لا تتوقعها، والبعض منهم يحترم نفسه كثيرًا ويقدّم استقالته عندما يعرف أنه أخطأ ولو كان الخطأ بسيطًا، بينما في العالم العربي لا يُوجد، بل وأكبر من ذلكَ؛ قد يُسجن من أجل الآلاف من الدولاراتِ بينما في العالم العربي المليارات تذهب وتُسرق ولا أحد يسأل عنها إلى أين ذهبت.. هُم يعملون بضميرٍ وصدقٍ، ويعرفون أنّ ما وصل إليه الفرد من مناصب ليست من أجل أن يمارس الأقصاء والتبعية

ويأخذ حق الآخرين، أو أن يشتري سيارةً جديدةً ومنزلًا جديدًا؛ بل مِن أجل أن يخدم الناس الذين وثقوا به وأوصلوه إلى ذلك المنصب، فأصبح لا ينظر إلى نفسه؛ بل يقدّم الآخرين عليه؛ لأنه يعرف أنه وُجِدَ في هذا المكان من أجلهم، ولا يفكّر بشيءٍ خارج الإطار الذي يتضمن مساعدة الآخرين والرفع من مستواهم التعليمي والاجتماعي والثقافي؛ لأنه يعرف أنّ المكان الذي وُضِعَ فيه مسؤولية سيؤديها كما أُمِرَ بها، وألّا يتركها لشخصٍ آخر يستطيع تنفيذ المسؤوليات المُلقاة عليه.. هُنا عندما يصلّ أيّ مسؤولٍ إلى السلطةِ حَدِّث ولا حَرج.. يتغيّر تعامله مع الآخرين وكأنه لا يعرف أحدًا، وكأن هذا المنصب وُجِدَ له، وورثه من عائلته.. وقبل ذلك؛ كُنتَ تراه يتعهّد بأنه سيسهر ويعمل من أجل المواطنين المظلومين إذا مسك المنصب، ولكنه ما إن يصل إلى ذلك المكان الذي أراده حتى يبدو وكأنه وُلِدَ في تلك الثانية، فلا يعود يعرف أحدًا، وينسى الوعود التي قطعها وأقسم عليها، فتراه يأخذ حقّ هذا، ويسرق حقّ ذاك، ويخصم من هذا، ويظلم هذا، ويعاقب ذاك.. تسأل نفسك أين ذهبت وعوده؟! ولكنك تنسى النقطة المهمّة التي أوصلته إلى هُنا، وهي أن تلك المطالب اتخذها سُلّمًا للوصول إلى ما يريد، فأصبح يعمل بلا ضميرٍ وبلا أخلاقٍ.. الأمر لا يستحقّ المقارنة بين المسؤول العربي والغربي، فهم وُجِدُوا من أجل المواطن؛ بينما هُنا وُجِدُوا من أجل سحق المواطن.. يستقيل المسؤول في الغرب لمجرّد شبهةِ فسادٍ فقط، بينما هُنا ملفات ودلائل ووثائق وكلّ شيء يثبت على ذلك، وهو يعترف بذلك، ولا يزال مرتاح الضميرِ وكأنّ شيئًا لم يَكُن، ومن غبائه يعتقد أنّ ما يمارسه لن يؤثر عليه.. صحيحٌ هو لن يؤثر عليه، ولكنّه سيؤثر على أُناسٍ آخرين..

نحنُ لسنا فقراء، فالوطن العربي يزخر بثرواتٍ تفوق ما يتمتع به الغرب بعشراتِ المرات، ولكن للأسفِ هذه الثروات لم يستفِد منها العربيّ الذي يتواجد في هذه الأرض، ولو استثمرت هذه الثروات من أجله لأصبح له شأن، فالأموال والإمكانيات موجودة لدينا، ولكن المشكلة تكمن فيمن يديرها، فكلّ شيءٍ موجودٌ، الأمر فقط يحتاج إلى شخصٍ ينمّي ويبني ويشجع الإنسان ليستفزّ عقله ويخرج كلّ ما لديه.. ونحنُ أيضًا كعربٍ يوجد لدينا الغرور، وهو الشعور بأننا نستطيع عمل أيّ شيء.. لا عيب في ذلك، وأنا لا أمانع شخصيًا إذا كان ذلك حقيقةً، المشكلة الكبرى أنّ كلّ ذلك لم يحدث، فنحنُ نغترّ بلا شيءٍ، وليس لدينا شيءٌ لنقدمه للعالم، فالشخص عندما يفتخر يجب أن يعرف ماذا قدّم للبشرية وماذا استفاد الآخرون منه، أما أن تغترّ بلا شيءٍ فهذا غباء.. نحن لم ننتج يومًا شيئًا مُفيدًا لنصدّره للعالم؛ بل العالم يصدّر كلّ شيءٍ إلينا، ونحنُ نستهلك

فحسب، هم يتقدّمون في الكثير من المجالات ونحن نتأخر.. العالم اليوم لم يعد يتنافس على الأرض فقط؛ بل نقل تنافسه إلى الفضاءِ ومن يحتلّه أولًا.. الغرب لم يتقدموا بدون أسبابٍ، فلقد كان الإنسان في المقدمة، احترموه، ووضعوا له الاعتبارات، آمنوا به وبما يستطيع فعله، وجعلوه الأساس، فلا أوطان تُبنى بدون الإنسان..

****

الحرّية
هَل كُل ما نستطيع القيام به نفعله بداعي الحرية؟

هناك ضوابط وقواعد تحكم الحرية التي أُعطيت للفرد سواء في القوانين التي تضعها الدول لمجتمعاتها أو حتى القرآن الكريم الذي ينظّم حياة الفرد المسلم، ففي القرآن الكريم هناك أشياء محرمة وهناك أشياء مباحة، وليس هذا معناه أن تفعل الأشياء المحرّمة وتدّعي أنك حر، فالإسلام هو أوّل من وضع مبادئ الحرّية، فقد خلق الله الإنسان حُرًا، والإسلام جاء ليضمن حرية الناس.. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).. ومعَ هذا؛ هناك ضوابط تنظم الحرية التي أُعطيت للفرد، فليس معناه أنك حرّ أن تقوم بأعمال تؤذي الآخرين أو تستبيح كرامتهم، فهُنا لا تُسمّى حرية بل طُغيان على الآخرين، فالحرية أن تعرف حُرّية الآخرين ولا تتعداها كما تعرف حدود حريتك، وليس أن تضيّق على الآخرين وتحاول استعبادهم وتحاول ادّعاء الحرية، فالإسلام حرّر الإنسان وجعله حُرًا في اتخاذ قراراته، ولم يجبره على أيّ فعلٍ؛ بل جعل كلّ شيءٍ مردودًا إليه، وكما قال تعالى ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف – ٢٩].. في هذه الآية وضع الإسلام أعلى درجات الحرية للفرد في الاختيار واتخاذ القرار، وجعلها حقًا من حقوقه الطبيعية التي كفلها له، فالإسلام جاء ليحرر الإنسان من العبودية للغير، وكان قبل وجوده يستعبد الإنسان بني جنسه، فأوّل ما حاربه الإسلام هو العبودية وتحرير الإنسان دينيا وسياسيًا وفكريا، وبهذا وضع الإسلام أهمّ القواعد التي تسير بها حياة الناس؛ وهي الحرية، حتى صار الإسلام نموذجًا يُحتذى به.. ولم تكن هذه

الآية محصورةً على المسلمين؛ بل وغير المسلمين، والله سبحانه لم يحدّد مسلمًا أو غير مسلمٍ عندما قال ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف – ٢٩]، فقد جعل للإنسان حرية الاختيار بين الإيمان والكفر، ولكن هناك ضوابط وقواعد لاختياره هذا؛ فهناك جنّة ونار.

ومهما وصلت الحرية بالإنسان؛ هناك قواعد وضوابط تنظّمها، ومن ضمنها ألّا تحدثَ أضرارًا بالآخرين أو أن تؤذيهم، فالإنسان الحرّ لا يطلب الحرّية له وحده، ويمارس العبودية على الآخرين؛ بل يطالب بالحرية للآخرين قبل أن يطالب بها لنفسه، فالحرية يجب أن تكون في إطارٍ مُعيّنٍ وقواعد تنظمها وعقلٍ يفهمها ويستوعبها، وليس مَن قال إنه حرٌّ يُمارس ما يحلو له من أعمالٍ لا تمتّ للإسلام بصلة.. بالإضافة إلى أنّ هُناك عادات مجتمعية مهما ادّعى الإنسان أنه حرّ فهي تقيّد حريته، وهذا لا يعني أنها تمنعه من ممارسة حياته بقدر ما تصوّب حياته نحو الاتجاه الصحيح، فالإنسان حرٌّ في حياته، ولا أحد له دخلٌ فيما يتّخذه من قراراتٍ، وليس مجبرًا على فعل شيءٍ لا يقتنع به، فالإنسان ملك خياراته، ولكن في كلّ خيارٍ يتّخذه يجب أن يتذكر أن هناك ثوابٌ وعقابٌ؛ فإن فعل خيرًا سيكافأ عليه، وإن فعل شرًا سيُجزى به..

الإسلام لم يمنع الإنسان مِن شيءٍ إلّا ليحافظ عليه، فمنع عنه شرب الخمر ليحافظ على عقله سليمًا، فمن المعروف أنّ الخمر يُذهِبُ العقل عند شربه، ولذا فالإسلام حرّمه حفاظًا على العقل وسلامته، فهو يمثّل أهمّ عضوٍ في جسم الإنسان، ولو ذهب عقل الإنسان فلا فائدة منه.. ومنع عنه العلاقات خارج إطار الزواج؛ ليحافظ على المجتمع وتماسكه من التشتت والانفلات الأخلاقي وانتشار الفاحشة، فالإسلام جعل للعلاقات الاجتماعية والزواج طُرُقًا رسميةً وشرعية، وليس مجرد غرائز متى ما أتت للإنسان فعل فعلته وذهبَ لا يأبه بالعواقب، فعندما نشاهد ما يحدث في المجتمعات الغربية نحمدُ الله كثيرًا على الإسلام، فقد نجد أطفالًا لا يعرفون أباءهم تمتلئ بهم دور الأيتام، وإن فكّر الإنسان المنتمي للدين الإسلامي في ارتكاب شيء يخالف دينه سواء بقصدٍ أو بغير قصدٍ؛ فهناك قواعد وإجراءات يجب اتخاذها بحقّه، ولو ترك الأمر بدون وجود القواعد التي تنظم حياة المسلمين لما رأيتَ المجتمعات المسلمة بهذا التماسكِ -بالرغم من أن هناك بعض الممارسات التي يقوم بها البعض لتشويه الدين الإسلامي، ولكنها حالات قليلة- ولوجدتَ الفساد الأخلاقي مستشريًا، والظلم مسيطرًا؛ فالإسلام لم يمنع شيئًا إلا وكان هناك شيءٌ من ورائه وفائدة عظيمة منه وليس مجرّد منع، وكلّما نظرنا إلى كلّ ما منعه الإسلام وجدنا أن هناك فائدة خلفه ومنفعة وراءه، ولو كان خيرًا للإنسان لأباحه

له ولم يمنعه عنه.. وحرية الإنسان لا يجب أن تتعدّى حدود الأدب، فيجب أن يكون محافظًا على قيمه ومبادئه، ومهما وصلت بالإنسان الحرية أو ادّعى ذلك لا يجب أن تكون محلّ ضرر للآخرين أو انتقاصٍ منهم أو تضييقٍ لهم أو استعبادٍ لهم، فأوّل مبادئ الحرية هو أن تبحث عن الحرية للآخرين قبل أن تبحثها لنفسك..

وتختلف الحريات من مجتمعٍ إلى آخر، فليس كلّ ما هو موجودٌ في مجتمعٍ قد يصلح أو يجوز لمجتمعٍ آخر، فالمجتمعات الإسلامية تختلف كثيرًا عن المجتمعات الغربية؛ فهناك ضوابط وقواعد وضعها الإسلام يلتزم بها كلّ من ينتمي إليه.. ليس عيبًا أن تبحث عن الحرّية وتنادي بها، ولكن في الحدود التي أنت مُلزَمٌ بها من قبل عاداتك وتقاليدك ودينك ومجتمعك الذي تنتمي إليه.. حتى على مستوى الدول؛ الحريات تختلف من دولةٍ إلى أخرى، وهذا لا يعني أنّ هناك دولًا تمنع الحريات عن مواطنيها، يوجد دول تفعل ذلك، ولو نظرت إلى الأسباب لذلك ستجد مئة سبب.. المجتمعات العربية تطالب بالحرية ولم تعرف أنّ ما تطالب به ما هي إلا حقوقها وليست حرّيةً، فعندما تطالب بالعيش الكريم واحترام وتقبّل الرأي والرأي الآخر واحترام وتقديس القوانين والالتزام بها وتطبيقها التطبيق الكامل؛ فهذه ليست حريةً بقدر ما تكون حقوقًا وجب على من يكون مسؤولًا على المجتمع أن يوفّرها لك، وهذا ليس تفضلًا منه؛ بل هو واجبٌ عليه، فكلّ مجتمعٍ يختلف عن الآخر في عاداته وتقاليده، وليس من العيب أن يطالب الإنسان بأن يكون لديه ما هو موجودٌ في المجتمعات الأخرى حسب ما تقتضيه تقاليده وقوانين بلاده التي يعيش فيها، فالمنطق يقول أنّ لكلّ مجتمعٍ تقاليد وعادات، وهذه العادات والتقاليد يحكمها الدين الذي يؤمن به أبناء هذا المجتمع، فالدين لديه قواعد يتبعها كلّ من ينتمي إليه، فما تجده مباحًا في المجتمعات الغربية تجده محرّمًا في الإسلام، وهذا المنع ليس لتقييد حرّية من يؤمنون بهذا الدين؛ بل حفاظًا عليهم..

فثقافة المجتمعات تختلف عن بعضها البعض.. ويمثل الانفتاح إحدى الثقافات التي توجد في المجتمعات، فالانفتاح يعتمد على عادات وتقاليد المجتمع، فليس من المعقول أن يطالب مجتمعٌ مُسلمٌ بما هو موجود في البلدان الغربية.. وعلى سبيل المثال: زواج الرجل من رجلٍ آخر، فهذا لا يصدقه عقل ولا منطق، ولا يمكن أن يطالب به رجل مسلم.. وهذا مثال بسيط على التخلّف العقلي الذي وصل إليه الغرب، فالله -سبحانه وتعالى- خلق بني آدم من ذكرٍ وأنثى، والأمر يختلف كثيرًا من الناحية الدينية والثقافية والاجتماعية، بالإضافة إلى العادات والتقاليد التي تحكم هذه المجتمعات، فالبعض -للأسفِ الشديد- يفهم أنّ الانفتاح يعني

(العُري) بالنسبة للمرأة، وهذا تفكيرٌ خاطئ، فالانفتاح ليس مقتصرًا على المرأة كما يفهمه البعض، فالدين الإسلامي أعطاها جميع الحقوق التي تبحث عنها.. الانفتاح هو أن تقرأ للآخرين، وتعرف ثقافاتهم، وتأخذ منها الإيجابيّ وتنقلها إلى مجتمعك، ليس شرطًا أن تأخذ كلّ ما تقرأ، أو كلّ ما تشاهده إذا ما سنحت لك الفرصة في الذهاب إلى تلك البلدان، ولكنني أقصد هُنا من الناحية الإيجابية؛ أن تأخذ ما هو إيجابيّ، وتترك ما هو سلبيّ.. ومن الغباء أن نقاطع الآخرين فكريًا وثقافيًا بمجرّد أننا نختلف معهم، فالإنسان لديه عقلٌ يفكّر به، ويحلّل ويعرف الصحيح والخطأ والمنطقي واللامعقول.. ومن هنا وجب عليه التعرّف على جميع الثقافات الموجودة على هذه الأرضِ إن هو استطاع ذلك، ولا يقول في قرارة نفسه -كما سمعتُ ذات مرّةٍ من أحد الأشخاص في إحدى وسائل المواصلاتِ وأنا ذاهبٌ إلى الجامعة- أنه لا يجوز أن تقرأ لفلان بن فلان.. وحين سألته "لماذا؟" أجابني: "لأنه يؤيّد فكرةً ما" بينما هذا الشخص يرفضها، وهذ هو الغباء بعينه.. والشخص الذي رفض أن يقرأ له مفكّر وداعية إسلامي.. وفي هذ الصدد أقول: "ليس عليكَ أن تأخذ كلّ شيءٍ، خُذ ما يفيدك واترك الباقي.. وليس شرطًا أن تتقبّل كلّ ما يقوله.. ومن الجيد أن تلقى شخصًا يختلف معك فكريًا لتعرف منه وجهة نظره المعارضة لك؛ لا أن تقاطعه"..

ويجب أن نقرأ للجميع؛ للسياسي والفيلسوف والداعية والمفكر، ولا يجب أن نحصر أنفسنا في زاويةٍ معيّنةٍ أو فكرٍ أو اتجاهٍ واحدٍ، بينما المنطق يقول إنه لا يجب أن تقتنع بكلّ ما يقوله إلا إذا كان صوابًا.. خُذ ما تراه أنت مناسبًا لك وما يتناسب مع طبيعة مجتمعك وعاداتك وتقاليدك، واترك الباقي، فلست مُجبرًا على ذلك، فكلّ شخص هو حرّ بأفكاره وثقافته، وليس على أحدٍ سلطة على أحدٍ آخر، فالإنسان وُلِدَ حُرًّا..

كلّ شيءٍ له قواعد وإجراءات يلتزم بها الشخص المعنيّ بها، فالإنسان في عمله محكومٌ بقواعد وضوابط وإجراءات، فليس من المعقول أن يخالف القوانين المتّبعة في العمل بداعي أنه حرّ.. وكلّ مجتمعٍ له قواعد وضوابط تحكمه وتنظم شؤونه، فاستخدام الحرية ليست ما يجعلك تعتقد أنّ بمقدورك أن تفعل كلّ شيءٍ، بالإضافة إلى الإضرار بنفسك أولًا.. قد تعرف ذلك وربما قد لا تعرف؛ لأنك وحسب تفكيرك تمارس الحرّية.. كمثال بسيطٍ: قام شخصٌ بمخالفةٍ بسيطةٍ في عملهِ مُدّعيًا بذلك أنه يمارس الحرية وأنّه حرٌّ فيما يفعله.. وفي نفس الوقت تمّ فصله وطرده من العمل.. وعلى سبيل الفكاهة؛ بإمكانه أن يتواصل بحرّيته من أجل إرجاعه إلى عمله أو البحث له عن عملٍ آخر بعد أن أودت به في ستين داهية!

ومثالٌ آخر على إضرار الإنسان بنفسه مُدّعيًا أنه يمارس الحرية: أحدهم كان بجانبه سكّين، فأخذه وبدأ يقطع يده، أو أن يتمدّد على خطٍ سريعٍ فتأتي شاحنة كبيرة لتدهسه؛ مُدّعيًا أنه يمارس طقوس الحرية! يجب على الإنسان أن يوازن بين حرّيته وبين الأشياء الأخرى، فليس كلّ ما يفكر به يستطيع فعله مدّعيًا أنه يمارس حقًّا من حقوقه.. نعم؛ هي حقٌّ من حقوقه، ولا أنكر ذلك، ولكن بالقدر الذي لا يضرّ نفسه أو الآخرين، فمن يطالب بالحرّيةِ من أجل أن يكون الآخرون عبيدًا له فهذا عبدٌ في الأساس، فالحرّ لن يرضى أو يقبل أن يكون حرًا إلّا إذا تحرّر الآخرون..

****

القانون والإنسان
من يتحكم بالآخر؟!

الإنسان منذُ قديم الأزل تحكمه القوانين، فإن ضاعت القوانين ولم تطبّق أصبح الإنسان بلا قانونٍ وأصبح باستطاعته عمل كلّ ما يحلو له من أشياء محرّمة.. إنّ القوانين تنظّم حياة البشر، ولو لم تُوضع القوانين لأصبحت الحياة بلا معنى، ولتحوّلت الأرض إلى غابةٍ بشريّة..

أحيانًا الضمير والإنسانية اللذين يجب أن يوجدا في الإنسان قد لا يوجَدا فيهِ، فيرتكب أعمالًا ما أنزل الله بها من سلطان.. ولكن عندما يعرف أنّ هناك عقابًا ينتظره وجزاءً سيحلّ عليهِ إن أخطأ؛ فلن يفكّر بذلك.. في الأغلب الإنسان لا يفكر بما سيحدث من ضررٍ أو أذيةٍ للآخرين بقدر ما يفكّر بالضرر الذي سيحلّ به هو جرّاء ذلك.. ولو لم توجد القوانين والقواعد التي تنظم الحياة العامة بين البشرِ؛ لاستباح الإنسان بني جلده بغروره وعنجهيته وكأن الله خلقه ليكون وكيلًا له على باقي خلقه، وحاشا الله أن يفعل ذلك؛ بل هو أرحم بعباده من أنفسهم.. فخوفه من العقاب الذي ينتظره يمنعه من كلّ ذلك، وخوفه من العقاب المنتظر قد يكون أكثر مِن خوفه من الله سبحانه وتعالى، وإن سنحت له الفرصة فسيرتكب عمله بكلّ برودٍ ولن يؤنبه ضميره على ذلك؛ لأن الخوف لديه انتُزِع، فلا يبالي بالآخرين، بل إنّ أذيّة الآخرين أصبحت لديه استمتاعًا؛ متى ما أراد ذلك بادر إليه..

منذُ أن وُجِدَت البشرية على هذه الأرض وُجِدَت القوانين لتحكمها وتنظّم حياتها وطرق تعاملاتها سواء مع بعضها البعض أو مع التهديدات الخارجية لها، بل ووجدت أيضًا الطرق والأساليب في كيفية التعامل معها، فالإنسان تحكمه القوانين منذ وجوده على الأرض حتى الآن، وليست هناك أمّة عاشت على هذه الأرض ولم تنظم حياتها وطرق تعاملاتها القوانين.. والإنسان الذي يعيش في تلك الأزمنة هو الذي يضع القوانين لأجله؛ لا يهمّ هل تقيّد بها كُليًّا أم لا، المهم أنه أوجدها لتنظّم حياته.. ولو لم توضع هذه القوانين لعاش في تخبّطٍ يبحث عن شيءٍ ينظّم حياته ويحمي نفسه من بني جلدته، بالإضافة إلى أن الأرض ستتحول إلى غابةٍ لا يحكمها أيّ شيءٍ سوى قانونها المتمثّل بـ"القوي يأكل الضعيف".. ورغم ذلك؛ فالقوانين لا تظلّ مع الإنسان على الدوام، بل يتم تحديثها وتطويرها حسب الاحتياج لها.. ومعَ ذلك؛ هناك قوانين وتشريعات لم تتغير منذ قديم الأزل وإلى اليوم، وهي التي وضعها القرآن الكريم لتنظيم حياة البشرية جمعًا.. يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء – ٩٣].. فهذا التشريع السماوي الذي وضعه الله سبحانه وتعالى فيمن يقتل نفسًا بشريةً بلا سببٍ ظُلمًا وعدوانًا قيّد الإنسان من الاعتداء على أخيه الإنسان وقتله، وجَعَل من يقوم بذلك مثواه جهنّم وبئس المصير.. ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة – ٣٨].. وهُنا وضع إحدى القوانين المهمّة في حياة البشر؛ وهو الاعتداء على الآخرين وسرقة ممتلكاتهم بدون وجه حقّ، فهذا القانون الذي وضعه الله سبحانه وتعالى وضع حدًّا لسرقة الآخرين ونهب ممتلكاتهم، ولو لم يوجد لرأينا السلب والنهب هُنا وهُناك، فالقرآن الكريم هو أوّل من وضع القوانين والتشريعات، ونظّم حياة البشر جمعًا، فالقرآن –وإن لم تنفذ قوانينه– فهو الدستور والقانون الذي لا مناص مِن العمل به وتنفيذ ما جاء به إن أردنا حماية الإنسان من بني جلدته، وتنظيم طريقة حياته..

كلّ فعلٍ يؤذي الآخرين أو يمتهن من كرامتهم أو يصل إلى قتلِ الإنسان يُوَاجَه بِردٍّ قاسٍ مِن القرآن الكريم، فالقاتل يُقتَل، والسارق تُقطَع يده، فالإنسان في القرآن الكريم حقّه مُصَان وحقوقه مكفولةٌ إذا طبّق ما جاء به، فتطبيق القوانين وتنفيذها تحقّق الاستقرار والتعايش بين البشر، وتحفظ الحقوق، وتسترد المظالم، وتفرض الأمن، ويسود السلام من خلال وضع القواعد والسلوكيات التي تتبنى طريقة تعامل البشر مع بعضهم البعض، ولكنّ العيب في القوانين التي توضع أنه لا يلتزم بها إلا البعض، بينما الأغلبية لا يلتزمون بها وكأنها

وُضِعَت لقلّةٍ قليلةٍ، وكأنّ الآخرون لا دخل لهم بها، وكأنّهم لا يعيشون في نفس المجتمع! ومن هذه النقطة تحديدًا تبدأ الأغلبية التي لا تلتزم بالقوانين بسرقة الأقلّية التي تلتزم بالقوانين.. ولو التزم الجميع بالقوانين التي وُضِعَت وعرف كلّ شخصٍ ما له وما عليه لما رأينا حقوقًا تُسرق وكرامةً تُنتهك، ولأصبح الجميع متساوين أمام القانون، فمن فعل شرًا يُجزى به، ومن عمل خيرًا يُكافأ عليه..

هناك عدّة جهات تضع القوانين، ولكن من يلتزم بها هو الفرد (المواطن)، وهناك قوانين تحكم العالم تضعها الأمم المتحدة، وهناك قوانين يضعها مجلس الأمن الدولي، وهناك قوانين تضعها الدولة، وهذه القوانين تُجزأ إلى إجراءات وقواعد يمتثل لها ويعمل على تطبيقها.. في نهاية الأمر من يطبق هذا القانون أو الإجراء هو فرد سواءٌ أكان مَن وضع هذه القوانين الأمم مجتمعةً أو الدولة، فقوانين الأمم المتحدة تطبّقها وتنفذها الدول التي لها عضوية فيها، وهذه الدول يمثّلها شخص وهو رئيس الدولة أو أي شخص آخر؛ لا يهمّ، المهم أنه يكون هناك شخصٌ يمثّل هذه الدولة أو تلك، ويكون بصفة رسمية من دولته التي أرسلته، وله الصلاحيات للتوقيع بالقبول أو الرفض للقوانين التي تُوضع، وقوانين الأمم المتحدة تتمثل بمسمى (المواثيق) ورئيس الدولة هو شخص فرد، ولكنه يمثل الدولة التي ينتسب إليها، فما يتم إقراره من الأمم المتحدة على الدول الأعضاء يتم الالتزام به.. وكما هو الحال دائمًا؛ لا يتم الالتزام بكلّ ما يتم إقراره، فالقوانين التي تضعها الأمم المتحدّة قوانين تنظم العلاقات بين الدول، لا الأفراد، فالأفراد تضع القوانين الذي تنظم حياتهم الدول التي ينتمون إليها.. وهناك أجزاء من قوانين الأمم المتحدة يتم الإشارة إلى المواطن فيها والذي من ضمنها أنّ من حقّه الحماية والتعبير عن رأيه والعيش الكريم، ولكن هذه القوانين أو الإشارة ليست مخصصةً لشعبٍ أو مجتمعٍ بعينه؛ بل لجميع المجتمعات على حدٍّ سواء.. بينما الدول عندما تضع القوانين فإنها تضع القوانين على المواطن الذي ينتمي إليها، وليس هذا فحسب؛ بل وتضع قواعد في طريقة تعاملها مع الدول الأخرى وما هي العلاقات التي تودّ أن تربطها بها، فالقوانين الدولية تنضم العلاقة بين الدول وطريقة تعامل الدول مع بعضها البعض؛ سواء أكانت الأوضاع التي تمر بها الدولة سلمًا أم حربًا، بينما قانون الدولة تضعه على مواطنيها في طريقة تعاملهم مع بعضهم البعض..

في أحيانٍ كثيرة تضع الدول قوانين ولا تعرف كيف تطبّقها، ولو طبّقتها لعاشت الدولة في أمنٍ واستقرارٍ ورخاءٍ واطمئنان، فالمشكلة لا تكمن في وجود قوانين مِن عدمها بقدر ما يكون هُناك قانونٌ لا يتمّ تطبيقه..

وهُنا نضع السؤال الذي يسأله الكثير: "هل القوانين التي تُوضَع تُطبّق؟!"، فالمواطن لا يحتاج المزيد من القوانين؛ بل يحتاج إلى تطبيق القوانين السابقة التي تمّ إقرارها.. فكم من قوانين لا يتمّ الالتزام بها! وإن التزم بها البعض لم يلتزم بها البعض الآخر، وهم الأغلبية.. وأصبح تطبيق القانون مختلًّا، فالقوانين يجب أن يلتزم بها الجميع؛ وليس واحدًا فقط، فهي ليست مخصصةً لشخصٍ بعينه ليلتزم بها؛ بل للجميع، وإن تم الالتزام بها بشكلٍ سليمٍ وتمّ تطبيقها تغيّرت سلوكيات الإنسان الذي وُضِعَت من أجله، وتقيَّدت حركته عن فعل أعمالٍ خارج القانون، وفُتِحَت له آفاقٌ جديدةٌ لمعرفة حقوقه وواجباته، ونظمت الحياة العامة وتعاملات البشر مع بعضهم البعض، فليس هناك قانونٌ يقول لك أن تعتدي على الآخر؛ بل إنّ القانون يمنعك من ذلك، وأكبر من ذلك؛ فإذا حصلت بينك وبين شخصٍ آخر مشكلةٌ، فهُناك قضاءٌ ترجع إليه؛ فإن كُنتَ ظالمًا فستأخذ جزاك، وإن كُنتَ مظلومًا سينصفُك، وهذا يعتبر من أهمّ القوانين التي تحفظ للمواطن حقّه من اعتداء الآخرين عليه.. ولو كان العكس لفنَت البشرية في شهورٍ، فكلّ شخصٍ يتم الاعتداء عليهِ وأخذ حقّه؛ سيقوم بنفس الأمر، وسيتطور الأمر، وربّما يصل إلى القتل، فالقوانين تحتاج إلى عدالةٍ حقيقيةٍ تطبّقه على الصغير والكبير، الضعيف والقوي، فالبعض يخرق القانون وهو يدّعي أنه يحترمه، وأفعاله تدلّ عكس ما يقول، وهُنا التناقض البشريّ في أبهى صوره.. تسمعه يقول شيئًا ما، ولكنه يبطن شيئًا آخر، وقد لا يصدّق حتى هو ما يقوله، ولكنه يقوله فقط ليسمعه الآخرون بينما هو يعرف مسبقًا أنه لن يلتزم به، فالعدالة التي تريد تطبيق القوانين يجب ألّا تنظر إلى الأقوال التي يطلقها أصحابها؛ بل إلى أفعالهم، فإن توافقت أقوالهم مع أفعالهم فهم صادقون، وإن غير ذلكَ يتمّ التعامل معهم على أنهم مخترقو القوانين مِن الذين يخالفونه ولا يلتزمون به، فالقوانين يجب أن يكون لها قوّة تطبيق إلى جانب العدالة لتُنَفَّذَ على الجميع بدون استثناء.. فالإنسان يحتاج إلى حمايةٍ من بني جنسه، وذلك يكون بالقوانين.. والقوانين تحتاج إلى قوّةٍ لتحميها وتفرض تطبيقها على الجميع، فلا يأتي شخصٌ يخرق القانون لأنه يعرف مسبقًا أنّ القانون لن يعاقبه لأن له شأنًا أو مكانةً، فهنا يجب أن يكون أوّل من يُحاسب وليس الأخير؛ لأنه يمثّل قدوةً للأخرين، فلو علم الآخرون بما فعله فسيفعلون نفس الشيء؛ لأنهم يعتبرونه قدوَةً لهم، ولا يجب أن يكون هُناك تمييز بين شخصٍ وآخر، فإن أردتَ تطبيق القوانين فافرضها على الجميع وعاقب الجميع، وإن لم يفعل القانون ذلك؛ أقصد لم يفرض هيبته على الكلّ، فسيضيع، ولا أحد سيلتزم به لأنه لم ينفّذ..

القوانين تجرم أكل حقوق الغير، وهذا ما يريده الجميع، فليست هناك حاجة إلى المزيد من القوانين إذا لم تطبّق القوانين السابقة، فهي تقول للإنسان الذي يخالفها أنك ستُجازى، ولكنها لا تقول لمن يطبقها ستُكافأ، فالبعض يرتكب جرائم كبيرة تحت مسمّى القانون، ولا أعرف أيّ قانونٍ يبيح ذلك! فالقانون ليس شيئًا واحدًا؛ بل هوَ مجموعة من الإجراءات والقواعد التي تنظّم حياة الناس ببعضهم البعض، بل والحياة ككل.. وهي لم تُوضَع لفردٍ واحدٍ؛ بل وُضِعَت للجميع.. وفرض القانون بالقوّة يُعتبر ضرورةً قُصوى لحماية الإنسان من أخيه الإنسان، فهناك السيء، وهناك الخيّر، وهناك المجرم، وهناك البريء، فالناس لا يتشابهون؛ فمن سيخسر حياته لعدم فرض القانون هم القلّة القليلة من البشر، أما الآخرون؛ فهم فرحون بذلك، ولديهم القوّة لحماية أنفسهم.. والقوانين يجب أن تُدَرَّس ليعرف المواطن المعني بها ما له وما عليه، ويعرف ما هي حقوقه وما هي واجباته، وكي لا يُخدَع باسم القانون.. فتطبيق القانون من قبل المعنيّ به منفعةً له، وفرضه وتطبيقه منفعة للدولة التي فرضته، فالمواطن يجب أن تكون لديه ثقة بالقانون الذي يتم وضعه، والأصحّ ليس ثقةً بالقانونِ كنصٍ يُقرأ ويُذاع فقط؛ بل بقوّةِ تطبيقه وفرضه، فالمواطن المعنيّ به سيلتزم به إذا رأى أن الجميع سيلتزمون به، وكيف له ألّا يطبقه ويتقيد به وهو سيكون إلى جانبه إذا طُبِّقَ بالشكل الصحيح..

فالدول التي تطبّق القوانين على الجميع دُوَلٌ تنعم بالأمن والاستقرار وحفظ الحقوق والحرّيات، ولا تسمع بها مشاكل يومية؛ لأن الالتزام بالقانون لا يبدأ من المواطن فقط، بل يبدأ بمن يضعه مِن الدولة نفسها، والدولة يمثلها أشخاص، والأشخاص إن امتثلوا للقوانين التي تمّ وضعها فمن دون شكٍّ أنّ المواطن أيضًا سيطبقها ويحترمها؛ لأنه يرى رأس الدولة وفروعها تلتزم بها، فالمواطن لا يحتاج إلى أن تقرأ عليه القوانين بقدر ما يريد أن يرى مَن وضعها يلتزم بها أولًا.. وهذا لا يعني أنه لا يجب أن يعرف حقوقه وواجباته؛ بل عليه معرفة ذلك، فالالتزام بالقانون وتطبيقه يجب أن يكون ثقافةً بقدر ما يكون التزامًا، فمن يطبّق القانون يجب أن يكون مقتنعًا به بما يفعله وليس مجرد التزامٍ به خوفًا من عقابٍ أو جزاءٍ سيطاله بسبب مخالفته.. وفي هذا الأمر يجب أن تكون القوانين ثقافةً عامةً على الجميع معرفتها والتمسّك بها وتطبيقها..

في الحياة كلّ شيءٍ له قوانينه، الدولة لها قوانينها، والجامعات لها قوانينها، والمؤسسات لها قوانينها، والشركات لها قوانينها، والطبيعة لها قوانينها، وكلّ هذا من أجل أن يلتزم بها من يعمل بها أو يعيش فيها، فحتى العائلة لديها قوانينٌ وهي الاحترام المتبادل واحترام الكبير وعدم رفع الصوت، فالحياة بلا قوانين حتما ستمشي إلى

الهاوية.. قد تختلف القوانين، ولكن القاسم المشترك بينهما هو الالتزام؛ أن يلتزم بها الجميع بلا استثناء، وإن وُضِعَ قانون ولم يلتزم به أحدٌ فلماذا وُضِعَ من البداية؟! فمن يضع القوانين يجب أن يبحث ويعرف كيف يطبّق القوانين قبل أن يضعها، فلا خير في قانونٍ لا يُطَبَّق، فمجتمعٌ بلا قانونٍ سينتشر فيه سوء الأخلاق وانهيار المنظومة الاجتماعية والثقافية، وسيتفشى الفساد في كلّ ربوعه، ويصبح الفرد خائفًا على نفسه وأسرته؛ لأنه ليس هناك قوانين تحكم وتعاقب، وستظهر الجماعات والأفراد الذين يعيثون فسادًا في الأرض بلا رحمةٍ أو وازعٍ دينيّ، فالبعض لا يخاف مِن أيّ شيءٍ ليرتكب جريمته بقدر ما يخاف من الجزاء الذي وضعه القانون والذي سيكون منتظره، فالوازع الديني والخوف من الله ومن العقاب الذي وضعه قد لا يؤثر كثيرًا فيمن تمرّس أذية الآخرين، وهنا يجب أن يكون القانون في انتظاره لينفذ فيه جزاء ما قام به، فالسارق يجب أن تُقطع يده، والقاتل يجب أن يُقتل، وقاطع الطريق يجب أن يُصلَب، وهذه قوانين ربّانية لا مجال للتهاون بها، فإن لم تطبّق هذه الأحكام على مرتكبيها؛ فسيتمادى البعض في ارتكاب الأخطاء، وهنا تتضح الحكمة الربانية من وجوب تنفيذ الأحكام وعدم التهاون بها، فالسارق إن لم تُقطَع يده سيسرق شخصًا آخر ويكرر الأول ما فعله؛ لأنه ليس هناك من ينفذ الأحكام، والقاتل إن لم يُنفّذ القتل به فسيتمادى آخر ويقوم بما قام به، ومن يقطع الطريق ويروّع الآمنين والمسافرين على الطرقات سيتمادى أكثر وسينضم إليه أشخاصٌ آخرون لأنّه ليس هُناك رادع.. والقانون أمانة بيد من يقرّه، وعليه وجوب تنفيذه بأقصى عقوبةٍ بحقّ المخالفين والمرتكبين له، فإن تساهل مع الأوّل سيتساهل مع الثاني، فيجب عدم التهاون في التنفيذ مهما كان الأمر.. ومن ارتكب جُرمًا عليه أن يتيقّن أنّ جزاءه في انتظاره..

فالبعض -وإن لم توجد قوانين- يعرف ما له وما عليه، ولكن السؤال هُنا مَن يحمي هؤلاء من مرتكبي الجرائم الذين لا يأبهون بالقوانين؟! فالبعض -كما ذكرت- يخافون من القوانين والعقوبات التي ستطالهم أكثر من خوفهم من العقوبات الإلهية التي تنتظرهم في الآخرة، ولو كان فكّر بهذا الشكل لما ارتكب جُرمَه، ولكن ضعف الوازع الديني وانعدام الضمير جعله لا يبالي بما يفعله بالآخرين من أذيّة وسرقة حقوق وقطع طرق وترويع آمنين..

إنّ القوانين تهذّب النفس وتجعلها تلزم حدودها وتتجنب تجاوزها.. وإن كان الطمع من خصائص النفس البشرية، ولكن هذا لا يمنعك أن تفكّر وتعمل وتجتهد لتكون الأوّل بمجهودك وليس بأذية الآخرين

والتطاول عليهم، فالقانون يجب ألّا يغيب، فعند غيابه تظهر الجريمة، وتنتشر الفوضى، وتتحول الحياة إلى حلبة مصارعةٍ الجميع فيها يدافع عن نفسه، وليس هناك أيّ شيءٍ يمنع الاعتداء أو الاشتباك بين البشر.. فالنفس البشرية ليست شريرةً بطبعها، ولكن ثمّة شواذ في كلّ مجتمعٍ يستغلّون الفرص، فمتى ما كانت الفرصة متاحةً لهم لنشر الفوضى وارتكاب الجرم بحقّ المواطنين فعلوا ذلك؛ لأنهم يعرفون أنه ليس هناك قانون سيوقفهم، فالاستهتار بالقوانين وعدم تطبيقها خطرٌ يهدد المجتمع وكلّ من يعيش فيه.. قد تتغير القوانين وتتحدث وقد يأتي غيرها، ولكن القوانين السماوية لا تتغير؛ لأنها تظلّ ثابتةً، فمنذ وجود البشرية وإلى اليوم ما زالت موجودةً لأنها شيءٌ ثابتٌ لا يمكن تغييره.. والإنسان مهما دخل في معترك الحياة وجد قوانين أخرى تنظّم المجتمع المحيط، فعندما يعمل في شركةٍ أو مؤسسةٍ يجد قوانين تنظّم حياة الموظفين وطرق تعاملاتهم مع بعضهم البعض، وعندما يسافر إلى دولةٍ أخرى يجد قوانين أخرى غير الموجودة في بلده، فالقوانين التي يضعها البشر تتغير وتتبدل وتستحدث، ولكن القوانين السماوية التي وضعها الله سبحانه وتعالى ليعمّ الأمن والسلام في الأرض لا تتغير ولا تتبدل..

فيجب على من يخالف القوانين عمدًا أن تتم محاسبته، ولا أعتقد أنّ هُناك من يخالف جهلًا، فجلّ من يخالف يكون عمدًا، فالقانون يمثل ركيزةً قويةً يعود إليها الجميع عندما يجدون أنفسهم أمام حقٍّ ليأخذوه أو جزاءٍ ليعاقبوا عليه، فالمواطن لا يريد أن تدرسه عن ماذا يعني القانون أو ما هو القانون بقدر ما يريد أن يراه واقعًا مُطبّقًا ومنفذًا؛ لا يهمّ بأيّ طريقةٍ بقدر ما يهمّ أنّ من وضعه سيطبقه أولًا، وفي نظره إن التزم به واضعوه فسيلتزم به الآخرون، فالمواطن عندما يرى أنّ أوّل من يخالف القانون هو مَن وضعه فمن دون شكٍّ لن يلتزم به.. فليس هناك مجتمعٌ في العالم بلا قوانين تحكمه، وقد تختلف من مجتمعٍ لآخر حسب المجتمع نفسه من جميع النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية والاجتماعية، فليس كلّ ما يطبق في مجتمعٍ يطبّق في مجتمعٍ آخر، صحيحٌ قد يتشابه في بعضِ الأشياء وخصوصًا الأشياء المتعارف عليها من حقوقٍ وحفظِ كرامة الإنسان وأذيّة الآخرين والتعدّي عليهم، ولكنه يختلف في أشياء أخرى؛ خصوصًا في المجال الثقافي، فكلّ مجتمعٍ تختلف ثقافته عن الآخر، حتى الكون له قوانينه وقواعده ونظامه، فهناك صبحٌ ومساء، شمسٌ وقمر، ٢٤ ساعةٌ نصفها مساءٌ ونصفها صباح، وكلّ صباحٍ تشرق الشمس لتنير بضوئها الأرض وتعطيها الدفء، والطبيعة أيضًا لها قوانينها والجميع يلتزم بها، بينما الإنسان هو الكائن الوحيد الذي لا يريد أن يلتزم بالقوانين إلا إذا

كانت هناك قوّة تجبره على ذلك.. أحيانًا القوّة تنفع، ولكن ليس دائمًا، فعندما تفرض شيئًا على الجميع تكون القوّة ذات منفعة كبيرة هُنا، فالمواطن يجب أن يحسّ ويشعر أنه يعيش في مجتمعٍ تحكمه القوانين، فالأغلب – إن لم يكن الجميع– يريدون أن يطبّقوا ما عليهم من قوانين، ولكن السؤال هل سيأخذون حقوقهم ضمن إطار القانون أم لا؟! سهلٌ أن تنفّذ ما عليك، ولكن هل ستأخذ حقّك كما تطبّق ما عليك؟! فبدون قوانين تتعثر التنمية وتعمّ الفوضى وتتوقف الحياة، فالقانون هو الحامي لكلّ ذلك إذا تم تطبيقه بشكلٍ صحيحٍ بدون تمييز..

****

الخير والشر
من أين يأتيان؟

كلّ شخصٍ على هذه الأرض يحمل في نفسه الخير والشر، فأحدهم يعمل خيرًا والآخر يعمل شرًا، وهذه سنة الحياة؛ أن يبقى الصراع بين الخير والشر إلى قيام الساعة، فالخير موجود، والشرّ موجود، والتنافس بينهما لن ينتهي، وسيظل على الدوام.. ينتصر الخير مرّةً، وينتصر الشرّ مرّتين.. من الجميل أن نحاول تجنّب شرور أنفسنا، والأجمل أن نعمل الخير.. والإنسان ليس له خيارٌ ثالث ليفعله؛ هناك فقط خيرٌ أو شرّ.. فالبعض يغلب عليه الخير؛ فترى أعماله كلّها خيرًا، والبعض الآخر يغلب عليه الشرّ؛ فترى وجهه قبل عملهِ شرًّا وسوادًا.. والإنسانُ مُخيّرٌ بين أن يفعل هذا أو ذاك، فأحيانًا الإنسان قد يُجبر على فعل الشرّ، ولكنه ليس مُجبرًا أن يفعل الخير، فالخير يأتي من تلقاء النفس عن رضاءٍ وقناعة، فالإنسان يريد بذلك ثوابًا وأجرًا من الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك؛ يظلّ بينهما تنافسٌ في كلّ أمرٍ أو عملٍ ينوي الإنسان القيام به، فالإنسان وفي أحيانٍ كثيرةٍ يتخلّص من الشرِّ بأعمال الخير، ولكنه لن يفعل العكس وإن استطاع، فالإسلام يكافئ الخير بالخير والشر بالشر، وكما جاء في القرآن الكريم ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [الجاثية – ١٥]، فالجزاء يكون من جنس العمل؛ سواء كان خيرًا أو شرًا..

فالصراع قائمٌ على مرّ العصور والأزمانِ بين الخير والشرّ، وليس هُناك مجالٌ أن ينتهيا أو يغلب أحدهما الآخر، فالشرّ أحيانًا قد يتحول إلى خير، فالشرّ ينسب إلى الشيطانِ كفاعلٍ أو محرّضٍ عليه، وهو الذي يوسوس

للإنسان ليرتكبه، ولكن أحيانًا الإنسان يخضع لعوامل خارجيةٍ -كالتهديدِ أو ما شابه- فتكون ردّة فعله غير متوقعة، وهُنا لم يكن يتبنى الشرّ ولكنه أُجبِرَ عليه؛ لأنه أصبح مهددًا، وهوَ بذلك الفعل يزيح التهديد عن نفسه أو يحمي نفسه من أيّ شيءٍ قد يصيبه، وفي هذه الحالة يكمن الفرق بين من يفعل الشرّ دفاعًا عن النفس، وبين من يفعل الشرّ كعملٍ يتسلّى به ليؤذي به الآخرين، فالخير والشرّ مصدرهما الإنسان، وأحيانًا كما -قلتُ- يتبنى الإنسان الأعمال الإجرامية الشريرة ليؤذي الآخرين بها؛ ليس لأنه مجبرٌ عليها، بل لأنه اتخذها عملًا وأصبح يمارسها كما يمارس الإنسان الخير، ولا فرق عنده أن يقتل أو يسرق أو ينصب أو يؤذي الآخرين بأيّ طريقةٍ كانت، فالأهم من كلّ ذلك أنه يحقق ما يريده، ولا يهمه الآخرون ومعاناتهم، فأيّ عملٍ يؤذي الآخرين ويقلق سكينتهم فهو شرٌّ، وأيّ عملٍ يساعد الآخرين ويحقق لهم الطمأنينة والاستقرار فهو خير، فالأنفس الخيّرة والسمحة تتسابق إلى فعل الخير وتتجنب الشرّ مهما كان، فالبعض -للأسف الشديد- أصبح الشرّ منهج حياةٍ بالنسبة له؛ بل ويتبنّاه بأعماله وأقواله وأفعاله وكأنّه بذلك يخدم البشرية بما يفعله!

في أحيانٍ ربما هي الأغلب يعمل الإنسان الشرّ بإرادته عندما يولد وسط عائلة تهوى الشرّ وأذية الآخرين، فيتربّى فيهم لا يعرف الخير أبدًا وكأنّ الشر هو الخير بالنسبة له؛ لأنه لا يعرف الضدّ مِن الشرّ وهو الخير.. فالأسرة هي مَن تشجع الطفل على العنف وأذية الآخرين منذ طفولته، وعندما يكبر ينظر إلى كلّ ما يفعله أنه خير.. الأسرة في الأغلب هي من تستطيع التحكّم في الطفل وتتحكم في طريقة اختياره للخير أو الشرّ، وهذا الاختيار لا يدخل ضمن حدود الدفاع عن النفس (ردّة الفعل)، فالأسرة تستطيع تغيير سلوك الطفل من عدوانيٍّ إلى مُسالمٍ، ومن شرٍّ إلى خير، فهو يتربّى في كنفها منذ نعومة أظافره إلى أن يصل إلى مرحلة الشباب، وحينها قد يظلّ وقد يرحل، وفي هذه المرحلةِ لا يستطيع تغيير سلوكه كاملًا مهما عمل، وقد يعمل أشياء تصنّف على أنها عدوانية، وهذا لا يعني أنّ تحوّله إلى شريرٍ كان في ليلةٍ وضحاها؛ بل مِن قبل أن يصل إلى هذه المرحلة عندما كان يتواجد في كنف العائلة، فالخير والشرّ يتعلمه الإنسان من الأسرة، فإن رأى منها خيرًا فعله، وإن رأى شرًا منها فعله أيضًا، فالطفل من المستحيل أن يؤثر في أفعاله أو حتى أقواله أيّ شخصٍ أكثر مما تؤثر فيه أسرته، ولو وُجِدَت التربية الصحيحة للطفل في سنواته الأولى لما رأينا الشرّ مُنتشرًا وأذيّة الآخرين وأكل حقوقهم وسرقة آمالهم وطموحاتهم مِن قِبل أشخاصٍ تربّوا على فعل هذه الأشياء مُنذ أن كانوا أطفالًا ولا أحد منعهم من ممارسة ذلك..

فالإنسان لا يستطيع أن يتبنّى منهجًا في الشرّ أو الإجرامِ من دون أن يشاهده مِن قبل؛ لا يهمّ في أيّ مكانٍ، مِن الأسرةِ، في شاشة التلفزيون؛ الأهم أنه فيما بعد أصبح طريقته ومنهجه في الشرّ، ليس لأنه ابتكره، وليس لأنه تربّى على الخير؛ بل لأنه تربّى على الشرّ، ووجد بيئةً مُساعدةً جعلته يقوم بالأعمال الشريرة بدون محاسبةٍ من الآخرين أو حتى أسرته، وهو ما شجعه على الاستمرار فيما هو عليه.. وقد يعرف أنّ ما يقوم به يؤذي الآخرين، ومعَ ذلكَ لا يتوقّف؛ لأن حياته كلّها بُنِيَت على هذا الأساس، فمن الصعب أن يتحوّل سلوكه وأفعاله من الشرِّ إلى الخيرِ إلّا في حالةٍ واحدةٍ، وهي إن رأى عكس ما يقوم به سواء من الأسرة أو من مجتمعه أو ما يشاهده على القنوات الفضائية، قد يطول هذا، ولكن هذا لا يعني أنه سيتحسن فيما بعد، فعندما تتوقف عن عملٍ ما لفترةٍ طويلةٍ ولا تشاهد أيّ عملٍ يذكّرك به وتسعى إلى عملِ الخير فستنسى ذلكَ وتعود إلى الحياةِ الصحيحة التي تجد نفسك فيها محبوبًا بين الناس بأعمالك الخيّرة التي تقوم بها بعد أن كُنتَ مصدر الشرّ الأوّل بالنسبة لهم، ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة – ٧،٨] ، فهُنا قدَّم الخير على الشرّ؛ لأنّ الإنسان لا يُولد وفي نيته أن يعمل الشرّ ويؤذي الغير، بل أن يعمل الخير ويساعد الآخرين.. وفي حديثٍ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (كُلّ مَوْلودٍ يُولدُ على الفِطرَة فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجسّانه) [رواه البخاري]، يشير هذا الحديث إلى الدين الذي يتّبعه الطفل عندما يُولد في أسرةٍ مهما كانت، فالطفل سيتربى على الدين والطريقة التي تعيشها أسرته، وينطبق الحديث أيضًا على الحياة التي تعيشها أسرته، فالطفل سيعيش وفقًا للتعليمات والأوامر التي يتلقّاها مِن أبويه وأسرته مهما كانت هذه الأوامر والتعليمات خيرًا أو شرًا، ومن المستحيل أن يتربّى الطفل خارج الإطار أو الطريقة التي تعيشها أسرته، فالأسرة هي المسؤولة عن أفعال أبنائها مهما كانت، وتتحمل عواقبها ونتائجها؛ لأنها المسؤولة والمربّية والملقّنة له منذ صغره.. فلا تقُل لي أنّ طفلًا فعل جُرمًا في شبابه دون أن يشاهد أبويه أو أحد أفراد أسرته يفعل ذلك..

فالأسرة هي مَن تتحكم بكلّ ما يخصّ الطفل؛ حياته، مواقفه، سلوكه، طريقة تعامله، فمن الغباء أن نحكم على شخصٍ بدون أن ننظر إلى عائلته ونعرف كيف ربّته، وكيف تعاملت معه، وكيف كان سلوكها معه، فصورة الإنسان قبل وصوله إلى الدنيا خيرٌ ومسالمة، ولو وَجَد من يوجهه ويعلّمه الخطأ والصواب والصحيح والخاطئ لما انحرف عن مسارِ الخير، ولكنه وجد بيئةً مشجّعةً وربما مُساعِدةً لكلّ ما يقوم بهِ فتمادى في غيّه

وأصبح يرى أنه لا أحد سيردعه ولا أحد يستطيع إيقافه.. قد يقول البعضُ أنني أحمّل الأسرة أفعال أبنائها.. نعم؛ أنا أحمّلها ذلك؛ لأنّ أبناءها خَرجوا مِن تحت عباءتها وتربّوا في كنفها، فهي تتحمّل تصرفاتهم وسلوكهم، ولا تأتِ لي فيما بعد لتقولَ لي أنّ مَن فعل كذا وكذا من إجرامٍ ووحشيةٍ وأذيةٍ للغير ليس بابنك.. إذا كان غير ذلك؛ فمن أين أتى؟ وعندَ مَن تَربّى؟! ألستَ أنت من ربّيته؟ ألستَ أنت أبوه وأنتِ أمّه؟! فتحمّلا أفعال ابناءكما؛ لأنكما لم تقوما بما يجب عليكما من أسلوبِ التربية الصحيحة والسليمة الذي ترشده إلى الخير وتمنعه من الشرّ.. فالشرور الذي نشاهده اليوم من قتلٍ وتدميرٍ لم يكن موجودًا، ولم يكن ليوجد لولا خروج أشخاصٍ سيئين من تحت عباءة أُسَرِهِم؛ لقُوا تشجيعًا ودعمًا لما يقومون به، فالشرّ هو نتاج أشخاص.. فبعض البلدان تعيش هانئةً مُطمئنة في رغدٍ من العيش والأمن، ولا تسمع عنهم شيئًا.. وهناك بلدانٌ أخرى تسمع عنها ليلَ نهار القتل والتفجيرات والاختطافات والإجرام والكوارث التي يفعلها الإنسان ويتبناها.. إذا كان الإنسان محكومٌ بالشرّ؛ فلمَ لا يكون في الدوّل الأولى ما هو موجود في الدول الثانية؟! فالأمر ليس هكذا؛ بل هي التربية السليمة والصحيحة، فالإنسان لن يقوم بالشرِّ أو يتبناه لو لم يجد البيئة التي تحتضنه وتشجّه على القيام بما يريده، فمتى ما كانت التربية سليمةً وصحيحةً كانت النفس البشرية سليمةً ونقيةً وطامعةً إلى فعل الخير؛ وليس العكس، فمهما عمل الشخصُ من أعمالٍ فلا يُلام بقدر ما تُلام أسرته وتتحمّل ذلك إن رضت أو لم ترضى.. فالسرّ يكمن في البداية؛ فإن تربّى التربية الحسنة نشأ عليها، والعكس أيضًا.. فالأصل في الإنسان هو الخير، ولكن الأسرة هي من تجبره على فعل عكس ذلك من خلال سلوكياتٍ ومواقف تشجّعه على اعتناق الشرّ وجعله شعارًا وهدفًا في حياته.. صحيحٌ أنّ الإنسان يحبّ نفسه، ولا يريد أن ينافسه أحد، ولكن هذا لا يعني أن يذهب إلى أذيّة الآخرين أو قتلهم، ولكن عندما يتربّى في أسرةٍ تدفعه إلى ممارسة أعمال الشرّ فسيذهب إليه ويؤذيه وربما قد يقتله لأنه ينافسهُ ليس على الشرّ ولكن على الخير، وهو مناقضٌ لما يفعله!

ليس هناك إنسانٌ عاقلٌ تربّى في عائلةٍ تربيةً صحيحةً يفكّر أن يعتدي على إنسانٍ آخر، فلا يمكن للإنسان أن يؤذي أخاه الإنسان لأيّ سببٍ كان إلا إذا كان هُناك دافعٌ يدفعه لذلك، والدافع الذي يدفعه لذلك لا يأتي من نفسِه؛ بل من مصدرٍ خارجيٍّ كتحريضٍ أو ما شابه، فالإنسان خَيِّرٌ بطبعه، ولكن عندما يسيطر عليه الأشرار يتحول إلى لُعبةٍ بأيديهم يؤذي الآخرين بدون أن يحرّك ذلك فيه أيّ شيءٍ.. ويتساءل أحدهم مِن أين أتى الأشرار الذين حوّلوه إلى دميةٍ بأيديهم؟! وهذا سؤالٌ منطقيّ؛ لقد أتوا مِن أُسَرٍ ومجتمعاتٍ تمتهن الشرّ،

منذ نعومة أظافرهم يتربى الأطفال على العنف والشرّ.. ولو كان الإنسان مفطورًا على الشرّ لما كان الإسلام دين الرحمة، ولو كان هذا صحيحًا لما تعايش البشر مع بعضهم منذُ قرونٍ مِن الزمن، فمن يتبنّون العنفَ قليلون جدًا، ولكنّ شرهم ينتقل بسرعةٍ كبيرة، فالإنسان يُخلق وعقله صافٍ لم يدخله أيّ شيءٍ، فتدخل عائلته فيه الأوساخ والجراثيم حتى يصبح عدوانيًا يؤذي ولا يبالي بالآخرين؛ وكأنّه يقوم بشيءٍ يفيد البشرية!

وهناك أيضًا عاملٌ آخر يجعل الإنسان يرتكب أعمالًا غير خَيِّرَةٍ؛ وهو الفراغ، فعندما يجد الإنسان نفسه فارغًا لا يجد ما يعمله تأتيه أفكارٌ كثيرةً، وقد تكون سيئةً في الأغلب، فالفراغ أحد الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الشرور، فعندما يستطيع الإنسان أن يساعد إنسانًا آخر فسيفعل، والعكس غير صحيح، فإن وُجِد شيئًا يرتبط به الإنسان كعملٍ يقضي فيه وقته ويحصل منه على مالٍ يعيله به فلن يفكر في أذية الآخرين أو أن يتبني الشرّ؛ لأنه وجدَ شيئًا يلتهي به جعله لا يفكّر خارج عمله.. وهنا أطرح تساؤلًا: "لماذا لا نجد في المجتمعات الغربية أعمالًا مؤذيةً للآخرين؟" السبب بسيط؛ لأنهم وجدوا أعمالًا يقضوا فيها فراغهم جعلتهم لا يفكرون حتى دقيقةً واحدةً في أعمالٍ شريرة، فلو حصل الإنسان على ما يريده مِن حقوقٍ فلن يفكّر في أعمالٍ إجراميةٍ تؤذيه وتؤذي الآخرين مِن حوله، وإن كان هذا غير مبررٍ للأعمال الشريرة التي يقوم بها البعض، ولكن إن وجدَ الإنسان ما يلتهي به فسيعمل جاهدًا عليه وسينصب كلّ تفكيره عليه، فالفراغ يأتي للإنسان بأفكارٍ من المستحيل أن تخطر على باله، حتى لو كان فيها أذيّة لنفسه؛ لا يبالي.. وكم شاهدنا حالاتٍ من الانتحار! وعندما تبحث عن الأسباب لذلك تجد أنّهم لم يجدوا عملًا، وأن الفراغ تملّكهم وأصبحوا لا يجدون شيئًا ليعملوه، فكان الانتحار خلاصهم مما هم فيه.. وإن أردنا تحصين الشباب اليوم من الشرّ فيجب أن ندمجهم في المجتمع، أن نجد لهم الوظائف المناسبة، أن نجعلهم يخدمون أنفسهم وبلادهم بدلًا من القيام بأعمالٍ تؤدي إلى أذيّة أنفسهم والآخرين، فالإنسان سيفضّل أن يقوم بأعمالٍ شريرةٍ على أن يظلّ فارغًا دون أيّ شيءٍ يقوم به، وليس الكلّ كذلك؛ بل البعض فقط، وهو بالمناسبةِ ليس بإرادته، ولكن قد يكون مدفوعًا مِن أشخاصٍ آخرين.. فتوفير فرص العمل لن يجعلهم يفكّرون في الأعمال الشريرة؛ لأنّ هناك شيئًا يلتهون مِن أجله وهو العمل، فالشرّ ليس كامنًا في الإنسان، فلو وجد الإنسان الوسائل التي تعمل على مساعدته للآخرين فسيفعل الكثير لأجلهم، ولو وجد وسائل لفعل الشرّ فلن يفعل، وقد يفعل، لكن في الضرورة القصوى، وقد يكون خياره الأخير..

فالشر الكامن في الإنسان لا يأتي من نفسه، ولا يتبناه الإنسان؛ بل أسرته وعائلته التي تربى وولد فيها، والسبب الثاني الذي يجعله يفكر بأعمالٍ شريرةٍ هو الفراغ، وما عدا ذلك لا أرى سببًا واحدًا يدفع الإنسان إلى القيامِ بأعمالٍ شريرةٍ، فالإنسان بطبعه خيِّر.. لذا يجب أن نعي وندرك لماذا هذا الشرور القائم اليوم؟ ولماذا يقوم به الإنسان؟! فالبعض للأسف الشديد لا ينظر إلى الأسباب التي أدّت إلى هذا الفعل بقدر ما ينظر إلى الفاعل.. ولو نظرنا إلى الفعل بعينٍ فاحصةٍ وباحثةٍ عن الحقيقةِ لاكتشفنا الأسباب التي قادت إلى الفعل، فليس هناك إنسانٌ عاقلٌ يقوم بأعمالٍ شريرةٍ حين يكون لديه حياة هادئة يذهب فيها إلى عمله كلّ صباحٍ، وليس هناك ما ينغّص عيشته، وضغوطات الحياة بعيدة عنه.. وكما قلتُ في السابق؛ فالإنسان قد يفعل الشرّ، ولكن لا يتبنّاه، بمعنى أنّ الإنسان قد يفعل الشرّ مُجبرًا على ذلك، وقد يصل إلى أذيّةِ نفسه كمحاولةِ الانتحار أو قتل نفسهِ، وهذا ليس باختيارٍ مِنه؛ بل هو مُجبرٌ على ذلك لظروفٍ وضغوطاتٍ مُعيّنة.. وهُنا لا أبرر أيّ فعلٍ من الأفعال الإجرامية والأعمال التي تؤدي إلى أذية الغير أو أذية النفس، ولكنني أقول إنّه يجب أن ننظر إلى الأسباب التي دفعت أصحابها إلى ارتكابها ولا ننظر إلى الفاعل فقط، ولو نظرنا إلى الأسباب بتمعّنٍ وعرفناها فقد نتجنب حدوث حدثٍ آخر في مكانٍ ما، فقد يتغير الفاعل ولكن الأسباب لم تتغير.. صحيحٌ أنّ النفس أمّارة بالسوء، ولكن لو وَجَد الإنسان ما يشغل عقله به؛ فلن تجد نفسه شيئًا لتوسوس له به.. والشر ليس محصورًا في أذية الآخرين، فقد يؤذي الإنسان نفسه من غير إرادته..

****

اختلاف النفس البشرية
أسرار وغموض لا تفهمه

الناس يختلفون في مشاعرهم وسلوكهم وطباعهم، فإن قابلت شخصًا يومًا ما وكان سلوكه سيئًا؛ فلا تحكم على الآخرين بأنّ سلوكهم سيءٌ لأنك قابلت واحدًا فقط، فتظلم حينها الآخرين.. لا تعمّم ما تراه على الكلّ، ولا ما تسمعه على الجميع، فلو ذهبتَ إلى برجٍ عالٍ ونظرت إلى الأسفلِ لرأيتَ الناس شكلًا واحدًا، واعتقدت أنهم بتفكيرٍ واحدٍ وقامةٍ واحدةٍ لا يختلف أيّ شخصٍ عن الآخر، ولكن عندما تقترب منهم قليلًا فستعرف القليل عنهم، وإن اقتربت أكثر فستعرف أكثر، وستعرف حينها الحزين، والسعيد، الكتوم، والثرثار، والقلق، واللا مبالي، والشكّاك، والمتردّد، والعاطفي، والمتشائم، والمتكبر، والمغرور، والمزاجي، والعصبي، والصادق، والكاذب، وستكتشف كلّ شخصٍ منهم، وستعرف شخصية كلّ واحدٍ.. من قبل لم تكن تعرفهم؛ لأنكَ كُنتَ بعيدًا وحكمت عليهم مِن بعيد، ولكن ما إن اقتربت حتى اتّضحت لك الصورة التي كُنتَ لا تراها من قبل، وهي أنّ كلّ شخصٍ له شخصيته وطباعه وسلوكه وتعامله، فلا تعامل الجميع بما تراه أنت؛ بل بناءً على شخصية كلّ واحدٍ منهم، حينها ستكسب الأشخاص بدون تكلّفٍ مِنك، فقط افهم شخصياتهم..

مهما فعلت واقتربت مِن البشر؛ لن تفهم النفس البشرية بالشكل الذي تريد، فكلّ شخصٍ له أسراره، وله شخصيته، ولو اقتربت أكثر فلن تكتشف في أيّ شخصيةٍ ما تريده، فالغموض يكتنف البعض، ومهما حاولت وإن عرفت القليل عن الأشخاص فمن المستحيل أن تجد شخصًا يخرج كلّ ما في جعبته لك، فالنفس البشرية

تختلف، ومن النادر أن تجد شخصين يلتقيان في شخصيةٍ واحدة.. من الجيد أن نحسن التعامل مع الجميع بالعقلِ لا بالعين، وتذكّر أنّ أيّ شخصٍ يحبّ أن يعامله الآخرون كما يحبّ أن يتعامل به معهم.. لا تحكم على كلّ شخصيةٍ مما تسمع عنها؛ بل بمجالستها والاستماع لها، وأنا متأكدٌ أنك ستقول في نفسك "هل هذا الشخص الذي سمعتُ عنه كلّ ذلك الكلام؟!".. البعض يحبّ أن تنصحه، ولكن ليس أمام الآخرين، والبعض الآخر لا يحب أن تنصحه مطلقًا؛ لأنه لا يرى نفسه مخطئًا، والبعض الآخر يبادر من تلقاء نفسه لاكتشاف الأخطاء الموجودة في نفسه حتى يعالجها ولا ينتظر من الآخرين أن يقولوا له ماذا عليه أن يفعل..

لا تحاول التعامل مع كلّ شخصٍ بالطريقة التي تعامل بها زميلك في العمل أو صديقًا مقربًا لك.. لا تعامل الجميع بنفس الأسلوب، فكلّ شخصٍ له طريقته في التعامل؛ عليك فقط أن تجيدها.. لا تتعامل مع أبيك كما تتعامل مع صديقك، ولا تتعامل مع صديقك كما تتعامل مع مدرسك، ولا تتعامل مع ابنك كما تتعامل مع تلميذك، فكلّ شخصٍ يحتاج إلى تعاملٍ مختلفٍ عن الآخر، فمنذُ وجدت الخليقة على هذه الأرض والناس مختلفون في طباعهم وسلوكهم وأسلوب تعاملهم، فالبعض يتعامل بلطفٍ، والآخر بشراسة، وذاك بحزم، وهذا لا يبالي، فالشخص تحكمه طباعه.. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب).. ومن غير المنطقي وغير المعقول أن تعامل هذا الاختلاف الذي مِن حولك سواء أكانوا أصدقاءك أو أسرتك أو المجتمع الذي تعيش فيه بأسلوبٍ واحد، فما يتناسب مع هذا لا يتناسب مع ذاك، وطبع هذا وأسلوبه يختلف عن أسلوبِ ذاك، وكلّ شخصٍ له طباعه وأسلوبه في التعامل.. الإنسان ليس آلة تمشي كما تريدُ أنتَ؛ بل هو روحٌ وجسدٌ وعقلٌ ومشاعر، يحزن ويسعد، يبكي ويفرح، وقد تتعامل معه الآن وتأتي إليه بعد وقتٍ قصيرٍ وقد تغيّر كُليًّا عمّا كان في السابق، ولا تعلم ما الذي حدث معه..

****

نصائح
لمن يقرأ الآن.. لكَ أنت!

لا تكن ذا طباعٍ سيئةٍ ينفر الناس مِنك؛ بل كُن ذا طباعٍ حسنةٍ يقترب الناس منك، واجعل أسلوبك في التعامل أسلوبًا حسنًا، وكُن صدوقًا في قولك، أمينًا في سرّك، حافظًا لوعدك، ولا تنفر من الآخرين ذوي الطباع غير المحببةِ بالنسبة لك؛ بل حاول التقرّب منهم من أجل إكسابهم من طباعك إن كنتَ تمتلك أسلوبًا جميلًا في التعامل.. بعض البشر لا يريد شيئًا سوى الاحترام والتوقير من الآخرين ولا يريد المدح ولا يحبه، والبعض الآخر العكس مِن ذلك؛ يحبّ من يمدحه ولوكان كَذِبًا، والبعض الآخر يحبّ الاهتمام الخاص والمعاملة الخاصةّ، يحبّ ألا يكون شيئًا ثانويًا في حياة الآخرين، يريد أن يكون له حيّزٌ مِن حياتهم، يشعرون بوجوده إلى جانبهم.. وما دمتَ قادرًا على ذلكَ فافعل وعامل كلّ شخصٍ بما يحبّ..
أشعِر الآخرين بمحبتك لهم، بقربك منهم، بَل أَشعر كلّ شخصٍ منهم بأنه أقرب الأشخاص إليك.. لا تجعله يظنّ بأنك تعامله حسب مزاجك، وليس على حسب قربه منك.. تعامل مع الأشخاص بما يحبّون.. نادِهم بأسمائهم، بألقابهم، بما يحبون.. ابحث عمّا يريده الآخرون منك، عَن رغباتهم، عن طباعهم، عمّا يحبونه فيمن يتعامل معهم، ولا تبخل في مدحِ الآخرين إذا رأيتَ شيئًا جميلًا منهم، فالناس تحبّ من يوقرها ويعترف بمجهودها.. والنفس البشرية لا تختلف كثيرًا مِن شخصٍ لآخر، فالجميع يحبّ الاهتمام، يحبّ من يهتمّ به، من يشعر به، من يبادله الشعور الجميل الذي يعيشه، السعادة التي يريدها، والحياة التي يسعى لها.. نحن بشرٌ، ولو لم توجد هذه الأشياء فينا لكُنّا لا نختلف عن الجمادات والحيوانات الأخرى الموجودة في هذا الكون، فالإنسان بشعوره، باختلافه عمّن حوله، بسلوكه، وتعامله مع الآخرين..

قُل شكرًا
لكَ أولًا، ثمّ للآخرين

قُل شكرًا لمن مَدَّ لك يد العون في تحقيق شيءٍ ما.. قُل شُكرًا لمن ساعدك في إنجازِ عملٍ كُنتَ تظنّه لن يُنجز.. قُل شكرًا لكلّ من نصحكَ بشيءٍ وأحسستَ حقًا أنك كنتَ تحتاجُ هذه النصيحة.. قُل شكرًا لنفسك لكلّ هدفٍ حققته، وعملٍ أنجزته وأتقنته.. قُل شكرًا لكلّ حدثٍ جميلٍ حدث معك.. قل شكرًا لصديقٍ مازال إلى جانبك بعد أن رحل الآخرون عنك.. قُل شكرًا لمواقف؛ حتى وإن كانت سلبيةً، فلا بدّ أنك تعلّمت منها شيئًا ما.. قُل شكرًا لموقفٍ تعلّمت منه أشياء من المستحيل أن تتعلمها إن لم يحدث.. قُل شكرًا لموقفٍ كشف لك أصدقاءك الحقيقيين وأصدقاءك الذين يتمسّكون بك من أجل مصلحةٍ ما، فالمواقف رغم أنها تؤذينا ولكنها تعلّمنا كثيرًا.. قُل شكرًا لمن نصحك نصيحةً ما زلت تحفظها إلى الآن.. قُل شُكرًا لصديقٍ لم يخذلك أبدًا.. قُل شكرًا لمواقف وتجارب تعلّمت منها.. قُل شُكرًا لكلّ مَن تعلمت منه أشياء أفادتك في المستقبل.. قُل شكرًا لمن كانوا إلى جانبك ومدّوا لك يد المساعدةِ وأنت في طريقك إلى القمّة، زملائك، أصدقائك، وقبل هذا عائلتك، فلا أحد ينجح بمجهوده الفردي وإن قال كذلك فهو يكذب، فليس هُناك مبنىً يبنيه بنّاءٌ واحد، فلا بدّ أن يكون لديه مجموعة مِن المساعدين، وكذلك أنتَ، فلا تنكر فضلهم عليك، وتذكّر كلّ ما قدّموه لكَ حتى وصلت إلى هذه المرحلة مِن النجاح.. قُل شكرًا عندما تجلس تحت ظلّ شجرةٍ في حرّ الشمس، وادعُ لمن كان سببًا في وجودها، وحاول أن تفعل المثل وتغرس واحدةً أخرى بالجوار..

شكرًا! ليست كلمة تُقال لأحدهم؛ بل كمية من المشاعر تعطيها لأحدهم، فربما لا يعلم قائلها تأثيرها على الآخرين.. شكرًا! عبارة عن امتنانٍ كبيرٍ ومحبّةٍ لأحدهم، فأبسط الأشياء أن تقول له شُكرًا.. لا تعلم كمّية الفرح الذي تدخله على أحدهم وأنت تقولُ له ذلك.. لا تبخل في قولها، ففي كلّ فرصةٍ اشكر أحدهم؛ مَن تعرف ومن لا تعرف.. فالشكر أقلّ شيءٍ تقدّمه لأحدهم، فربّما لم ينتظر منكَ شيئًا سوى أن تقول لهُ شكرًا.. قُل شكرًا لمن ظلّ يوجهك ويساعدك ويمسك بيدكَ حتى وصلت إلى ما تريد.. قُل شكرًا لكلّ موقفٍ جميلٍ مرّ بك.. قُل شكرًا لكلّ موقفٍ سيءٍ مررتَ به، فحتمًا إنّك تعلمت منه.. قُل شكرًا لنفسكَ؛ لأنكَ تستحقّ.. قُل شكرًا لأصدقائك وأصحابك.. قُل شكرًا لزملائك في العمل.. قُل شكرًا لأسرتك، فهي أكثر مَن تتحملك وتساندك وتدعمك.. قُل شكرًا لمعلمٍ استفدت منه ومدرسٍ تعلّمت منه ودكتورٍ تأثّرت به.. قُل شكرًا؛ وإن لم يستحقّ أحدهم.. قل شكرًا لزوجتك، ولابنك لأنه أتى الأوّل في صفّه ولم يخذلك.. قُل شكرًا لكلّ شخصٍ تصادفه وتلتمس منه صدق نواياه، وأخبره كم أنت فخورٌ به؛ لأنه ليس هناك الكثير من أمثاله..

لا تستهِن بمدى تأثيرها على الآخرين.. فقط عليك أن تقولها.. قد لا يطلب منك أحدهم أن تفعل له شيئًا بقدر ما يريد منكَ أن تقول له "شكرًا" على عملٍ ساعدك به، ومعروفٍ صنعه لك، عن نجاحٍ كان جزءًا مِنه، وعن حياةٍ كنتم يومًا من الأيام أصدقاء وما زلتم.. وتذكّر أنّ مَن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والشكر علامة للامتنان، علامة للحب، للاحترام المتبادل.. ليس شرطًا أن تشكر أحدهم على ما قدّمه لك، قد تشكره أحيانًا لأنه ما زال يقف إلى جانبك رغم كلّ ما يمرّ بك بعد أن رحل الجميع، وما يزال متمسكًا بك.. نحنُ نعيشُ وسط عالمٍ مليءٍ بالمآسي.. فلنجعل من كلماتنا مراهمَ نطبطب بها جروح الآخرين.. صحيحٌ نحن بشرٌ نحبّ مَن يعتني بنا ويجاملنا، ولكن إياكَ أن تنتظر من الآخرين شُكرَك، كُن أنتَ المبادر، وسترى كيفَ سيكون تأثيرها على الآخرين، فأحدهم قد ينتظر خُطوةً واحدةً ليتأكد من أمرٍ ما، ومن ثمّ سيفعل المستحيلات من أجلكَ؛ فقط عليك أن نكون جريئًا أكثر من المعتاد.. إذا انتهى يومك ولم تقُلها لأحدهم؛ فاعلم أنك بخيلٌ بقولها، وزّعها على كلّ من تعرف، كلّ من أسدى لك خدمةً، كلّ من تلقاه.. الأمر لا يستحقّ كثيرًا؛ فقط قُلها مع ابتسامةٍ لطيفةٍ، ومن ثمّ غادر..

قُل شكرًا لموظفيك، وسترى ردّة فعلهم تجاهكَ كيف ستتغير.. قُل شكرًا لكلّ شخصٍ مرّ بحياتكَ وأحسست أنه زرع فيك أمرًا لن تنساه.. لا يهمّ ما هو، فقد يكون أثرًا طيبًا، أو كلاما جميلًا، أو نصيحةً ما زلت تعمل بها إلى الآن؛ بقدر أنك ما زلت تتذكره إلى الآن ولم تنسَه.. قُل شكرًا لموظفٍ تراه يعمل بجدٍ ولكنه ليس المرجوّ منه، وأخبره بأنك تعلم ما يبذله من جهدٍ، ولا تكن كمن سبقك من المدراء، اشكر مَن يعمل بجدٍّ ويحقق النتائج، ومَن يعمل ولكن ليس المرجوّ منه ولا يحقق نتائج، وأخبره أنّك تدعمه، وسترى النتائج بعد ذلك.. اشكر من تلقاه، واذهب إلى البعضِ واشكرهم، فهم يستحقون ذلك؛ مِن أجل أن يعرفوا أنك مديرٌ ناجحٌ تشجعهم عند الإخفاق وتشكرهم عند الإنجاز.. الأمر لا يستحقّ كثيرًا؛ هي فقط كلمتان عند مرورك كلّ صباحٍ لتفقّد موظفيك؛ قُل لهم "شكرًا لك! كان عملك بالأمس رائعًا، وأتمنى أن تستمرّ" هذا التحفيز عندما يلقاه موظفٌ مِن مديره سيشعر بالفخر لأنّ لديه مديرًا كهذا.. لا تُلقِ كلّ اللوم على من يخفق في العمل، ولا تنسَ أنّ العمل ككرة القدم عملٌ جماعيّ، ولا أحد يتحمل المسؤولية بمفرده، وربما أنت تتحمل الجزء الأكبر كما يتحمل المدرّب فشل الفريق الرياضي.. اكسب موظفيك؛ ليس بتوحّشك وطغيانك عليهم، ولكن باحترامك لهم، بشكرك لهم، بتشجيعك وتحفيزك لهم.. اجعل نفسكَ قدوةً لهم، وعندما يذهبون مِن عندك لأيّ سببٍ كان سيقولون "لقد كان لنا مديرٌ يحترم موظفيه.. فشكرًا له" تكفيك هذه الجملة.. أرأيت إلى أيّ مدى أثّر فيهم تعاملك الجميل والراقي؟! أصبح يشكرك في غيابك ويمدحك أمام الناس، بينما أنت شكرته أمامه، هُناك فرقٌ كبير.. عندما يتقدّم موظّفٌ لديك بطلبِ إجازةٍ لا تنظر إليه وكأنّه يودّ طردك من المكتب أو يشتمك، فهو يطلب حقًّا مِن حقوقه.. انظر إليه بابتسامةٍ جميلةٍ، وبعد الموافقة على الإجازة قُل له "شكرًا! لقد كان هذا الشهر شاقًا لكلينا.. أتمنّى لك إجازةً سعيدة!".. لا تنسَ أن تشكر بعد كلّ نجاحٍ من كانوا إلى جانبك، وتقدّم لهم الشكر الكثير لما بذلوه من جهدٍ لمساعدتك، فالنجاحُ لم يكُن يومًا مِن الأيام فرديًا.. قُل شكرًا حتى وإن لم يشكرك الآخرون، فأنتَ تشكرهم ليسَ من أجلهم؛ بل مِن أجل نفسك.. توقّف بعد كلّ كلمةِ شكرٍ لأحدهم واسأل نفسكَ هل شعرتَ بشعورٍ جيّد؟

ساعد الآخرين وإن لم يطلبوا منكَ ذلك، وعند انتهائك اشكرهم لأنهم قبلوا بمساعدتك.. قد تظنّه كلامًا فقط، ولكن عليك أن تجرّبه لتعرف الشعور، ومن ثمّ قرّر هل ما أقوله صحيحًا أم لا؟! قُل شكرًا لمن صنع

لك معروفًا وما زلت تتذكره.. قُل شكرًا لزوجتك التي تقف إلى جانبك في كلّ مرحلةٍ من مراحل الحياة، وفي كلّ محنةٍ تمرّ بها.. قُل شكرًا لمن وقف في طريقك ومنعك من مواصلة الطريق نحو النجاح، فقد كشف لك وجهًا آخر كان ينتظر اللحظة المناسبة ليوقع بك.. قُل شكرًا لمن وضع شوكًا في طريقك، فقد أعطاك تأشيرةً للاستمرار والصمود والعمل بجدٍّ واجتهادٍ أكثر مما كُنتَ عليه في السابق.. قُل شكرًا لمن علّمك درسًا مِن دروس الحياة؛ سواءٌ أكان إيجابيًّا أو سلبيًّا، فكلاهما تعلّمت منه.. قُل شكرًا لمدرّسٍ ما زلت تتذكره بعد عشرين سنة من آخر لقاءٍ جمعكما مع بعضٍ عندما كان يدرّسك في إحدى الفصول الدراسية.. قُل شكرًا لواقعٍ ظلمك ولكنك تعلّمت الصبر.. قُل شكرًا لمن لا يزال إنسانًا.. قُل شكرًا لكلّ شخصٍ لا يشغل نفسه بالآخرين، ويعيش حياته راضيًا مطمئنًا.. قُل شكرًا لمن لا يزال لديه ضميرٌ ينبض بالإنسانيةِ وحبّ الآخرين وسط عالمٍ ماتت ضمائرهم وأُناسٍ ماتت إنسانيتهم.. قُل شكرًا لأحدهم لأنه ابتسمَ لكَ بكلّ نقاءٍ حين كان قلبك يتألّم همًّا وحزنًا لم تستطِع تجاوزه، فحاول التخفيف عنكَ.. قُل شكرًا لكلِّ شخصٍ وَعَدَ فحافظ على وعده.. قُل شكرًا لتلك المواقف التي عرفتَ مِنها مَن هُم أصدقاؤك الحقيقيون، ومَن كانوا يقفون إلى جانبكَ في وقتِ الرخاء فقط، بينما وقت الشدّة ذهبوا..

****

المواقف
تجاربنا في الحياة

المواقف هي تلك الأشياء الذي نقولها ونفعلها، نقولُ فلا نكذب، ونوعد فلا نخون، ونعطي فلا نمنّ، ونصاحب فلا نغدر.. المواقف السيئة تجعلنا نتعلّم، والمواقف الإيجابية تجعلنا نزداد قوّةً.. نعم؛ قد تكون مؤثرةً وتركت فينا أثرًا لن يمحوه الزمن، ولكننا تعلمنا منها، وليسَ هُناك موقفٌ لم نتعلم منه.. المواقف تخبرنا مَن يكون إلى جانبنا، ومن كذب علينا بأنه إلى جانبنا، ففي المواقف الصعبة يظهر الأصدقاء الحقيقيون، ويختفي الأصدقاء المزيّفون.. لا تحاول إرهاق نفسك مع شخصٍ لا يتغيّر مهما عملت معه، ستتعب أنتَ، وفي النهايةِ ستكتشف أنك لم تقم بشيءٍ.. لا تقدّس الآخرين، فمهما بدو لكَ ومهما كان لديهم من مالٍ وسلطةٍ ستكونُ نهايتهم كنهايةِ أيّ شخصٍ على هذه الأرض.. لا تنزل إلى مستوياتِ البعض، فالبعض مِن نشأته وهو يتربّى على القذارة، فلتترفع عنه، لا تجالسه، ولا تصادقه، ففي الابتعاد عنهُ خيرٌ لَك.. ولتكن أسرارك لك، فمهما وصلت الصداقة بينك وبين أحدهم لا تخبره بأيّ سرٍّ لك حتى وإن كان صغيرًا، فعند أوّل خلافٍ لكَ سيفضحك على الملأ وينسى أيام الودّ والصداقة التي كانت بينكم.. لا تكن مغرورًا لا ترى إلّا نفسك، ولكن اعلم أنه ليس عيبًا أن تحبّ نفسك، وليس عيبًا أن تفخر بعملٍ أنجزته، وهدفٍ حقّقته، ونجاحٍ وصلت إليه، ولكنّ العيب أن تفخر بنفسك وأنتَ بلا شيء..

المواقف السلبية التي تحدث معنا مع أحدهم لها جانبٌ مُشرق؛ فهي تكشف لنا جانبًا لم نكن نعلم عنه حتى نتجنّبه في المستقبل ولا نكرره مرةً أخرى.. لا تضع حواجز بينك وبين من أساء لكَ، فربما يومًا من الأيام يغيّر موقفه ويأتيك متأسفًا عمّا بدر منه.. كُن مستعدًا للمسامحة، فالأصدقاء الحقيقيون يظهرون في أوقاتِ المواقف الشديدة.. تأكد أن تكون في الوقت المناسب مَع من يحتاجك، احذر أن يغيّرك موقفٌ بسيطٌ تجاه صديقك أو زميلك، فربما لم يكن ذلك بإرادته، أو ربما لم يستطِع مساعدتك في الوقت الذي احتجتَ إليه.. قدِّر ظروف الآخرين، فيومًا من الأيّام ستوضع بنفس المكان الذي وُضِعوا فيه..

المواقف تجعلنا نغربل الأشخاص في حياتنا، ولكن لا تكُن قاسيًا كثيرًا مَع من حولك، وأعطهم فرصةً لتصحيح ما أخطأوا به.. الكثير من المواقف تجعلنا نراجع حياتنا وعلاقتنا بالآخرين، وهي التي تحدد مَن يظل في القلب، ومَن يرحل غير مأسوفٍ عليه.. لا تعتقد أنّ المواقف التي تواجهك جميعها تكون سيئةً، فإحداها قد تكون إيجابيةً وتتعلم منها.. لا شيء يحدث معنا دون أن نتعلّم منه.. صحيحٌ أنّ المواقف تؤثّر فينا كثيرًا، ولكننا حتمًا تعلّمنا أكثر، والتعلّم هُنا حتى لا نكرر ما حدث مرّةً أُخرى.. ليس هُناك مواقف صعبة ومواقف سهلة، فجميع المواقف التي تحصل معنا في الحياة مواقف صعبة، ولكنها تعتمد على مَن يتعامل معها، مَن يحوّلها لصالحه، ويحوّلها إلى شيءٍ إيجابيّ، ففي كلّ مرحلةٍ مِن مراحل الحياة تواجه مواقف أصعب من التي قابلتها من ذي قبل، ولكن مع الخبرة البسيطة لتعامل معَ هذه المواقف تستطيع أن تتجاوز هذه أيضًا، كلّ ما عليك هو أن تكون مستعدًا فقط؛ ليس فقط لأسهل المواقف، بل لأسوئها حتى لا تتفاجأ.. تأكد أنك إن لم تتعلم من المواقف التي تحدث معكَ فلن تتعلم مِن دونها، فالمواقف تكشف الكثير من الأشياء التي لم نكُن نراها.. لا تدع موقفًا يمرّ عليك إلّا وقد تعلّمت منه حتى يكون خبرةً في حياتك إذا واجهت مواقف أخرى مماثلة..

المواقف ما هي إلا تحدّياتٌ نواجهها في حياتنا.. ليس الأمر ألّا نواجه؛ بل أن نكون مستعدين لها للتعامل معها، ألّا تزعزعنا، أن نظلّ صامدين متمسكين بالأهداف التي رسمناها.. ومهما كانت المواقف لا نستسلم، فمن الغباء أن نعتقد أنّا لن نواجه مثل هذه الأشياء ونحنُ مازلنا على هذه الأرض، فالحياة مواقف وتحدّيات.. المواقف تجارب، فمنها الإيجابيّ ومنها السلبي، وتكمن قوّة الشخص في التعامل مع تلك المواقف، فلكلّ شخص طرقه وأساليبه في التعامل مع المواقف، فمنهم من يفشل فيؤثر فيه الموقف، ومنهم من ينجح فيحوله

لصالحه ويتعلّم منه في حياته كلّها.. الأمر ليس أن تصادفنا المواقف؛ بل كيف سيكون تعاملنا معها، وكيف نستطيع حلّها.. لا تعتقد أنّ الحياة مثالية، وأنّ الناس ملائكة.. لا تنصدم من أوّلِ موقفٍ في حياتك، وكُن مُهيأً لتلك المواقف التي تجعلك تراجع كلّ شيءٍ في الحياة؛ حتى نفسك، الأصدقاء، الأصحاب، الأسرة، والأحباب.. ستنذهل من المواقف التي تحدث معك، فقد يخونك صديق، ويغدر بك صاحب، لذا كُن مُهيَّأً ومستعدًا لذلك، ولا تستبعد حدوثها، فكلّ شيءٍ واردٌ في هذه الحياة، فمن تظنّه صديقك الآن ربما يكون عدوّك غدًا.. لا أحد يظلّ على مبادئه، فالناس يتغيرون بناءً على مصالحهم، ولا تعتقد أنّ أحدًا سيظلّ إلى جانبك لمجرّد أنكم أصدقاء.. عليك الاستعداد لذلك اليوم، وعند حدوثه لا تقف كثيرًا لتفكّر فيما حدث، بل عليك تجاوزه والخروج بأقلّ الخسائر الممكنة التي قد تلحق بك.. لا تتفاجأ بكلّ موقفٍ يحدث معك، فقط عليك الاستعداد لذلك، فالشيءُ الذي كنتَ تظنه مستحيلًا قد يحدث في لحظةٍ، والأمر لا يعتمد على تصديقك؛ بل على تعاملك معها وتجاوزها.. كلّ موقفٍ يحاول إيقافك وإرجاعك إلى الخلف لا تستسلم له؛ بل حاول إيجاد الحلول حتى لا تخسر ما بنيته، ولا تكن كمن يبني وعندما لا يستطيع إيجاد مكانٍ لحجرته التي يودّ طرحها يهدّ المبنى بأكمله.. حافِظ على ما بنيته، وإياك والتوقف أو الاستسلام لمواقف تافهةٍ! وإن كانت قويّةً فثق بقدراتك على تجاوزها.. فالمواقف هي ما تجعلنا نقف على أرجلنا في الحياة، ولولا التجارب التي نمرّ بها في الحياة لكان سقوطنا من أوّل موقفٍ نصادفه.. إن كان هناك أحدٌ يستطيع مساعدتك فاطلب مساعدته، ولا تكن أنانيًا، فربما تجاربه في الحياةِ أكثر من تجاربك، وقد يستطيع إنقاذك مما أنتَ فيه.. فقط عليك البحث عنه.. لا تستهِن بقدراتك في مواجهة المواقف الصعبة، فقد يكون لديك قدرات ولكنكَ لا تستخدمها؛ لأنه لم يحِن وقتها بعد، فعندما يحين الوقتُ قِف صَلبًا وأظهِر مدى قوّتك في مواجهة الصعاب والتحدّيات.. لا تصدِّق الأشخاص الذين يُثرثرون كثيرًا؛ بل انظر إلى أفعالهم.. أما الكلام؛ فهو لم يعد يقدّم ولا يؤخّر، سوى الكذب على الذي لايزال يصدّق كلّ ما يسمع.. كُن أنتَ الحَكَم على كلّ كلامٍ تسمعه، وبعد ذلك انظر إلى الأفعالِ هَل تتطابق مع الأقوال؟! وليكن الحكم بعد ذلكَ لَك.. وتأكد أنّ المواقف هي ما ترينا طبيعة الآخرين وهَل ما يقولونه يفعلونه أو لا..

في كلّ موقفٍ تصادفه تصرّف معه بحكمة، ولا تتصرف معَ المواقف بأكثرِ مما تستحقّ، ولا تتصرف معها كأنها من الأشياء البسيطة التي قد تمرّ بكَ، وليكن تصرّفك معها حسب الموقف.. تجاوز المواقف التي تحاول

إعاقتك، ولكن إياك والتساهل بها.. في المواقف الصعبةِ تعرَّف على مَن هو صديقك الحقيقيّ ومَن هو الشخص الذي يقف إلى جانبك، ستعرف حينها هل كانت اختياراتك صحيحةً في الأصدقاء أو لا، وستعرف حينها من كان إلى جانبك فقط وقت الرخاء وعندما أتى وقت الشدّة ابتعد ولم تعُد تراه.. لا تنظر لكلّ موقفٍ من المواقف التي تصادفها بأنها شيءٌ سلبيّ؛ بل خذها على أنها شيءٌ إيجابيّ وتعلّم منها واستفد منها، فلو لم تحدث لما عرفتَ أشياء كُنتَ لا تراها أبدًا.. لا تصدّق كلّ مَن أصبحَ مُهرّجًا بالكلام فقط، فالبعض ليس لهم إلا الكلام فقط، ولكن عندما تنظر إلى مواقفهم تجدها عكسَ ذلك.. لا تكُن ممن ينظر إلى البداياتِ فقط، ففي النهايات تجد ما كنتَ تبحثُ عنه؛ فقط انتظر وسترى، فبعض الأشياء تستحقّ الانتظار.. لا تفرح كثيرًا بكلامهم المعسول الذي تسمعه منهم، انتظر قليلًا واختبرهم، وإن نجحوا فهُم يستحقّون الجلوس إلى جانبك، فعندما تمرّ بكَ ضَائقةٌ ستعرف حينها مَن كان صادقًا بأقواله وأفعاله، وتعرف مَن كان كاذبًا أيضًا، فالأشياء ليست دائمًا بالأقوال؛ بل بالأفعال، فالصديق الحقيقي هو مَن يكون إلى جانبك عندما تمرّ بمواقف صعبةٍ لا تستطيع النهوض منها، يأتي إليك فيمدّ يده إليك لينتشلك مما أنتَ فيهِ ويعيدك إلى ما كُنتَ عليه.. فالمواقف تعلّمنا أشياء لم نكُن نتخيّل أننا سنتعلّمها، فهي تبيّن الصديق مِن العدوّ، والصادق مِن الكاذب، والخائنِ مِن الأمين، والكلام من الأفعال.. المواقف هي ما تجعلك تُعيد النظر في الكثيرِ من الأشياء؛ بل ربما تتغيّر حياتك كُليًّا بعد موقفٍ ما.. أحيانًا يجب علينا أن نصنع مواقف لكي نختبر أحدهم، ونرى مصداقية البعض، ونكشف القناع عن البعض الآخر؛ لنعرفَ مَن كان إلى جانبنا بصدقٍ، ومن كان يكذب، لنعرف من كان يحبّنا، ومن يكرهنا، لنعرف الصديق الحقيقي، والصديق المزيف، لنعرف أحدهم على حقيقته وكفى..

****

القناعة
كنزٌ لا يفنى

القناعةُ هي الرضا بكلّ ما نملكه، بما هو لدينا، وألّا نظلّ قلقين على ما يمتلكه الآخرون.. القناعة أن تكون سعيدًا بما تملك، فرحًا بما حقّقتَ، مسرورًا بما أنجزت.. القناعة أن يكونَ لدينا القليل من الأشياء، ولكننا مقتنعين وسعيدين بها.. القناعة يجب أن تكونَ موجودةً فينا، فهي تُشعرنا بأن لدينا الكثير رغمَ امتلاكنا القليل.. القناعة تملأ القلب طمأنينةً ورضا.. القناعة نقيض الجشع، فلو لم نملكها لظللنا نلهث وراء أشياء كثيرة نراها عند الآخرين ونسعى لها، وننسى ما هو لدينا، وتفارقنا حينها السعادة التي نملكها، فالطمع ينمّي في نفسك حبّ المزيد، ومهما امتلكتَ من أشياء ستسعى للمزيدِ ظنًّا مِنكَ أنّكَ لم تحقق ما تريد.. ولو عُدتَ إلى ما لديكَ لوجدتَ ما تبحثُ عنهُ، ولكنه الطمع.. كُن قنوعًا بما لديك، راضيًا بما حققت.. لا تظل تلهث وراء أشياء تعرف أنها ليست لك، وربما لو صبرتَ قليلًا ستأتي إليك طواعيةً.. فقط كُن صبورًا قنوعًا، فالقناعة استقرارٌ نفسيّ وصبر ورضى على ما سيأتي.. القناعة ثروة بحدّ ذاتها، إذا امتلكتها تجعلك ترى كلّ ما لديكَ عظيمًا، ولا تحتاج إلى النظر للآخرين ومعرفة ماذا لديهم وماذا يملكون.. القناعة تشعرك بأنك أغنى الناس، ولا أحد يمتلك ما تملكه، ولا أحد يعيش كما تعيش؛ هكذا تشعرك القناعة عندما تمتلكها.. أطماع الدنيا كثيرة، ولا أحد -مهما عاش- يصل إليها وإلى كلّ ما يريده، والقناعة هي ما تجعلنا نشعر أنّ كلّ ما نريده نملكه.. القناعة تبعدنا عن أمراضٍ كثيرة؛ ليس أولها الحسد، ولن يكون آخرها الغيرة والطمع.. القناعة طمأنينةٌ

للقلب، وسكينة للنفس، وشعورٌ بالسعادة، وإيمان بالقضاء والقدر، وحاجز بين الأطماع، وحرز من الكراهية، ووقف ضدّ الحسد، ورضى بالموجود.. لا تترك ما لديك وتبحث عن أشياء تعلم أنها لن تكون من نصيبك.. اسعد بما لديك، وكُن قنوعًا بها، وليكن قلبك راضيًا مُطمئنًا لا يطاله القلق والتوتر؛ فهي تميته.. لا تفكر بشيءٍ لا تستطيع الوصول إليه، وتأكد أنه لوكان لك نصيبٌ في شيءٍ ما فستحصل عليه.. سَلَمَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا) [رواه البخاري].. إذن لِمَ الشكوى وأنت تملك كلّ هذه النعم الموجودة؟! مَن مِنّا لا يريد أن يأمن على أسرته؟ ومَن مِنّا لا يريد العافية له ولعائلته؟ ومَن مِنّا لا يريد أن يكون لديه ما يحتاجه ليأكله بدون ما يمدّ يده للآخرين؟! فهذه النعم أهمّ ما يحتاجه الإنسان، وأما الأشياء الأخرى؛ فهي كماليات.. وتأكد أنّ ما هو لك سيأتيك، وما هو مقدّرٌ لك سترزق به، ولا تنسَ أنّ الله سبحانه وتعالى يقول ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات – ٥٨].

كلّ شيءٍ إلى زوال، وكلّ شيءٍ يتغيّر، لا شيء يدوم على ما هو عليه، فالفقير قد يكون غنيًا، والغني قد يكون فقيرًا.. عليك أن تكون قنوعًا في كلّ الأحوال.. انظر إلى من حولك ممّن يعيشون حياتهم راضين بما قسمه الله لهم مقتنعين بما لديهم، يعيشون الحياة بأريحيةٍ وسعادةٍ، لا يبحثون عن أشياء ليست لهم، يتسلّحون بالرضا، ويعيشون بقناعة.. قد ينتاب الإنسان شعورٌ أنه يريد أن يمتلك كلّ شيءٍ ويسعى بكلّ الوسائل، ولكنه يكتشف في النهاية أنه لم يعش حياته كما يريد؛ بل عاشها لاهثًا وراء أشياء لم تكن له، فالقناعة تقينا من الطمع، وتحمينا من الجشع، وتجعلنا نرضى بما لدينا وكأننا نملك كلّ شيء.. نحنُ دائمًا نريد أن نكون الأفضل، وهذه طبيعة النفس البشرية، ولكن لو نظرنا لمن هم دون مستوانا لرضينا بكلّ شيءٍ، ولشكرنا الله كثيرًا على ما نملكه، ولا نريد المزيد، فالإنسان دائمًا يُقارن نفسه بأكبر مما يستطيع الوصول إليه، ولو قارن نفسه بما هو دونه لحمد الله كثيرًا وشكره أكثر؛ لأنه أعطاه ورزقه كلّ ما لديه.. هناك فرقٌ بين الطموح والجشع.. مِن حقّ الإنسان أن يطمح ويكون لديه المزيد من الأشياء ويحقق المزيد من الإنجازات في حياته، ولكن في خضمّ الوصول إلى ما يريده تضيع حياته بدون أن يستمتع بها أو حتى يسعد بلحظاتها الجميلة.. لا أحد يرضى أن يظلّ في مكانه، فالإنسان دائمًا يسعى إلى التطوّر، والنفس البشرية تريد المزيد والمزيد، ومهما حصلت عليه لن تقتنع، فكلّما حصلت على شيءٍ بحثت عن الآخر، وتضيع الحياة ونحن لا زلنا لم نصل إلى ما نريد.. لا تجعل

حياتك ركضًا وراء أشياء ربما لن تصل إليها، وربما تفقد ما لديك بسببها.. عوِّد نفسك على القناعة والرضا، فبهما ستكون ملكًا في نظر نفسك، وهذا الأهم..

القناعة ليس أن نتعلمها، ولكن لنرضَ بما يكون معنا، قنوعين بما معنا، راضيين بما حققنا.. اقنع بما تمتلكه وما هو بين يديك، وليس ما هو بين يدي غيرك.. لا تنظر لشيءٍ ليس لك.. لا تحسد الآخرين على ما لديهم، ولكن نافسهم بإصرارك وعزيمتك لتكونَ أحسن منهم..

في الختام؛ سأذكر لكم قصّةً تعبّر عن الرضا والقناعة التي يجب أن نكون عليها:

يُحكى أنّ في قريةٍ صغيرةٍ عاشت أرملة فقيرة مع طفلها الصغير حياةً بسيطةً متواضعة للغاية.. كانت لا تمتلك إلا قوت يومها، وحياتها كانت صعبةً جدًا.. عاشت هذه الأسرة الصغيرة في حجرةٍ فوق سطح إحدى البنايات.. وعلى الرغم من هذه الظروف؛ إلا أنّ الأمّ والابن كانوا يتمتعون بالرضا والقناعة، لكن أكثر ما كان يزعج الأم هو موسم الشتاء عندما تبدأ الأمطار بالسقوط، فالغرفة التي تعيش فيها مع ابنها عبارة عن أربعة جدران، وبها باب خشبيّ، ولكن ليس لها سقف..

كان الطفل يبلغ من العمر أربع سنوات، وكانت القرية طوال هذه السنوات الأربع لم تتعرض إلا لزخّاتٍ خفيفةٍ من المطر، ولكن في هذا اليوم هطلت الأمطار بغزارةٍ شديدةٍ، وامتلأت سماء القرية بالغيوم والسحب الداكنة.. ومع هذه الأحوال الجويّة الصعبة والمخيفة احتمى الجميع بمنازلهم، ولكن كان على الأرملة وابنها الطفل أن يواجهوا هذا الموقف العصيب بمفردهم.. نزلت دموع الأم وهي تنظر إلى طفلها ولا تدري كيف تحميه من الأمطار الغزيرة.. احتضنته وكأنها تخبئه بداخلها، ولكنّ جسد الأم وثيابها كان غارقًا في البلل..

خطرت على بال الأم فكرةً فقامت إلى باب الغرفة فخلعته ووضعته مائلًا على أحد الجدران، وخبّأت الطفل تحت هذا الباب حتى تحجب عنه سيل المطر المنهمر، فما كان من هذا الطفل إلا أن نظر إلى والدته وقال لها في سعادةٍ بريئة وقد علت وجهه ابتسامة رضا: "ترى ماذا يمكن أن يفعل الفقراء -يا أمي- في هذه الظروف الصعبة عندما يسقط عليهم المطر وهم ليس لديهم باب؟!".. تخيّل أنّ هذا الطفل الصغير شعر أنه من الأثرياء وأنه ينتمي إلى طبقة الأغنياء لمجرد أنه يمتلك بابًا يحميه من المطر، وبالتالي فقد فكّر في حال الفقراء الذين لا يمتلكون هذا الباب الذي يحميه.. ما أجمل الرضا! إنه مصدر السعادة وراحة البال..

****

النجاح
هل هو فشل الآخرين؟

لا أحد في هذا العالم لا يريد أن ينجح، فعندما تسأل هذا السؤال لأيّ شخصٍ تلقاه "ماذا تريد في هذه الحياة؟"، فسيقول لك ومن دون مقدماتٍ أو تفكير "أريد أن أنجح وأحقق كلّ ما أريد"، ولكن ما هو النجاح؟!

النجاح خليطٌ بين جهدٍ ومثابرةٍ وإصرارٍ وعزيمة.. النجاح تحقيق الأهداف التي رسمناها في بداية المشوار.. النجاح ليس بتقليد الآخرين، وليس بسرقة نجاحاتهم ونسبها إليك، النجاح مساره الإصرار والعمل والجهد.. النجاح لن يتحقق في ليلةٍ وضحاها؛ فطرقه كثيرة، والمصاعب التي تواجهك كبيرة، ولكن إن صمّمتَ على النجاح حتمًا ستصل إليه..

لا تيأس! فالمشاكل التي تواجهك حوّلها إلى صالحك، واجعلها فُرصًا في المستقبل.. احذر أن يكون نجاحك على حساب الآخرين، فذلك فشلٌ وليس نجاح.. لا يكون نجاحك بتحطيم زميلك في العمل؛ بل كُن دافعًا وحافزًا له لينجح كما فعلت.. لا تجعل نجاحك يدفعك إلى الغرور والتكبّر؛ بل انظر إلى مَن ساعدكَ، من مدّ لك يد العون والمساعدة وأنت في الطريق إلى النهاية التي وضعتها.. لا تنسَ كلّ هؤلاء، وتذكر أنّهم كانوا إلى جانبك عندما احتجتهم.. كُن كما هُم، وكُن إلى جانبهم عندما يحتاجون إليك.. النجاح أن تنجح أنت وزميلك، وليس أن تنجح أنتَ وتحاول إفشاله.. دائمًا البدايات تكون صعبةً، ولكن إياك أن تستسلم، ولتمضِ

قُدُمًا، فالنجاح يكون في النهاية وليس في منتصف الطريق.. ليس نجاحًا أن تنجح على ظهور الآخرين، ابنِ لك نجاحًا بنفسك.. ما دمت تمتلك العزيمة والإصرار؛ فستنجح.. قاوم كلّ ما يزعجك وحاول تجاوزه.. لا تتعثر وأنت في طريق تحقيق أهدافك بتوافه الأمور؛ فهي لن تؤثر فيك، ولكنها حتمًا ستُعيقك، ولكن إياك أن تتوقف! وإن توقفتَ لا تقف كثيرًا، ولتكن استراحة محاربٍ لتبدأ أقوى من ذي قبل.. المحطات التي تمرّ بها وأنت في طريقك إلى هدفك لن تخلو من التعب والإرهاق والتوقف، ولكن احذر أن تستسلم إذا أردتَ الوصول إلى القمة..

في طريقك إلى النجاحِ قد تفشل، ولكن إياك أن تستسلم، فمن الفشل نتعلّم، ومَن لا يفشل لا يتعلم.. عليك أن تعرف كيف تستغلّ فشلك ليكون حافزًا ودافعًا لك عندما تبدأ في المرّة القادمة لتتجنبه.. الطريق سيكون مُتعبًا ومرهقًا.. ستتوقف، ولكن إياك أن تستسلم، ففي النهاية يكون النصر على كلّ ما مررت به، ولن تنعم بالفوز وتفرح به إلا إذا واجهت الصعاب.. تأكد أن يكون لديك الحافز والدافع الذي يجعلك لا تنام من أجل تحقيق النجاح الذي رسمته.. احذر أن يكون النجاح الذي تريده مجرّد أحلامٍ وأمانٍ؛ بل اجعله واقعًا من خلال إعداد خطّةٍ والالتزام بها، فالناجح ليس مَن يقول "أنا أريد أن أنجح"؛ بل من يقول "هأنا بدأتُ في مشواري إلى النجاح".. تحتاج إلى العزيمة والإصرار، فبدونهما لن تحقق النجاح.. ضع أهدافًا، وفي كلّ فترةٍ وأخرى قيّم تلك الأهداف؛ لتعرفَ أين وصلت وماذا حققت وأين أخفقت، لتعالج الخلل الذي طرأ عليك..

لا تعتقد أنك ستنجح من أوّل محاولة، فالنجاح يحتاج إلى الإصرار مرةً ووراء مرّة، فإن استسلمت من أوّل محاولةٍ فأنت لا تريد النجاح.. فالناجحون يحاولون مرّةً ومرتين وثلاث وأربع وعشر؛ حتى يحصلوا على ما يريدون.. النجاح ليس بالأقوال، ولكنه بالأفعال.. احذر أن يكون لديك مبررات لعدم نجاحك، فمن هُنا يبدأ الفشل.. اجعل مِن كلّ فرصةٍ صغيرةٍ فُرصةً كبيرةً لتنجح.. اقرأ وشاهد نجاحات الآخرين واستفد منها، وانظر إلى الصعاب التي واجهوها خلال مسيرتهم، واعلم أنّ إصراراهم هو من أوصلهم إلى القمة.. القمة تحتاج إلى جهدٍ مُضاعف؛ جهدٍ لم تبذله من قبل.. لا تكُن كسولًا، فالكسل يقضي على النجاح؛ بل يجعله لا ينبت فينا أبدًا.. لا تجعل الفشل محطّةً للاستسلام وتقول بأنّك لم تنجح، فربما يكون محطّةً للتزود بالوقودِ لتنطلق أسرع من السابق، فمن الفشل نتعلّم.. لا تتردد إذا أردت أن تنجح، احزم حقائبك وانطلق، فالوصول إلى القمة يحتاج إلى النشاط المتواصل.. تذكر بأنك لن تنجح وحيدًا، فقد يوجد لديك الكثير ممن ساعدوك في

الوصول إلى القمة من أصدقاء وزملاء وقبل هذا الأسرة، فلا أحد ينجح بدون مساعدةِ هؤلاء، وعُد إلى قصص الناجحين وستراهم يدينون بنجاحهم لأحدٍ ما، ومهما ادّعى شخصٌ ما بأنه نجح وحيدًا تأكّد بأنه يكذب، فالنجاح يحتاج إلى المساعدةِ والإرشاد والتوجيه.. إذا اصطدمت بحاجزٍ في المنتصفِ فحاول من طريقٍ آخر، ولكن إياك أن تتوقف، فربما القمّة تكمن في الخلف؛ فقط عليك المواصلة.. لا تحزن إذا فشلتَ مرّاتٍ عديدة، فربّما لم تكُن مُستعدًا بعد، وعندما تستعدّ بالشكل الصحيحِ سيكون الطريق سالكًا وبدون أيّ عوائق.. يجب أن يكون لديك أبعد من النجاح الذي تريد أن تصل إليه، ولما لا؟! إن تطمح كثيرًا ففي يومٍ من الأيام ستصل كما وصلت إلى النجاح، فقط عليكَ أن تكون مستعدًا.. تجاهل كلمة "مستحيل"؛ بل احذفها من قاموسك، وتأكد أنّه لا شيء مستحيل، فمن أراد الوصول إلى شيءٍ ما سيصل إليه.. احذر من مرافقة المحبطين والفشلة الذين يحاولون ثنيك عن رغبتك في النجاح، دعهم في الطريق واسلك طريقًا آخر؛ حتى وإن كُنتَ وحيدًا، وتأكّد أنّك في الاتجاه الصحيح.. البعض لا يريد أن ينجح بقدر ما يريدك أن تفشل.. وعند وصولك إلى القمة احتفل وافرح بما حققته وأنجزته بما كنت تراه صعبًا، وربما وصل بكَ الحال إلى أن تصفه بالمستحيل.. ابحث عمّن كانوا إلى جوارك، من كانوا يساعدونك، من كانوا يمدّون لك يد المساعدة وأنت مرهقٌ في طريق الوصول إلى القمة، لا تنسَهُم، وتذكّر أنّهم كانوا جزءًا مِن نجاحك، ولا أكذب إن قُلتُ لك أنّ لهم الجزء الأكبر من النجاح الذي حققته.. لا تنكر فضلهم عليك، وإياك ونكران الجميل وأن تأخذك العزة وتقول أنّ ما حققته كان بمجهودك الشخصيّ، فمن هُنا سيبدأ سقوطك، ولن تجد فيما بعد أحدًا يمدّ لك يديه ليرفعك مِن على الأرض.. اشكرهم، وقدِّم لهم الامتنان لكلّ ما قدموه لك..

لا تبنِ نجاحًا لا تستطيع أن تصل إليه.. من حقّك أن يكون لديكَ طُمُوحٌ كبير، ولكن تأكد أنّ كلّ شيءٍ يبدأ صغيرًا ثمّ يكبر، فلا شيء بدأ كبيرًا.. النجاح درجات، ولم يأتِ مرّةً واحدةً.. هذا ليس إحباطًا لك؛ بل هو قاعدةٌ مِن قواعد النجاح.. ضع لكَ أهدافًا، ومن الأهداف أن تصل إلى النجاح، ولكن تأكد أنها واقعية وليست خيالية حتى تصل إليها، وعندما تصل إليها ابنِ لك أهدافًا ونجاحًا آخر أكبر من السابق.. النجاح لن يأتيكَ إلى الباب ليطرق عليك الباب ويقول لك "هأنا أتيت"؛ بل عليك أن تسعى إليه بكلّ الطرق والوسائل المتاحة.. أيّ شيءٍ يستطيع مساعدتك في الوصول إلى النجاح استخدمه، لا عيب أن تسأل الآخرين

عن تجاربهم، وتقرأ وتستشير البعض منهم في بعض الأمور التي تحتاج لها.. لا تكُن أنانيًا، أشرِك الآخرين في نجاحك، اجعلهم جزءًا مِنه، فلا أحد ينجح بدون مساعدة.. لا تحكم على نفسك بالفشل من أوّل محاولة.. غيّر الأسلوب والطريقة التي تعاملت بها في المرة السابقة، وسترى الفرق بعد ذلك.. وتذكر أنّ الفشل لا يعيقنا بقدر ما يكون حافزًا ودافعًا لنا للنجاح، فنحنُ مَن نعيق أنفسنا ونحاول الاستهانة بأنفسنا، فهذا هو الفشل الحقيقي وهو تهديم النفس.. كُن أنت محفزًا لنفسك ومشجعًا لها وتأكّد أنّه لا أحد سيأتي لينتشلك مما أنت فيه إلا أنت، ولا أحد يريد أن تنجح إلا أنت.. اعمل بصمتٍ واجعل الآخرين يرون نجاحك واقعيًا، فالبعض -وإن كانَ يقول لك بأنّه يشجعك- لا يريد أن تكون أفضل منه، فيحاول قدر المستطاع أن يعيقك.. إياكَ أن تتوقّف! واصل! فالطريق ممهّدٌ لك، وستصل حتمًا.. لا تعتقد -وأنت في طريقك إلى النجاحِ- بأنّكَ لن تتعب ولن تيأس ولن تفشل، فهذه الأشياء هي ما تجعل النجاح حلوًا كالسكر عند الوصول إليه، فالصعاب والتحديات هي ما تجعل النجاح حلوًا، ولولاهم لما كان للنجاح طعمًا ومذاقًا عند الوصول.. الانتصار الحقيقي يكمن في التغلّب على الصعاب والتحديات، أن لانُهزَمَ أمامها، ولا نستسلم لقوّتها؛ بل تكون دافعًا كبيرًا لنا، فلا نجاح بدون مواجهتها، ولذّة النجاح الحقيقة تكمن في التغلّب عليها..

كنصيحةٍ أخيرةٍ: لا تمشِ في طريقٍ لا تعرف وجهته، فقد يكون الفشل منتظرًا في الاتجاه المقابل.. بل ضع أهدافًا وحقّقها واحدًا تلو الآخر حتى تصل إلى القمة..

****

التميز على الآخرين
بالعمل قبل القول

لكلّ شخصٍ شيءٌ يميّزه عن الآخرين.. لا تبحث عن شيءٍ ينقصك عند الآخرين؛ بل ابحث عنه في نفسك فربما تجده.. قد تتمنى في وقتٍ من الأوقات أن يكون لديك ما لدى الآخرين، ولكن لو نظرت إلى الجانبِ الآخر؛ فستجد أن الآخرين أيضًا يتمنون أن يكون لديهم ما لديك، فلا أحد مكتملٌ، ولا أحد لديه كلّ شيء.. فكلّ شخصٍ يكمل الآخر.. لن تستطيع التميّز في كلّ شيءٍ، ولن تستطيع تعلّم كلّ شيءٍ، فكلّ شيءٍ له اختصاص، فالمدرّس لديه ما يميزه عن الطبيب، والطبيب لديه شيء يميّزه عن المهندس، والمهندس لديه شيء يميزه عن الطيار، والطيار لديه شيء يميزه عن الجندي، والجندي لديه شيء يميزه عن الشخص العادي.. لن تستطيع الجمع بين كلّ هؤلاء، ولكن اعلم أنّ لديك شيئًا يميّزك عن كلّ هؤلاء، ولكن ابحث عنه في نفسك ولا تبحث عنه في الآخرين، وتأكد أنّ هناك شخصًا يتمنّى أن يكون لديه ما لديك، فطبيعة النفس البشرية تتمنى المزيد، وتتمنى التميّز، وتسعى للأفضل في كلّ شيءٍ رغم معرفتها أنّ هذا من المستحيلات، فلا أحد يستطيع أن يعمل أو يتميز في جميع الأشياء، ولا يستطيع أن يمتلك كلّ ما لدى الآخرين، ولكن لو اقتنع بما لديه وبحث عن كلّ الأشياء التي تميّزه عن الآخرين فربما يقتنع حينها.. ابحث عمّا ينقصك في نفسك، ومن ثم ابدأ بالتعلّم والتطوّر لتصل إلى المستويات التي وصل لها الآخرون، وتذكّر أنه لا أحد يتعلّم كلّ شيءٍ، ولا أحد يمتلك كلّ شيءٍ، وكُن راضيًا بما لديك..

يجب أن تجلس مع نفسك، وتعقد معها جلسة مناقشةٍ تعرف خلالها ما الذي تتميز به عن الآخرين، مهاراتك، وقدراتك، والخبرات التي لديك، ومن ثمّ ابدأ العمل عليها.. ضَع خُطّةً وقُم بمراجعتها لتعرف إلى أين وصلت، وما النتيجة التي حصلت عليها، وما هي الإيجابيات، وما هي السلبيات، وماذا عليك أن تفعل في المرّة المقبلة، وما الذي عليك تغييره حتى تكون في المسار الصحيح.. يجب أن يكون لديكَ شيءٌ يميزك عن الآخرين.. اشعر بقيمتك، ولا تستهِن بقدراتك، ولا بما تستطيع فعله.. تميّز عن غيرك، فكلّ إنسانٍ لديه ما يميزه عن الآخر، وإن ادّعيت أنه لا يوجد ما يميزك؛ فقط ابحث وستجد شيئًا تتميز به، فقد يكون ما يميزك موهبة ليست موجودةً لدى الآخرين.. تميّزك عن الآخرين لا يعني أن يكون لديك أشياء خارقة لا توجد لدى الآخرين، فقد تتميز بابتسامتكِ الصادقة، بروحك السمحة، وقد يكون ما تتميز به عن الآخرين بأنك قابلٌ للتعلّم، تتعلّم من الأخطاء، تتعلم من الآخرين، تتعلّم أشياء جديدة لا أحد تعلّمها من قبل.. قد يكون تميّزك من خلال أدائك في العمل وسرعة إنجازك للمهام الموكلة إليك.. ليس شرطًا أن يكون لديك أشياء خارقة للطبيعة، فربما الأشياء التي تتميز بها توجد لدى الآخرين، ولكنهم لا يستغلونها كما تستغلها أنت، وأصبحت بذلك تتميز بها.. التميّز أن تضع بصمتك في كلّ عملٍ تقوم به، أن تعمل بشغفٍ وحبٍّ لما تقوم به، أن ينظر إليكَ الآخرون ويقولون لكَ أنتَ تتميز في هذا الشيء ووحدك من تستطيع فعله.. كُن واثقًا بنفسك، فالثقة مهمّةٌ، وهي واحدةٌ من طرق الوصول إلى التميز، فإذا لم تملك الثقة لن تصل إلى ما تريد.. الكثير تسمعهم يقولون "لدينا الثقة"، ولكنهم لا يستطيعون التميّز، وآخر يقول "لديّ الثقة"، ويعرف كيف يستخدمها، فهُنا يكمن الفرق، فليس كلّ مَن يملك الثقة متميزًا، فقط اعرف كيف تستخدمها وسترى الفرق.. الأمور ليست دائمًا بالأقوال؛ بل يجب أن تكون بالأفعال على أرض الواقع، بالعمل، بالجهد، بالإخلاص..

التميّز هو بذل الكثير مِن العمل والجهد من أجل الوصول إلى ما تريد.. وهذا ثمن التميّز، فالتميز لا يأتي في ليلةٍ وضحاها، بل يحتاج إلى جهدٍ مضاعفٍ، إلى مرونةٍ في التعامل، وتفكيرٍ قبل البدء.. اختر مجالًا وتميّز فيه، اجعله دائمًا في بالك، اجعله من الأولويات بالنسبة لك.. لا تتشعب كثيرًا وتختار أكثر من مجال، وإن كنتَ تستطيعُ فِعلَ ذلك فأنا أشجّعك، ولكن تميّز في مجالٍ واحدٍ، ففي التشتت يضيع الكثير من الجهد بدون تحقيق ما تصبو إليه.. التميز أن يكون لديك الرغبة أكثر من أيّ شخصٍ آخر للعمل وبذل المزيد من الجهد لتعلم

شيءٍ جديدٍ وأشياء لا أحد تعلّمها من قبل، لتكون بذلك متميزًا بها.. ومهما عمل الآخرون للوصول إلى ما وصلتَ إليه لا يستطيعون؛ لأنك الوحيد الذي تتميز بهذه الأشياء.. اعمل عليها، طوّرها، اتعب قليلًا لتتميز بها في المستقبل..

الطريق ليست مُغلقةً أو مستحيلةً لمن أراد الوصول إلى التميّز؛ فقط عليه أن يعرف كيف يصل إليها.. الطريق لا تغلق بوجه مَن يريد الوصول إلى القمّة.. عليك فقط أن تشحذ الهمم وستصل، فالشيء الذي تبحث عنه ستجده ينتظرك في القمّة.. ليس دائمًا التميز يرتبط بما تستطيع فعله من خلال مهاراتك وقدراتك؛ بل حتى بما تستطيع التأثير به في مجتمعك مَع من حولك، فمهاراتك الشخصية مهمةٌ جدًا للوصول إلى التميّز، عليك فقط أن تستغلها وتعرف كيف تستخدمها لصالحكَ لتتميز عن الآخرين.. لن تستطيع التميّز إذا كنتَ غير مؤمنٍ بذلك في نفسك، أن تشعر به، تسعى إليه، وتبذل كلّ ما تستطيع للوصول إليه.. ستتعب في البداية، ولكنك ستفرح في النهاية؛ فقط عليك المواصلة، ولا تتوقف أبدًا..

لا يجب أن تعمل ما يعمله الآخرون؛ بل أَضِف عليه حتى تتميز به.. لا يجب أن تقول كلامًا فقط؛ بل ونفّذه، اجعله على أرض الواقع.. لا يجب أن تكون كسولًا؛ بل مبادرًا لكلّ فعلٍ أو عمل.. لا يجب أن تعمل فقط؛ بل يجب أن تحبّ عملك وتبدع فيه حتى تتميز به.. لا يجب أن تكون ناجحًا فقط؛ بل ومتميزًا أيضًا.. لا يجب أن تكون صادقًا فقط؛ بل وأمينًا وخلوقًا أيضًا.. لا يجب أن تكون قائدًا فقط؛ بل ومؤثرًا أيضًا، فما تفعل بالقيادة إذا كنتَ غير مؤثر؟!

يجب أن تكسب أكبر قدرٍ من المعرفة والاطلاع؛ حتى تتفوق على الآخرين.. اقرأ كتبًا لم يقرأها أحد، اعمل أشياء لا أحد قام بها من قبل.. اجعل خبراتك في الحياة كثيرة حتى تستطيع التعامل معها.. كُن جادًا فيما تعمله وفيما تقوله.. التميز أن تجد حلًا لمشكلةٍ ما غير الذي أوجده الآخرون.. التميّز ينمّ عن الأشخاص المبادرين الذين يبذلون جهدًا أكثر مما يبذله الآخرون، يعملون أكثر مما يعمل الآخرون، يساعدون الآخرون بدون أن ينتظروا منهم الشكر؛ لأنهم يعلمون أنّ ما قاموا به ليس من أجل الشكر الذي سيتلقونه؛ بل من أجل أنفسهم، يشعرون حينها براحةٍ نفسيةٍ تملأ قلوبهم.. التميّز يعني المرونة في التعامل مع الأمور، وحلّها بطرقٍ غير تقليدية.. التميّز أن تفكّر ليس بما يفكر به الآخرون؛ بل بتفكيرٍ مختلفٍ.. التميز أن يكون لديك أكثر من خيارٍ في التعامل مع موقفٍ واحد..

هناك قصّةٌ جميلةٌ أودّ أن أختم بها؛ تقول:

أنّ ملكًا كان يحكم دولةً واسعةً جدًا.. أراد الملك يومًا من الأيام القيام برحلة بريةٍ طويلةٍ داخل مملكته، وبعد الانتهاء من رحلته وخلال عودته منها وجد أنّ أقدامه تورّمت بسبب المشي الطويل في الطرق الوعرة، فأصدر مرسومًا يقضي بتغطية كلّ شوارع مدينته بالجلد من أجل ألا يحدث معه ما حدث مرّةً أخرى.. وفي تلك اللحظة ظهر التميّز من خلال رأي أحد مستشاريه الذي أشار عليه برأيٍ أفضل، وهو القيام بعمل قطعةِ جلدٍ صغيرةٍ تحت قدميّ الملك فقط بدل القيام بتغطية كلّ الشوارع.. ومن خلال رأيه الذي أشار به على الملك تميّز على الملك، وهُنا ظهرت براعة وحنكة مستشاره وتميّزه على ملكه بالرأي والمشورة..

****

التكنولوجيا
لا تفسد المجتمعات؛ بل المجتمع من يسيء استخدامها

لماذا نحمّل سوء الاستخدام على التكنولوجيا؟! التكنولوجيا لم تكن يومًا سببًا في استخدامنا السيئ لها؛ بل نحن من أسأنا استخدامها.. التكنولوجيا وُجِدَت لتواكب التقدّم الحاصل في جميع المجالات.. ولو لم يكن هناك تكنولوجيا لبقينا وكأننا مازلنا في القرن التاسع عشر.. صحيحٌ قد يكون لها آثار سلبية واستخدامات أسوأ، ولكن ليس عيبها؛ بل عيب من يستخدمها.. لا أحد يستطيع العيش بدون تكنولوجيا، فهي تعتبر من ضروريات الحياة في هذا العصر، ولا أحد ينكر كيف سهّلت الحياة وجعلت التواصل بين العالم سهلًا جدًا، كيف سهّلت الأعمال، وجعلت ما كنت تنجزه في أسابيع تستطيع إنجازه في أيامٍ قلائل، لكن من المهمّ أن نعرف أنها أتت لتساعدنا؛ لا لتجعلنا أسرى لديها.. لا أعرف لماذا يشتكي البعض من الاستخدام السيء للتكنولوجيا! وكأنّ التكنولوجيا هي مَن أمرت بذلك! التكنولوجيا لم تقل لمن يستخدمها استخدمني بشكلٍ سيّئٍ أو بشكلٍ جيد؛ فالمستخدم هو من يتحكّم بها بين يديه، ولديه كامل الحرية في الاستخدام، وليس التكنولوجيا.. يجب أن نعي أننا مَن يجب أن نسير التكنولوجيا كما نريد، وليس هي من تسيّرنا.. يجب أن نجعلها أكثر إفادةً لنا؛ فهي وُجِدَت لهذا الغرض، ويجب أن نستغلّها فيما ينفعنا.. يجب ألّا تسيطر علينا التكنولوجيا، وإن كانت كذلك ولو بشكلٍ بسيطٍ؛ بل يجب علينا نحنُ أن نسيطر عليها ونجعلها تخدمنا فيما نريده.. قد يكون لها إيجابيات وسلبيات، فهذا الشيء وضدّه موجود حتى في الإنسان، فكيف بتقنيةٍ اخترعها

الإنسان؟! ومعَ ذلك أنت من تحدد استخدامها؛ سواء كان إيجابيًّا أو سلبيًّا، فهذا يعتمد على استخدامك لها؛ سواء كان صحيحًا أو خاطئًا.. لا أتفق معَ مَن يقول أنّ التكنولوجيا جعلت المواطن عبدًا لها، فالمواطن هو مَن يحدّد أن يكون عبدًا أو لا.. صحيح أنها ربّما ألغت -ولو بشكلٍ جزئيٍ- دورَ الإنسان، وأدخلت الآلة مكانه، وجعلت الآلة تقوم بما يقوم به الإنسان مِن أعمال.. وأستغرب ممّن يقولون أنّ الآلة أذكى مِن الإنسان، فكيف تكون أذكى منه وهو من اخترعها وأوجدها وصنعها وبرمجها وطوّرها؟! كيف تكون أذكى منه؟! العقل البشري هو أذكى ما هو موجودٌ في هذه الأرض، وأيّ شيءٍ يخترعه أو ينتجه مهما كان ويكون لن يكون أذكى منه.. والآلة ليست أذكى منه بالمطلق؛ لأنه هو مَن أوجدها، ولكنها تختلف عنه بالتحمّل والأداء.. الإنسان كائنٌ بشريٌّ يتعب ويتألم، بينما الآلة شيءٌ مصنوعٌ من أدواتٍ ينفّذ ما تصل إليه من أوامر فقط، لا تكلّ ولا تملّ ولا تتعب كما يفعل الإنسان، وهذا الفرق الوحيد الذي يجب أن يعرفه الجميع لئلا يأتي شخصٌ آخر ليقول أنّ الآلة أذكى من الإنسان، فمن الغباء أن يقول ذلك وهو يعرف أنّ الإنسان هو من أوجدها، فكيف بمصنوعٍ يكون أذكى من صانعه؟! الإمكانيات والقدرات الموجودة في الآلة هي ما تجعلها تتفوق على الإنسان من خلال أدائها فقط؛ أما غير ذلك فلا..

عندما نتّهم التكنولوجيا بأنها أفسدت المجتمع؛ فهذا كذبٌ يُذهِبُ مجهود الذين أوجدوها هباءً، فهي وُجِدَت لخدمة المجتمعات.. فعندما تتصل بأحدهم يبعد عنك آلاف الكيلو مترات؛ أليست هذه من مزايا التكنولوجيا التي ساعدتك في الوصول إلى ذلك الشخص؟! وعندما تنجز عملًا كان من المستحيل أن تنجزه من دون التكنولوجيا؛ أليست هذه أيضًا من مزايا التكنولوجيا؟! قبل عشر سنواتٍ أو أكثر عندما كان لك قريبٌ مُغتربٌ في إحدى البلدان؛ كنتُ تحاول بشتّى الوسائل معرفة أحواله والاطمئنان عليه، تسأل هذا وذاك، تذهب إلى مَن أتى من عنده لتسأله عن أحواله وماذا يعمل وصحّته وأين يعمل، وكلّ سنةٍ أو سنتين يصل إليك خبرٌ عن أحواله.. الآن لم يعد الأمر كذلك، إذ تستطيع أن تتواصل مع قريبك في أقلّ من دقيقةٍ، وتعرف عنه كلّ ما تريد بشكلٍ مُباشرٍ لمجرد أن ترفع الجوال وتتصل بالإنترنت وتتصل به صوتًا وصورةً، تعرف تفاصيل حياته، وماذا يأكل، وماذا يشرب، وأين يسكن، وماذا يلبس، كلّ هذه التفاصيل كان من المستحيل أن تحصل عليها لولا وجود التكنولوجيا..

نحن مَن نجعل أنفسنا أسرى للتكنولوجيا، فعندما نظلّ على مواقع التواصل الاجتماعي لساعاتٍ طويلةٍ فهذا يعتبر سرقةً لوقتنا.. لم نعد نعرف ماذا يجري بجوارنا، الأولاد، الأسرة، فنحن نظل نتصفح تلك المواقع لساعاتٍ طويلةٍ ولا نلتفت لما يجري حولنا وكأننا انتقلنا إلى مكانٍ خالٍ من البشر سوى الموجودين على تلك الشبكات، ننسى الأسرة والأولاد.. وهُنا يكمن الاستخدام السيئ للتكنولوجيا، ولكنني هُنا لا أحمّل التكنولوجيا بقدر ما أحمّل من يستخدمها المسؤولية، فالإنترنت فتح للمجتمعات آفاقًا واسعةً في سبيل البحث والاطلاع، فترى كلّ فردٍ مِن أفراد الأسرة لديه جوال، ومن الواجب استخدامه الاستخدام الصحيح، ويجب على الأسرة مراقبة ابنائهم عند إعطائهم هذه الأشياء، والتأكّد من استخدامهم لها الاستخدام الصحيح.. يجب أن يفصل الإنسان بين استخدامه للتكنولوجيا بوصفه وسائل التواصل الاجتماعي، وبين واقعه الحقيقي وأسرته وطبيعته.. لا يجب أن يكون مقيّدًا لها، بل يجب أن يعي أنه هو من يجب أن يسيطر عليها، وأنها وُجِدَت لتساعده؛ لا لتسيطر عليه، فهو من يختار أيّ مكانٍ يريد أن يكون؛ عبدًا لها أو مسيطرًا عليها.. لا أنكر أن التكنولوجيا سلاح ذو حدين، ولكن يجب أن نعي استخدامها..

مِن أكثر السلبيات التي أنتجتها التكنولوجيا -كما أراها- هي ضعف التواصل البشري المباشر وجهًا لوجه، والسبب يعود إلى وجود تطبيقات التواصل الاجتماعي.. وما زلتُ أصرّ على أننا نحنُ من نتحكم بها؛ وليست هي من تتحكم بنا.. ومعَ ذلك أرى أنّ هذه السلبية الوحيدة، ولكن بإمكانك أن تذهب إلى عند الشخص الذي تريد وتسأل عنه وتسلّم عليه وتتفقده، فالتكنولوجيا لم تمنعك من ذلك، ولكننا للأسف الشديد اتخذنا التكنولوجيا عذرًا لعدم التواصل فيما بيننا، فما فائدة أن ترسل لأمك أو أبيك أو أختك أو أخيك "كيف حالك؟"، فسيقول لك أنه بخيرٍ حتى وإن كان غير ذلك؛ لأنك لم تشعر به عن قربٍ، لم تزره، لم تجعله ينظر إليك وتنظر إليه، وفي اعتقادك أنّك تتواصل مع أهلك بهذا.. أنا لا أعتبر هذا تواصلًا أبدًا، قد أعذر الكثيرين بشرط أن يكونوا بعيدين عن أسرهم، أما إن تكون في مكانٍ ليس ببعيدٍ عنهم وفي كلّ عيدٍ ترسل لهم رسائل تسألهم كيف أحوالهم؛ فهذا غير منطقي.

التكنولوجيا جعلت التقارب بين الشعوب أسهل من ذي قبل، ولم يكن أحدٌ يتخيّل أن يصل إلى هذا الحدّ مِن التطور قبل عشر أو عشرين سنة.. من كان يتخيل أنه يستطيع أن يتواصل مع أحدٍ في القطب الشمالي؟! الآن أصبح ذلك ممكنًا؛ بل سهلًا أيضًا بمجرد اتصالك بالشبكة العنكبوتية تستطيع الوصول إليه.. ليس هذا

فحسب؛ بل تستطيع الوصول إلى أيّ نقطةٍ في هذا العالم متى شئت، فالعقل البشري يبحث عن الجديد، يبحث عن التسهيل، يبحث عن الاختصار، فعندما لم يصل إلى مكان عمله بشكلٍ سريعٍ في الوقت الذي يريده اخترع السيارة، وعندما أراد أن يسافر إلى بلدانٍ في أقلّ وقتٍ ممكنٍ اخترع الطائرة، وعندما أراد أن يطمئن على مَن يحبهم من أقربائه وأسرته ومن يشكلون حيّزًا من تفكيره اخترع الهاتف، وعندما أراد معلوماتٍ لم يكن يحصل عليها إلّا بصعوبةٍ شديدةٍ اخترع الإنترنت وجعله متاحًا للجميع، وأصبح الوصول إلى المعلومات أسهل من أيّ وقتٍ مضى.. وعندما أراد أن يعرف ماذا يحدث في هذا العالم اخترع التلفاز.. الأمر ليس بالتعقيد الذي نراه، ولكنه يحتاج إلى عقولٍ همّها الأكبر خدمة البشرية وتسهيل حياتها اليومية..

التكنولوجيا جعلت كلّ شيءٍ مُتاحًا، وزادت الانفتاح على ثقافات وشعوب العالم.. بإمكانك أن تطوف أيّ بلدٍ وأنت جالسٌ في مكانك، وتستطيع معرفة شعوب العالم وعاداتها، فكلّ شيءٍ متوفرٌ على الإنترنت.. ولقد جعلت المعلومات متاحةً أيضًا، وأصبح الوصول إليها سهلًا مِن خلال الشبكة العنكبوتية، فالطالب لم يعد يحتاج للكثير من الوقت للبحث عمّا يريده؛ فقط عليه أن يوصل جهازه بالإنترنت؛ سواء أكان حاسوبًا محمولًا أو جوّالًا، ويتصفح الإنترنت منه وستظهر له آلاف النتائج.. وعندما أتحدث عن التكنولوجيا فأنا لا أتحدث عن التكنولوجيا التي وُجِدَت لتدمير الإنسان؛ مثل صناعة الأسلحة المتطورة أو غيرها من التكنولوجيا السلبية، أنا أتحدّث عن التكنولوجيا التي وُجِدَت لخدمة الإنسان وليس لتدميره.. وأما ما وُجِدَ من التكنولوجيا لتدمير الإنسان وقتله فهي وُجِدَت لهذا الغرض من قبل أن يتمّ الشروع بها، ومن قبل حتى أن يتمّ البدء بها من قبل العقل البشري.. وأنا لا أتحدث عنها؛ بل عن تلك التي يستفيد منها الإنسان العادي في حياته اليومية..

****

لا تحزن

لا تحزن ما دمت لم تظلم إنسانًا ولم تقطع طريقًا ولم تقتل بريئًا

لا تحزن إن خذلك حبيبٌ وغدر بكَ صديقٌ، فربما لم يكونا يستحقانِك.. لا تحزن عندما تكتشف أنّ من كانوا إلى جانبك يومًا ما كانوا ينتظرون سقوطك ليستمتعوا بالمشاهدةِ عن قُرب.. قاوم! لا تلتفت لهم، ولا تعطِهم ما يريدون، وَقِف صامدًا وواجه كلّ مَن يريد لك الخسارة، فالخسارة الحقيقية هي أن تعطيهم ما يريدون، والنجاح الحقيقي هو أن تفعل عكس ما يريدون، فالأغلب لا يحبّ الخير إلا لنفسه فقط، ولا يريد للآخرين الخير كما يريده لنفسه، فتراه يتمنّى الشرّ لهذا ويحارب ذاك مِن أجل أن ينجح هو ويفشل الآخرون، وهذا أسوأهم..

لا تحزن أن أهدرتَ وقتك مع قريبٍ لم يوقرك وصديقٍ لم يحترمك.. لا تحزن إن تحوّل يومًا مَن كُنت تحسبه صديقًا لك إلى عدوٍ لدودٍ لك، فربما كان عدوًا من البدايةِ ولكنه كان ينتظر اللحظة المناسبة لينقض عليك، وها هي اللحظة التي ينتظرها أتت! لا تحزن لكلمةٍ سمعتها فأزعجتك، فربما تكون خيرًا لكَ فيما بعد.. لا تحزن لحبيبٍ خانك، وصديقٍ خذلك، وحياةٍ لم تتصالح معك، وحلمٍ لم يقترب منك، وواقعٍ أصبح صديقك.. لا تحزن إن تركك صديقٌ في منتصف الطريق بعد أن أوصلته يومًا إلى القمّة.. لا تحزن إن غدر بكَ من لم يكن صديقًا لك قطّ، فالغدر ليس من صفات الأصدقاء.. لا تحزن؛ فالحياة لن ترحمك أبدًا، وتذكّر أنّ اللحظة الذي أنت فيها الآن لن تستمر، والحياة لا تتوقف على حزنك، فهي ليست رحيمةً بِنا.. انفث غبار الحزن عنك، تحدَّ

الحياة وبؤسها، اسعد بتلك الأشياء البسيطة؛ كمداعبة طفلٍ والحديث مع رجلٍ كبيرٍ في السنّ والاستماع إلى أصوات العصافير ومشاهدة شروق الشمس..

لا تحزن إذا لم تشرق شمس أحلامك بعد، فربما تأخّرت لتفرحك أكثر.. لا تحزن! وتذكّر نعم الله الكثيرة عليك، واسعد بما لديك، واسعد بما تملك.. لا يحزنك الماضي بنظرتك إليه؛ بل انظر إلى المستقبل واعمل مِن أجله، فما ذهب فات، وليكن تركيزك وتفكيرك فيما سيأتي.. لا تحزن؛ فالحزن سيمرضك أنت، فالواقع لن يتغير، والعالم لن يعرفك، والزمن لن يتوقف.. عِش اللحظة نفسها واترك كلّ شيءٍ حتى يأتي.. لا تحزن؛ بل تذكّر قول الله سبحانه وتعالى ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود – ٨١]، فربّما ستنفرج قريبًا، فقط اصبر قليلًا وسترى ذلك.. لا تحزن؛ وتذكّر أنّ الليل كلّما اسودّ لاح صبحٌ جديد.. لا تحزن؛ فخالقك لن ينساك، وتذكّر قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم – ٦٤].. لا تحزن عندما تنظر للآخرين وترى ما لديهم من قصورٍ وأموالٍ، فربما تكونُ أسعد منهم وتعيش أفضل منهم.. توقّف عن النظر وسترى الفرق بعد ذلك.. لا تحزن؛ فربما الأشياء التي تحزن لأجلها لا تستحق حزنك..

لا تحزن على مَن أنكر فضلك عليه ونسي ما قدّمته له، وتذكّر أنّ كلّ ما تقدمه ليس من أجل أن يشكرك أحدهم؛ بل مِن أجل نفسك، وإن نسى البشر ذلك فالله لن ينسى.. أليس الله يقول ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم – ٦٤].. سواء أكان خيرًا أو شرًّا.. لا تحزن مما لم يحدّث بعد؛ فربما ما تحزن لأجله لن يحدث أبدًا.. لا تحزن من تصرفات الآخرين تجاهك.. اعمل ما تراه مناسبًا، وتذكّر أنّ كلّ ما تعمله لوجه الله، فالآخرون لن يعجبهم ما تعمل، ولو أعطيتهم قطعةً من جلدك فسيظلون يرونك لم تفعل شيئًا.. لا تحزن لانتقاد أحدهم لكَ؛ فإن رأيته صائبًا تقبّله، وإن رأيته غير ذلك تجاهله، ولا تحمله فوق عاتقك.. لا تحزن؛ فربما هناك أشخاص يمرّون بأسوأ مما تمرّ به.. لا تحزن، وتذكّر أنّ كلّ ما تمرّ به الآن ستضحك يومًا ما بشأنهِ وتقول في نفسك "كم كُنتُ مغفلًا! لقد حزنتُ على شيءٍ لا يستحقّ حزني عليه".. لا تحزن؛ وتذكّر أنّه لا أحد يعيش على هذه الأرض بدون همومٍ وأحزانٍ، لستَ وحدكَ في ذلك..

لا تحزن؛ وتذكّر أنّ بعد الليل صبحًا جميلًا، وبعد كلّ نهارٍ ليلٌ هادئ، وبعد حزنك سيأتي الفرج؛ فقط ثق بالله وتذكّر بأنه لن يتركك وسط حزنك.. لا تحزن؛ وانظر إلى الأشياء الإيجابية التي تفعلها، اسعد بها، وافرح من أجلها، ولا تجعل موقفًا صغيرًا جدًا يحزنك، وإن داهمك الحزن فتذكّر الأشياء الإيجابية التي فعلتها.. لا تحزن؛

وتذكّر أنّ الآخرين لديهم أربعة وعشرين ساعةً كما لديك، لا تنظر لما فعلوا؛ بل انظر لنفسك واسألها "ماذا فعلتِ اليوم؟" فإن أشياء عظيمة فلمَ الحزن؟! لا تحزن؛ فالحزن يضعف جسمك ويشغل عقلك وتفكيرك.. لا تحزن إذا لم يرَ الآخرون أعمالك سواء بقصدٍ أو بغير قصد، وتذكّر أنّ الله يراها؛ فهو يقول سبحانه وتعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة – ١٠٥].. لا تحزن؛ فربما الأشياء التي تحزنك ليس لها أثرٌ على أرض الواقع.. لا تحزن لأنك لا تملك ما يملكه الآخرون، فهناك أشخاص على هذه الأرض يتمنون أن يكون لديهم ما لديك.. لا تحزن لأن الحياة لم تنصفك، فربما دورك مِن السعادة لم يحن بعد.. لا تحزن إذا التقيت أناسًا سيئين، فلا تعتقد أنّ كلّ الناس طيبون، فالناس يختلفون بين ظالمٍ ومظلومٍ، بين سيئٍ وطيّبٍ، وتذكّر فربما من تبحثُ عنهم يسكنون بالقربِ منك، فقط انظر جيدًا.. لا تحزن؛ وتذكر أنّ كلّ ما يحزنك الآن سينتهي غدًا، وتذكّر أن الحزن لا يدوم.. لا تحزن؛ وتذكّر كَم مرّةً داهمك الحزن، ولكن في لحظةٍ وضحاها ذهب عنك ولا تعرف ما الذي وكيف حدث! وكذلك ما أنت عليه الآن سيذهب، فقط اصبر وستكون نتائج صبرك عظيمة..

لا تحزن إن غدر بك أحدهم، وتذكّر أنه قد يكون شرًا عليك، وربما لم تسلم من أذيته، ولكن قد يكون خيرًا لك غدًا.. لا تحزن؛ فبعد كلّ همٍّ هُناك فَرَج، وبعد كلّ غيمةٍ هُناك مطر، وبعد كلّ ليلٍ هُناك صباح، وبعد كلّ نهارٍ هُناك ليل، وبعد كلّ يومٍ هناك غد.. لا تحزن؛ فمهما كان حزنك ومهما رأيته كبيرًا وجاثمًا عليك سيزول بأمر الله.. لا يقتلك حزنك، وتذكّر بأنك ستفرح يومًا ما؛ فقط اصبر وثق بالله، وسترى ذلك.. قد يكون الانتظار مؤلمًا، ولكن تأكّد بأنك ستفرح فرحًا تنسى ما كنتَ تعيشه في السابق..

لا تحزن لصعوبةِ الحياةِ ومشقّتها، وتذكّر أنّها دار مشقّة، ومهما فعلنا وعملنا فلن ننعم فيها أبدًا.. لا تحزن؛ وتذكّر أنّ أمر الله بين كافٍ ونون.. لا تحزن لأن الناس لا يحبّونك، فربما تكون محبوبًا عند الله، وما فائدة أن يحبك بشرٌ مادام الله سبحانه تعالى لم يحبّك؟! لا تحزن لنقص رزقك، وتذكّر أنّ الأرزاق بيد الله يوزّعها كيف شاء.. لا تحزن لأنّ البداية كانت سيئةً، لا تتوقف فربما ستفرح في النهاية.. لا تحزن إذا أُسِيءَ فهمك، فربما الآخرون لا يفهون الأنقياء.. لا تحزن لأنكَ لا تستحقّ ذلك..

****

القلق
بين الحقيقةِ والخيال

وحين تكون رقيقَ القلبِ -يا صديقي- ستتألم كثيرًا وتحزن أكثر.. تجاهل كلّ ما يزعجك.. حاول بقدر استطاعتك ألّا تدقّق في كلّ شيءٍ، فراحة البال تكمن في عدم الالتفات لبعضِ الأشياء؛ حتى وإن كانت تزعجنا، فكلّ ما يزعجك لا تلتفت إليه تجاوزه ولا تنظر إليه، انظر إلى مستقبلك وابحث عن الأشياء التي تسعدك، وابتعد عن الأشياء التي تحزنك، فالحزن لا يليق بك.. تجاهل كثيرًا، واعلم أنّ هناك أشياء لا نستطيع تجاوزها؛ لأنها تركت فينا أثرًا لن يمحوه الزمن، ولكن ماذا علينا أن نفعل سوى أن نتجاهل مِن أجل أنفسنا؟!

تأكد أنّها ستنفرج، ولا فرح إلا بعدَ هَمّ.. لا تيأس؛ فبصيصٌ من الأمل يجب أن يكون مرافقًا لك، وتأكد أنك لن ترتاح إذا لم تتعب.. لا تنسَ أن تفرح وأنت في دروب الحياة، وتأكّد أنّ الحياة دار شقاء؛ ومهما فعلنا لن نسعد فيها، ولكننا نحاول سرقة القليل من الدقائق لنسعد بها أنفسنا.. لا تعتقد أنك سترتاح من أفواه البشر، فمهما فعلتَ حسنًا كان أو سيئًا سيتحدثون عنك، الأهمّ أنتَ وماذا ستكون ردّة فعلك تجاهلهم، فراحة البال تكمن في التجاهل.. لا تجعل رأيًا هُنا أو هناك يحوّل سعادتك إلى حزنٍ وفرحك إلى كآبة.. كُن كما تريدُ أنتَ، وليس كما يريد الآخرون.. لا تعش بين قلقٍ حاليٍّ وقلقٍ قادم.. عِش اللحظة في وقتها، واترك لنفسك قليلًا من الراحة.. نفِّس عن نفسك، واذهب إلى الأماكن التي تحبّها لتطرد القلق وتعيشَ السعادةَ ولو للحظات..

مشاغل الحياة لا تنتهي، ومنغصاتها كثيرة، ومهما فعلت وذهبت إلى أماكن للهرب منها ستلحق بك.. اغتنم أوقاتك الجميلة التي ترى نفسك سعيدًا فيها، ولا تزاحمها بالقلق.. خصص وقتًا للترفيه، ووقتًا للاستماع إلى النفس، ووقتًا للاسترخاء.. ليس عليك أن تفكّر كثيرًا بالمستقبل، ولكن لا يعني هذا ألّا تضع لك أهدافًا مستقبليةً، فالتفكير يجلب القلق.. ابنِ مستقبلك بالتخطيط، بوضع الأهداف، وليس بالقلق والتوتر.. ليس هناك إنسانٌ على وجه الأرض لا تخلو حياته من ضغوطات، ولكن الإنسان الذكيّ هو من يستطيع التعامل معها.. لا تنشغل بما يقوله الآخرون عنكَ؛ ليس مهمًا، الأهمّ أن تكون واثقًا مِن نفسك، أن تكون راضيًا عن نفسك.. أحِب كلّ ما تفعل، وافعل كلّ ما تحبّ.. اجعل لك أشياء تسعدك، أشياء تفتخر بها يومًا.. لا تعمل أشياء لا تحبّها، فلن تجد المتعة في عملها، ولن تفرح عند إنجازها، وإن تطلّب الأمر أجّلها إلى وقتٍ آخر.. العمل بلا متعةٍ يفقدك لذّة الانتصار عند النجاح.. أحِب نفسك كثيرًا؛ بل دعني أقُل ليس فقط أن تحبّها ولكن قدِّسها، وتقبّلها كما هي.. استمع لما يقوله الآخرونَ وخذ منه ما يعجبك واترك الآخر خلف ظهرك.. ليس عليكَ أن تحبَّهم جميعًا، ولكن عليك ألّا تكرههم.. لا تقارن نفسك بأيّ شخصٍ على هذه الأرض؛ بل اجعل الآخرين يقتدون بِك..

اذهب إلى حيث يقطن كبار السن؛ إلى المقاهي، واستمع لهم ولتجاربهم في الحياةِ والصعوبات التي واجهوها وتغلّبوا عليها.. اذهب إلى الأطفال واستمع إلى كلامهم أيضًا، فمن أفواههم تخرج سعادة لا حدود لها..

لو سألت أيّ شخصٍ يعمل "ما هو هدفك من العمل؟ وماذا تريد أن تحقق؟!"، فسيقول لك "أريد أن أرتاحَ فيما بعد، وأشتري لي بيتًا وأتزوّج وأنجب" الكثير من الأماني في مخيّلته، ولكن وسط كلّ هذه الأماني التي يتمناها ويسعى إلى تحقيقها ينسى نفسه ويرهقها ولا يرى طعم السعادة أبدًا.. البشر دائمًا تلهيهم الحياة عن سعادة أنفسهم، تعيّشهم في قلقٍ وتوترٍ حول ماذا سيحدث اليوم، وماذا سيكون في الغد، وينسون أن يعيشوا اللحظة ويسعدوا بحياتهم التي بين أيديهم.. النفس البشرية طمّاعة، ولكن عليك أن تعوّدها على القناعة، وإن لم تفعل فستظل تلهث خلف هذا ووراء ذاك، وإن وصلت إليه ستبحث عن أشياء أخرى.. ليس هناك إنسانٌ كامل، فكلّ إنسانٍ لديه سلبيات ولديه إيجابيات.. إياك والوقوف على كلّ عملٍ تقوم به لتشاهد ماذا سيقول الناس عنه، فمهما قالوا لا تجعله يؤثر فيك، فالناس لا يعجبهما شيءٌ، ومهما فعلتَ فلن تستطيع إرضاء

الآخرين، ولن تستطيع إقناعهم أنّ ما تفعله هو الصحيح.. اعمل ما يرضي نفسك ويرتاح له ضميرك، ودع الآخرين يقولون ما شاءوا.

لا تظن أنّ الآخرين يعيشون أحسن منك، فكلّ إنسان لديه من الهموم والمشاكل ما تجعله لا يرفع رأسه أبدًا.. لست وحدك مَن تواجه المشاكل، ولستَ وحدك تعيش مع الأزمات، فكلّ مَن على هذه الأرض لديهم كمّ هائل من المشاكل.. لا تجعلها تتراكم عليك حتى يأتي الوقت الذي لا تستطيع فيه حلّ أيّ مشكلة.. ابدأ بحلّ مشكلاتك واحدةً تلو الأخرى، ولا تأخذ الوقت بالتفكير بالمشاكل، ابدأ بالعمل، وابدأ بحلّها، وسترى بعد ذلك الراحة النفسية التي أدخلتها على نفسك.. لا تدعها ترهقك كثيرًا وتبعدك عن راحتك وتحتلّ تفكيرك وتسيطر على عقلك فقط.. تذكّر أنّه ليس هناك مشكلة إلّا ولها حلّ؛ فقط ابحث واعرف تفاصيل المشكلة، وبعدها ستأتيك الحلول مِن كلّ مكان.. لا تحمل هموم الدنيا على كاهلك، فالحياة لا تستحقّ كلّ هذا.. تجاهل ما تستطيع، فلو صدّقنا ذلك لعِشنا حياتنا بين قلقٍ راح وقلقٍ آتٍ.. امنح التجاهل لتلك الأشياء التي لا تستحقّ النظر إليها، وامنح الأخرى اهتمامًا قليلًا، ولكن لا تخرج كلّ طاقتك في التفكير فيها وتنسى إراحة نفسك، فنحن بهذا الفعل نظلم أنفسنا.. لا بدّ أن يكون هناك توازنٌ في حياتنا بين الراحة والعمل..

****

رسالة إلى صديق
يا صديقي لا تكُن عقيمًا! ليس ألّا تنجب؛ فهذه أسهل مهمّة يؤديها البشر، ولكن ألّا تفكر

يا صديقي؛ حين تتعب من كلّ شيءٍ لا تتوقف، ولكن خُذ قسطًا من الراحة، ومن ثمّ ابدأ من جديد، وحتمًا ستكون انطلاقتك أقوى من السابق، ففي التوقف تجديدٌ وتنشيط.. يا صديقي؛ ليس كلّ ما بالقلب يُقال، فبعض الأشياء استمرارها في مكانها خيرٌ من إخراجها.. يا صديقي؛ لا تبنِ لكَ أحلامًا، فالأحلام لا تحقّق؛ بل ابنِ لكَ وارسم أهدافًا، فالأهداف تتحقق.. يا صديقي؛ عندما تواجهك مشكلة فلا تحاول حلّها كما تراها أنت، فالمشاكل تكون عميقة وجذورها غير ظاهرة؛ بل ابحث عنها وانظر إلى الأسباب التي دفعتها للظهور، ومن ثمّ ابدأ بالمعالجة، فلا مشكلة إلّا ولها حلّ.. عوِّد نفسك على القناعة، فالنفس البشرية مهما حصلت عليه ومهما وصلت إليه من نجاحٍ فهي تتمنى المزيد، وكُن قنوعًا بما تملك وراضيًا بما لديك.. احذر من أولئك المستغلين الذي يستغلونك وقت رخائك وغناك، ويتركونك وقت الشدّة، فهؤلاء لم يكونوا أصدقاء؛ بل كانوا مُستغلّين.. ستلتقي بهم كثيرًا عند رخائك، وسيختفون عند حزنك وبؤسك.. نحن مختلفونَ -يا صديقي- كثيرًا، فلا أحد يشبه أحدًا، فقد تلقى شخصًا لديه كلّ شيءٍ ولكن ينقصه شيءٌ ما.. ليس هُناك شخصٌ ذكيّ، وليس هناك شخصٌ غبيّ، حتى الغبي لديه شيءٌ يميّزه؛ ليس الغباء فقط، ولكن شيء ربما لا يعرفه هو، والذكي لديه ما يميزه وأيضا ليس الذكاء وحده.. الأمر ليس أنّ هذا غبيّ وهذا ذكي، إنّها فروقات

واختلافات بين البشر، ومهما عملت لن تجد شخصين يتشابهان في كلّ شيءٍ، ولن تجد شخصين يختلفان في كلّ شيء..

يا صديقي؛ كُن متسامحًا؛ ليس معهم، ولكن مع نفسك، متصالحًا معها، لا تحمّلها فوق طاقتها، لا ترهقها بالتفكير فيما لا فائدة منه.. وكما للآخرين حقّ عليك؛ لنفسك حقّ أيضًا.. وأكبر إجرام بحقّ نفسك أنك لا ترحمها، وأنك لا تفرح عندما يحين الوقت المناسب للفرح، ولكنك تحزن كثيرًا في كلّ أوقاتك.. يا صديقي؛ أجمل الأشياء ليست ما نقوله؛ بل ما نشعر به، فأحدهم قد يعطيك كلامًا معسولًا ولكنه يمكر بك، وفي نفس الوقت أنت لم ترتَح له يومًا، وقلبك لم يطمئن له.. يا صديقي؛ الشغف هو تلك الأعمال التي نعملها بحبٍّ بدون تلكؤ أو انتظارٍ للراتب آخر الشهر، الشغف هو تلك الأشياء التي نعملها وتترك فينا أثرًا لا يُنسى..

يا صديقي؛ لا تفرحك البدايات، انتظر للنهايات؛ فربما تتغير المواقف، فإن كانت البدايات كالنهايات فإنّ الحياة أحبّتك، وأصبحتم أصدقاء كلّ واحدٍ يحبّ الآخر.. يا صديقي؛ لا تندم على صديقٍ خذلك، فتلك لم تكن غلطتك حتى تندم، فربما لم يكن يستحقك.. يا صديقي؛ السعادة تكمن في مساعدة محتاجٍ وزيارة مريضٍ ومجالسة طفلٍ والاستماع لتجارب شيخٍ قارب عمره من السبعين.. يا صديقي؛ على مدار حياتك ستصادف الكثير من المواقف التي ستجعلك صلبًا وقويًا، ولكن لن تكون كذلك قبل أن تتألم وتتعلم منها، وربما تصل إلى البكاء، ولكن لا تستسلم لها؛ فربما وصلت إلى النهاية وستبدأ أحلامك بالتحقّق.. لا تيأس! فربّما أنت على بعدِ خطوةٍ واحدةٍ فقط، واصل ومهما كانت الصعوبات لا تتوقف..

يا صديقي؛ لا تكن كسولًا عن العمل، فالحياة لن ترحمك أبدًا، وإن لم تجد ابحث.. ستتعب في البدايةِ، وربما تيأس من الانتظار، ولكن حتمًا ستفرح.. لا تستهِن بما لديك من مؤهلاتٍ ومهاراتٍ، وحاول تطويرها حتى تتقنها لتكون فرصك أقوى، وحين يحين الوقت سيكون النجاح حليفك.. لا تحزن إن رفضك أرباب العمل، فربما لم يجدوا مكانًا ليضعوك فيه، فكان رفضهم عبارة عن اعتذارٍ لك.. يا صديقي؛ لا أحد يعطي شيئًا بدون مقابلٍ، فالموظف يعمل من أجل معاش آخر الشهر، والطالب يذاكر ويدرس من أجل النجاح.. اعمل واجتهد، وسترى النتائج في النهاية.. قد يطول الوقت، ولكن تأكّد أنك ستصل يومًا ما.. يا صديقي؛ لا تكُن كمحرِّك البحث يُفتي في أيّ شيءٍ، مهما طلبت منهُ أشياء لن يردكَ حتى وإن كانت خاطئةً، ولكنه لا يقول لك

ذلك، فالأهمّ بالنسبة له أنه يعطيك ما تريده؛ سواء أكان صحيحًا أو خاطئًا.. ليس عيبًا أن تقول إنك لا تعرف، ولكن العيب أن تكذب..

يا صديقي؛ كُن إيجابيًا في تصرّفك وتعاملك، في قولك وتحدّثك، كُن إيجابيًّا مَع من حولك، فالناس لم يعودوا يريدون المزيد من الكآبة، يكفي هذه الدنيا تفعل بنا كلّ شيء.. دع الابتسامة لا تفارقك، ولتكن رفيقتك على الدوام، فمن يراك يقول لازال هناك خير وفرح في هذه الدنيا، ولو كنتَ من داخلك تتألم.. ادفن ذكرياتك السيئة التي تأبى الذاكرة نسيانها، وأهلّ عليها التراب حتى لا تعود مرةً أخرى، وحاول أن تبني ذكرياتٍ جميلةً تأبى ذاكرتك نسيانها؛ لأنها حقًا تستحق ذلك.. اقترب من الأشياء التي تشعر من خلالها أنك على قيد الحياة؛ كصديقٍ وفيٍّ، وطبيعةٍ خلّابةٍ، وهواءٍ عليل..

يا صديقي لا تكن عقيمًا! ليس ألّا تنجب؛ فهذه أسهل مهمّة يؤدّيها البشر، ولكن ألّا تفكّر.. كُن بسيطًا –يا صديقي– في كلّ شيءٍ، ولا تكلّف نفسك فوق طاقتها، فالبساطة جميلة.. يا صديقي؛ ستخرج من تحت ركام حزنك مُنتصرًا، ثق بالله، وكُن على يقينٍ بأنّ الله لن يخذلك ولن ينساك، وتذكّر قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم – ٦٤] في كلّ ضائقةٍ تمرّ بك.. لا تنهزم مهما كانت الظروف المحيطة بك، فستخرج أقوى من ذي قبل، ثق بنفسك، وواجه الصعوبات والتحديات، وسيكون النجاح حليفك؛ إن لم يكن الآن فيومًا ما.. الحياة عبارة عن مغامرة، غامِر يا صديقي! فالنجاح بحدّ ذاته مغامرة.. إن لم تغامر بفعل ما تحبّه؛ فلن تعيشَ كما تحبّ.. غامِر؛ فليس هناك ما يمنعك من ألّا تغامر.. ليس هناك ما يقيّدك سوى نفسك.. اكسر القيود، وافعل ما تحب، وعِش الحياة التي تريدها.. انفض غبار الحزن الذي يبدو عليك، واعلم أنّ الدنيا كلّها لا تساوي حزنك.. استمتع بوقتك الجميل، واخلق لنفسك دقائق سعادة.. لا تظلّ حبيس همومك، فالحزن مهما كان ومهما بدا عظيمًا في نظركَ؛ فهو لا يدوم.. ومهما عصفت بك الحياة، ومهما كانت قاسيةً معك؛ تذكّر بأنها ستمرّ ولن تدوم، ومهما اشتدّت الظلمة فهناك انفراج، ففي سواد الليل ينبثق الصبح مُعلنًا عن بداية يومٍ جديدٍ، مغامرة جديدة، حلم جديد، أمنية جديدة، هدف جديد.

يا صديقي؛ عش اليوم كما لو أنه ليس هناك غد.. لا تنظر إلى الغد؛ بل انظر إلى اللحظة التي أنت فيها، عِشها بتفاصيلها، بسعادتها، بكلّ الأشياء الجميلة فيها.. يا صديقي؛ حياتنا هي من صنع أفكارنا، وليكن تفكيرك إيجابيًا وكلامك إيجابيًا وعملك إيجابيًا ومواقفك إيجابية، فتفكيرنا هو ما يسيطر علينا، فإن كان سلبيًا كانت حياتنا سلبية، وإن كان تفكيرنا إيجابيًا كانت حياتنا إيجابية، فنحنُ من نقرر كيفَ يكون ذلك.. لا عيب –يا صديقي– أن تخبر الآخرين ببعض إيجابيات صديقك المفضّل، ولكن من المعيب أن تخبرهم عن سلبياته..

يا صديقي؛ لا تعطِ أيّ شيءٍ أكبر من حجمه، فقد ينقلب عليك ويضرّك، فعملك لا تعطِه أكثر من قيمته مهما بدا كبيرًا ومرهقًا، اعطِ نفسك وقتًا للهدوء والراحة، شجّع نفسك عند النجاح، احتفل بنفسك عند إنجاز عملٍ، فأنت تستحق ذلك، ولا تقلق مما سيحدث في الغد..

يا صديقي؛ أكثر شيء أستحقره في الحياة هو ذاك الشخص الذي كان يشتكي من الظلم مِن مرؤوسيه، وفي لحظةٍ عابرة وصل إلى المكان الذي كان يشتكي منه وأصبح هوَ من يمارس الظلم بكلّ معنى الكلمةِ على من هو رئيسٌ عليهم؛ وكأنّ ذاكرته حصل لها خلل فنّي ولم يعد يتذكر شيئًا من السابق! أصبح يمارس الظلم على من هُم تحته بشكلٍ أسوأ من الشخص الذي كان يشتكي منه.. لقد كان فيما قبل في نظر البعض يُدافع عن حقوقهم، وعندما وصل إلى المكان الذي كان يشتكي منه أصبح يأكل الأخضر واليابس، ويظلم ويسرق، ونسي ما كان يُنادي به بالأمس القريبِ بأنّ الظلم ظلمات.. أصبحت هذه الكلمة ليست في قاموسه؛ بل وُجِدَت كلمات أخرى ليس آخرها هل من مزيد.. نحنُ يا صديقي كائنات غريبة؛ عندما نصل إلى مكانٍ ما ننسى ما كان في الماضي، ننسى أصدقاءنا، ننسى زملاءنا، وكأننا لم نعرف أحدًا من قبل! لا تكُن مِنهم يا صديقي..

لا تقلّل مِن شأن نفسك يا صديقي، فنحن بذلك نقضي على أنفسنا.. كُن واثقًا مِن نفسك مهما حاول الآخرون تحطيمك، ولا يتبادر إلى ذهنك أنّك أقلّ مِنهُم، فأنتَ بشرٌ، وهُم بشر، وليس هناك بشرٌ لم يخطئوا.. كذلك لا تحكم على نفسك من أوّل خطأ قمت به، وانظر إلى الجانب المشرق في نفسك، فهناك شيء إيجابي فيك.. لا تجعل الأمور السلبية تسيطر على تفكيرك وعقلك.. لا تفرحهم بسقوطك، آلمهم بفوزك، ففي الفوز سيعرفون

أنك لستَ قويًا فحسب؛ بل صلبًا لا تتزحزح.. يا صديقي؛ لا تكن أعمى النظر؛ تنظر لمن كانوا ينتظرونك في نهاية الطريقِ، بينما من ظلّوا إلى جانبك منذُ البداية وساعدوك ودلّوك على الطريق الصحيح لم ترَهم..

ولا تحزن -يا صديقي- على من تركك تصارع أحزانك وحيدًا؛ بل أعطه شهادة شكرٍ؛ لأنه كشف لك ما كان يخفيه عنك، أما ما كان يقوله لك بأنه سيظل إلى جانبك؛ فهي حتمًا كانت أكاذيب، فلقد جاء الوقت الذي لم يستطِع أن يخفيه عنك.. يا صديقي؛ ليس عليكَ أن تحبّ الجميع، ولكن عليكَ ألا تكرههم، فالكره يمرض القلب ويشتت العقل والذهن..

****

المرأة
بين أنوثتها ومنافسة الرجل

الكثير من النساء اليوم تحوّلن إلى رجالٍ بلباس نساء، فلم تعد تفرّق هل هي امرأة أم رجل! المرأة يجب أن تسعى وتعمل لتكون أنثى، فصفات الأنوثة تختلف عن الصفات كامرأة.. امرأة اليوم لا تحمل من الأنوثة إلا الشكل فقط، أما واقعًا لا يوجد.. والبعض من النساء للأسف أخذن أدوار الرجال.. سيقول البعض أنّ الرجل هو مَن سمح لها بفعل هذا، لا أعتقد ذلك؛ فليس هناك رجلٌ يريد أن تشبهه زوجته في القيام بما يقوم به من أعمالٍ، والسبب يعود إلى أنّ الرجل بطبيعته لا يريد أحدًا أن ينافسه حتى وإن كانت زوجته، ومع ذلك فهو جزءٌ من هذه المشكلة..

البعضُ من النساءِ اليوم لا تفرّق بين عملها كامرأةٍ وبين عملها كزوجة، وأصبحت زوجة بالاسم فقط، بينما في الواقع لا يوجد، فلا حب ولا اهتمام ولا إثارة ولا دلع ولا أخلاق ولا عاطفة ولا رقّة ولاحنان؛ بل حتى الجمال ابتعد عنها كثيرًا، أخذ العمل جلّ وقتها، وهمّشت زوجها ونسيَت أبناءها.. بينما الأنثى العكس مِن ذلك؛ تهتم بجمالها، وتعرف أنّ هناك زوجًا لها.. لا أقول أنّ المرأة نسيَت أنّ لديها زوجًا، ولكنها أحيانًا تأخذ أدواره؛ ليس لأنه يريد ذلك، بل لأنها تريدُ أن تثبت أنها تستطيع، بينما الرجل لا يريدها أن تفعل ما عليه فعله، هو فقط يريد أن تكون أنثى مصانةً في بيتها، والباقي سيتكفل به.. كلّ أنثى تعرف الفرق، وتحاول جاهدةً أن تظلّ أنثى كما هيِ؛ لأنها تعتبر نفسها مميزةً بين الكثير من النساء اللاتي انسلخن عن أنوثتهن.. لا أقول أن لا

تساعد المرأة زوجها، ولكن عليها أن تفرّق بين الحياة الزوجية وبين أن تظل محافظةً على أنوثتها، فالأمر يختلف، فالمرأة تظهر منذ النظرة الأولى إليها وبدون مقدماتٍ تُطلق عليها امرأة.. فالأنثى تكون ضعيفةً أمام زوجها، ولكنها صلبة وقوية عند غيابه، تهتم لأموره وترعاها، وتحفظ سرّه، وتحفظ بيته، وتربّي أبناءه، فالرجل لا يريد امرأةً بجسدٍ فقط؛ بل يريد أن تفيض عليه من مشاعرها، تدلله، تهتمّ به، تكون رقيقةً معه، تخفض صوتها أثناء وجوده، تتأنّق وتتزيّن وتتجمل له وتشعره أنّ لا أحد غيره في هذا الوجود..

نظرة الرجل للمرأة تختلف عن نظرتها له، ولكن الأنثى تعرف بماذا يفكر، وربما تعلم ماذا يريد مِنها بدون أن يطلب منها ذلك، فالابتسامة الهادئة والنظرات المملوءة بالحبّ تجعل الرجل يذوب حُبًّا وعشقًا في المرأة، ولا عيب أن تستخدم المرأة مستحضرات التجميل، ولكن ليس إلى الحدّ الذي يجعل الرجل ينفر منها؛ بل بالقدر الذي يجعل الرجل يزداد تقرّبًا منها، تغريه بما تفعله.. والبعض مِن الرجال لا يحبّ أن يرى زوجته خلافَ ما يراها في الواقع بسبب مستحضرات التجميل التي تغيّر المرأة مِن شكلٍ إلى شكلٍ آخر، وأنا أراه نوعًا من التزييف لشخصية المرأة الحقيقة والجميلة التي تكون عليها في الواقعِ رغم أنّ البعض من النساء يحببن ذلك، ولكنهن لا يعرفن أنّ البعض أيضًا من الرجال لا يفضّلون ذلك، فالبعض يحبّ البساطة، يحبّ المرأة على ما هي عليه بدون أيّ تغيّرٍ في هيأتها، فالبساطة إحدى الأشياء التي تجعل الرجل ينجذب إلى المرأة؛ البعض من الرجال وليس الكل..

الأنثى جميلة بطبعها، رقيقة بمشاعرها، ولا تحتاج إلى شيءٍ لتزيّف به عقل الرجل، فالرجل أيضًا يستطيع أن يفرّق بين من تكون امرأة بالتزييف وبين من تكون أنثى في الواقع بطبعها؛ الأمر لا يحتاج إلى معادلة رياضية، الأمر أبسط من أن تتخيله امرأة.. وعندما أقول هذا؛ لا يعني أن الأنثى تحتاج إلى أشياء لتكون أنثى، بل إنّ الأنوثة سرّ من أسرار المرأة، والأنوثة ليست في مستحضرات التجميل، ومهما عملت المرأة لن تكون أنثى بمستحضرات التجميل فقط، فالبعض من النساء لو وضعت مأمورة سجنٍ لطلب السجناء أن يأتوا لهم برجلٍ بدلًا عنها لقسوتها الشديدة، وخشونتها، وسوء تعاملها معهم، وصوتها المزعج الذي لم يعرفوا أنه صوت امرأة إلا عندما نظروا إليها؛ ليس لأنهم يعرفون أنها امرأة؛ بل يميزونها بالملابس التي ترتديها.

للأسف الشديد أجد الكثير من الفتيات اليوم تقاعدن عن الأنوثة في سنٍّ مبكرةٍ.. لا أقول أن تكون المرأة خارقة؛ بل أن تكون أنثى تهتم بنفسها، وتعتني بها، لطيفة في تعاملها، أنيقة في لبسها، رقيقة في صوتها.. في

الغالب الرجل هو من يحسّ بأنوثة المرأة أكثر من إحساسها بأنوثتها، فالرجل هو من يقرّر أن المرأة لديها أنوثة أو أنها كأيّ امرأةٍ أخرى، فالأنثى تتميز بكثير من الصفات على بني جنسها من النساء؛ لتجذب إليها الرجل، وتحببه إليها، وتجعله يموت فيها حبًا، فالجمال جزء من الأنوثة، ولكن ليس كلّه؛ فهناك نساء جميلات ولكن ليس لديهنّ أيّ أثر للأنوثة.. لكلّ أنثى طريقتها في التعامل مع الرجل، والأنثى بالمعنى الحقيقي هي التي تبرز أنوثتها لتكون أكثر قربًا إلى قلب الرجل، فالأنثى دائمة الابتسام، ورقيقة الصوت، وناعمة الملمس، وفياضة المشاعر، وكثيرة الحبّ، وساحرة النظرات.. وحياء المرأة جمال، والحياء جزء من أنوثة المرأة أيضًا، فإن ضاع الحياء ضاعت أنوثتها..

الإنسان كائن يحبّ التطوّر والتجديد، فمن المستحيل أن تلقى شخصًا بعد خمس سنواتٍ على ما كان عليه قبلها، قد تجد فيه صفاتٍ جديدة وترى صفاتٍ اختفت منه، فالإنسان لا يتقدّم بالعمر فحسب؛ بل يسعى إلى أن يكون متجددًا في كلّ شيء.. بالطبع ليس الكلّ يفعل ذلك، ولكن مَن يحبّ أن يطوّر من نفسه.. وفي الأغلب إنّ بعض النساء يرين أنفسهن يمتلكن كلّ شيءٍ؛ أنوثة، وحبّ، وحنان، وعطف، ولكنّ الواقع عكس ذلك؛ فالرجل قد لا يرى ذلك، فهو يرى أنها تحقق له رغباته فقط، ولكنه قد لا يجد أنها تمتلك الأنوثة التي يبحث عنها.. الأنوثة ليست بالمظاهر فقط؛ فلا أعتقد أنّ هناك امرأة في العالم لا تهتم بمظهرها، فالاختلاف يكمن في الشعور، في الإحساس، في العاطفة، في الحبّ، في الرقّة، والتعامل.. وأنا هُنا لا أريد أن أفصل بين امرأةٍ أو أخرى، أو أن أقارن بينهنّ، ولكن الحقّ يُقال؛ فليست كل امرأة أنثى، ولكن كلّ أنثى امرأة، فالأنثى الحقيقة تعرف متى تبرز أنوثتها ومتى يجب عليها أن تكون امرأةً عادية، فالأنثى لا تظهر أنوثتها على الدوام، ولكنها تتحكم بها؛ متى ما أرادات أن تبديَها، ومتى ما أرادت ألّا تفعل، وهذا يعتمد على الموقف الذي تكون فيه، فالأنثى تكون بكامل أنوثتها أمام زوجها، بينما تخفيها عندما يذهب.. الجمال لا يجعل من المراءة أنثى إذا لم تهتم بالأمور الأخرى، فبعض النساء جميلات جدًا ولكن ليس بهنّ أيّ أثرٍ للأنوثة..

البعض من النساء للأسفِ الشديد تعتقد أنّ الرجال ينخدعون بسهولةٍ نظرًا إلى مظهرها الخارجي أو إلى ما تضعه من مساحيق التجميل على وجهها، الأمر ليس بهذه البساطة، الرجل أصعب من أن تخدعه امرأة، والقليل مَن ينخدع للمظاهر، فأنا لا أقول أن الرجال جميعهم لا ينخدعون، ولكن البعض منهم، فليس من وضعت مساحيق تجميل على وجهها ظنّت أن الرجال سيعجبون بها، ولكنها لم تعرف أن البعض لديهم

معاييرهم الخاصة لحبّ امرأة والانجذاب إليها، يشعرون أن هناك مغناطيس يجذبهم إلى هذه المرأة.. البعض من الرجال لا يهمهم التكلّف بقدر ما تهمهم البساطة في شخصية المرأة، فالرجل لا يريد ملكة جمال -وإن كنتُ لا أحبّذ هذه المسميات- فملكات الجمال وإن كنّ جميلاتٍ فقد لا يملكن أنوثة..

الأنثى هي مَن تحاول إغراء زوجها بكلّ الطرق والأساليب ليتمسّك بها، ويغرم بها، ويسحر بها، وفي النهاية تفوز بما تريد، فتأسر قلبه، وتسيطر على عقله، وتحتكر حبّه فلم يعد يرى غيرها رغم كثرة النساء المحيطات به.. هي تعرف حدودها وتعرف ما عليها أن تفعله، فالرجل لا يريد أن يعلم امرأته ماذا يريد منها؛ بل عليها أن تعرف هي، فلو وصل الأمر إلى أن يخبرها ماذا عليها أن تفعل؛ فلم يعد الأمر مهمًا بالنسبة له فالرجل يحبّ المفاجآت، ويحبّ ما يأتيه من أشياء من زوجته بدون أن يطلبه منها، أن تكون قارئةً لأفكار زوجها، تعرف ماذا يريد، تعرف ما يغضبه، وتعرف ماذا يحبه، وتعرف ماذا يجب عليها أن تفعل.. وتختلف أذواق الرجال في النساء، فالبعض يريد القصيرة، والبعض الطويلة، والبعض السمراء، وآخر بيضاء.. ومن الأشياء التي لا يختلف عليها اثنين من الرجال أنّ المرأة يجب أن تتحلّى بالأنوثة، ولا أعتقد أن هناك رجل يريد امرأة تأتي لتنافسه ويصبح لا فرق بينها أو بينه وتؤدي أدواره في البيت وخارجه..

الأنثى تأسرك حينما تمرّ مِن أمامك؛ ليس لأنها متبرجة أو أن هناك شيء ملفت للانتباه يجعلك تنظر إليها، وإنما هناك شيء خفيّ تتمتع به يُغري الرجال لا يعرفه إلا هُم.. الأنثى لا تصنعها مستحضرات التجميل أو الملابس الضيّقة؛ وإنما شيء من الأسرار الخاصة بالمرأة.. والرجل لا يحبّ أن تكون امرأته ضعيفة، ولكن لا يجب أن تكون قويّةً أمامه، لا يجب أن تقرر عنه؛ بل تجعله هو مَن يقرر، وتكون سندًا ومستشارً له في كلّ أمور الحياة، فالحياة تشارُك، ويجب أن تخضع لهُ حتى تكون بنظره الوحيدة ولا ينظر إلى واحدةٍ أخرى سواها، فالرجل لا يحبّ المرأة التي لا تفقه شيئًا بأمور الحياة، لكنه بالمقابل لا يريدها أن تكون كذلك على الدوام، ففي بعض الأوقات يريدها أن تكون غبية..

الأنثى تكون في كامل أنوثتها في حضور زوجها، وتكون امرأةً أخرى في غيابه، تكون قويّةً في غيابه، وتكون ضعيفةً في حضوره.. والأنوثة ليست ما نشاهده هذه الأيام مِن عملياتِ التجميل وتكبير أجزاء من الجسم أو تصغيرها، فليست كلّ امرأة يشاهدها الرجل يُغرَم بها، فللرجال أذواق في اختيار النساء، وليس كلّ مَن

وضعت القليل من مساحيق التجميل تستطيع إغواء رجل، فسلوك المرأة هو ما يحكم به الرجل على المرأة؛ فإن رأى سلوكها، رقّتها، أنوثتها، حياءها؛ حكم عليها بامرأة أو أنثى، وأما الأشياء الأخرى؛ تأتي فيما بعد.. أثناء بداية دراستي في الجامعةِ وتحديدًا في السنة الأولى، وأثناء الاختبارات النهائيةِ كان هناك مُراقِبَةٌ تراقب الاختبارات، بالإضافة إلى ثلاثة مراقبين ذكور، واثنتان من الفتيات.. ما لفت نظري أنّ هذه المرأة –وإن كنتُ معترضًا على تسميتها امرأة– حتى الرجل لا يستطيع أن يقوم بما تقوم به، كما أنّ هيأتها لا تثبت أنها امرأة سوى مِن شكلها وملابسها، كان صوتها ذكوريًّا مرتفعًا وهيأتها تثبت أن داخلها رجلًا، ولكنّ خارجها يقول إنّ هناك امرأة.. عندما سمعتُ صوتها حينَ دخَلت مِن باب القاعة أقسم أنني ظننتُها رجلًا، ولا أعرف كيف يتعامل معها زوجها في البيت وهي بهذه الهيئة التي تنفر منها! فالمرأة الحقيقة ليست بالصوت المرتفع؛ بل بخفض الصوت ورقّته، وإلا ما الفرق بينها وبين الرجل؟! فالأنوثة ليست برفع الصوت؛ بل بخفضه، وليست بلفت النظرات مِن هُنا وهناك؛ بل بغضّ الطرف وعدم لفت الأنظار، فالأنثى الحقيقية لا تلفت الأنظار؛ بل تجعل الجميع ينظرون إليها بدون أن تقوم بأيّ شيء، وليست بالملابس الضيقة؛ بل بالملابس المحتشمة، وليست بمستحضرات التجميل؛ بل بطبيعتها، فالجمال بالتزييف ليس مقياسًا للأنوثة..

فالمرأة –مهما كانت الظروف– لا يجب أن تتصف بالقوّة.. لا أقول أن لا تكون لديها هذه الصفة في أوقاتٍ، ولكن لا يجب أن تكون على الدوام، فالمرأة بطبيعتها رحيمة رقيقة، والهدوء والثقة بنفس هما أساسيان في شخصية الأنثى، فليس كلّ امرأة أنثى وليس كلّ امرأة تستطيع أن تقول إنّها أنثى، وإن أخفت ذلك، ولكنها لا تستطيع؛ لأنها ليست أُنثى من الأساس، فالجمال يجعل الأنثى أكثر جمالًا، ويضيف سحرًا على جمالها، فليس كل امرأة جميلة، ولكن كلّ أنثى جميلة.. وأقولها في الأخير: أنا لستُ ضدّ النساء بأيّ شكلٍ من الأشكال، ولكنني ضدّ تصرفاتها الرجولية التي تجعلها تنسلخ من أنوثتها وتكون بذلك رجلًا آخر..

****

الإهمال
وآثاره على النفس

الإهمال يقتل كلّ ما بنيته في السابق.. لا تهمل شخصًا أعطاك وقته ووقف إلى جانبك في أصعب الظروف.. الإهمال يقتل عندما تكون العلاقة ممتدّةً بين الأشخاص لأعوامٍ كثيرة، ويأتي الإهمال في أيامٍ قليلةٍ يهدمها.. الإهمال يجعلنا نكره من كُنّا نحبه يومًا.. البعض يرسل رسالةً إليكَ ليقول لكَ "ابتعد! فلم تعد مهمًا بالنسبة لي".. ليس شرطًا أن يقولها عَلَنًا، ولكنه يقولها مرارًا وتكرارًا عندما يهملك، وعليك أن تفهم ذلك.. مهما كانت العلاقة بينك وبين شخصٍ آخر؛ لا تهمله، ولا تحاول الابتعاد عنه، فالإهمال يقتل العلاقة مهما كانت قويةً.. اقترب منه أكثر؛ لا تبتعد عنه، تمسّك به جيدًا، فربما لن تلقى شخصًا آخر يحبّك كما يحبك.. وإن حدث سوء فهمٍ لا تذهب بعيدًا، واعرف الأسباب التي أدّت إلى هذه النتيجة، وتأكّد أن من المستحيل أن تلاقي شخصًا وتبني معه علاقةً لسنوات..

الاهتمام بداية الحب، بينما الإهمال نهايته.. الإهمال يقتل أيّ علاقةٍ مهما كانت قويّةً وصلبةً، بينما الاهتمام يصنع أيّ علاقةٍ مهما كانت صعبة.. لا أحد على هذه الأرض لا يحبّ الاهتمام به من شخصٍ أو أشخاصٍ آخرين مهما كان، فالمرأة تحبّ الاهتمام والرجل والطفل أيضًا، فالعلاقات الإنسانية بين البشر مبنية على الاهتمام، وإن انقطع الاهتمام فسيكون بديله الإهمال، وهُنا يتمّ القضاء على أيّ علاقة.. الإهمال لا يقتصر على البشر فقط؛

بل بين الحيوانات والنباتات، فحينما يكون لديك نباتات إذا لم ترعاها وتهتم بها وتسقيها بين فينةٍ وأخرى ستموت حتمًا، وكذلك النفس البشرية إذا لم تلقَ الاهتمام والرعاية..

الاهتمام رسالة تقول "ما زلتُ أحبّكَ وأحترمكَ، فابقَ إلى جانبي"، بينما الإهمال عكس ذلك؛ مفادها "ابتعد عنّي؛ فأنا لم أعد أريدك!".. لا تهمل شخصًا بعد أن كان من أولوياتك، فربّما لن تستطيع إصلاح ما قد يحدث فيما بعد.. لا تهتم كثيرًا بشخصٍ وأنت تعرف مسبقًا أنك ستتخلى عنه وتهمله وتتركه وحيدًا.. لا تهمل شخصًا ثم تبادر إلى إعطائه أعذارًا واهيةً لن يصدقك حينها، فلو كنتَ صادقًا لما تركته، وتأكّد أنه مهما كانت العلاقة بينكما فإنها ستنتهي؛ لأنّه لا أحد يهمل شخصًا كان يراه كلّ شيءٍ ومن ثمّ يقدّم الأعذار.. الإهمال ليس مقتصرًا على العلاقات فقط؛ بل هناك الإهمال في العمل، فالإهمال في العمل يقتل الإبداع كما يقتل الإهمال العلاقات عندما لا يكون هناك شخصٌ يشجّعك على ما تفعله.. لا تتحجّج بالظروف، فجميع الناس ظروفهم أسوأ مِن غيرهم، فمن يهمل يكفيه الإهمال، ولا يزيد عليه أن يكذب بأن لديه ظروفًا..

الإهمال يجعلنا نكره من كنّا نحبّه يومًا.. كلّ شخصٍ على هذه الأرض يحتاج الاهتمام، فالموظف يحتاج إلى الاهتمام مِن مديره، والطالب يحتاج إلى الاهتمام من معلّمه، والزوجة تحتاج إلى الاهتمام من زوجها، والابن يحتاج إلى الاهتمام من أبويه.. لا تغِب عمّن أحبّك، فقد يجد شخصًا يحبّه أكثر مما كان يحبك، ويتخذه صديقًا له، وإن أتيتَ بعد ذلك وأقسمت له بأنه كان لديك ظروفك الخاصة فلن يصدقك؛ لأنك تركته بدون أن تخبره بذلك.. لا تظنّ أن هناك شخصًا لا يستطيع الاستغناء عنكَ، ولا تجرب ذلك، فمن اتخذك صديقًا له سيفعل ذلك مرّةً أخرى مع شخصٍ آخر.. وإن عُدتَ يومًا بآلاف الحجج ومئات الأعذار فلا أحد سيصدقك، فالإهمال لا يغُفَر، فمن تخلّيت عنهُ مستعدٌّ أن يبني علاقةً أخرى، ويبحث عن صديقٍ آخر، فكلّ شيءٍ يموت مع الإهمال؛ ليس أوّلها الحبّ، ولن تكون آخرها العلاقات، وما بينهما المشاعر الصادقة، فنحن بشرٌ نحبّ الاهتمام.. الوردة إن لم تسقها وتهتمّ بها فإنها ستموت حتمًا، فكيف بالنفس البشرية التي تمتلك مشاعر وأحاسيس لا توجد في سائر المخلوقات الأخرى؟! النفس البشرية عندما تحبّ تهتمّ، وعندما تريد الابتعاد تهمل.. وعندما نهتمّ بشجرةٍ نبادلها الاهتمام على الدوام، نسقيها ليلًا ونهارًا، نرعاها، نهتمّ بها، ننظف ما حولها، وإن أهملناها ستيبس وتموت؛ لأنها ببساطةٍ لم تعد تتلقّى الاهتمام الذي كانت تلقاه مِن قبل.. إن أحببت أحدًا فحافظ عليه، واهتم به، ولا تهمله مهما كانت الظروف التي تدفعك إلى الإهمال، فالاهتمام يولّد الحبّ تلقائيًا

فينا.. اهتمّ بكلّ مَن تحبّهم، ولا تهملهم أبدًا، واجعلهم في قائمة أولوياتك، ولا تتحجج بظروفك؛ فالجميع لديهم ظروفٌ قد تكون أقسى مما لديك.. أنت لا تعرف كيف يعيش ذلك الشخص الذي قررت أن تهمله.. ماذا لو خضتَ نفس التجربة مِن شخصٍ تحبّه وتحترمه وبينكما علاقة امتدّت لسنين؟! مِن المؤكد أنك ستحزن كثيرًا، فالنفس البشرية متقاربة في الحزن، ولكنها متفاوتة في الاهتمام.. عالج إهمالك لأحدهم قبل فوات الأوان، قبل أن يبحث عن بديلٍ لك، كُن أنت صديقه الدائم، ولا تجعل إهمالك يطول أكثر مما هو عليه، فالمسامحة ستكون صعبةً جدًا فيما بعد..

لا تطلب الاهتمام من أحدٍ، ولكن إياك أن تهمل أحدًا تهتم به، فالاهتمام يُمنَحُ ولا يُطلَب، ومتى ما طلبنا الاهتمام من أحدهم فلم تعد له أيّة أهميةٍ بذات القدر الذي يأتينا دون أن نطلبه مِن أحد.. ومهما كان قرب الأشخاص من القلب؛ فالإهمال يبعدهم بل يخرجهم منه.. اسأل عن صديقك، وابحث عنه، ولا تتوقّف حتى تجده وتعرف أحواله، فليس من المنطقيّ أن يكون لديك صديق ولم تعرف عنه شيئًا، فالصداقة اهتمام وسؤال.. إياك أن تهمل شخصًا كان يراك كلّ شيءٍ بالنسبة له! فالصدمة ستكون أقوى من أن تهمل شخصًا آخر لا يهتم بك.. البعض يسامح مَن يهمله؛ ليس لشيءٍ، وإنما يريد أن تظل بقربه، فإياك أن تتمادى أكثر، فبعدها لن يجد سببًا واحدًا لعدم الابتعاد عنك، فكُن حذرًا في علاقتك مع من يحبونك، والعكس.. البعض يصل إلى نقطةٍ معينةٍ ثمّ بعدها لا يستطيع المسامحة أكثر، فيقرر الابتعاد؛ ليس لأنه أراد ذلك، بل لأنه أُجبِرَ على فعل ذلك، فهو لم يلقَ الاهتمام اللازم، وكلّما اهتمَّ قُوبِلَ اهتمامه بالإهمال، فلم يستطِع الاستمرار في الكذب على نفسه بأنّ هناك شخصًا يهتمّ به، بينما العكس من ذلك، هُناك شخصٌ لا يشعر به، ولا يعيره انتباهًا، فيقابل اهتمامه بالإهمال.. عليكَ أن توازن بين مَن يهتمون بك وبين من تهتمّ بهم، وكُن أكثر قربًا ممن يهتمون بكَ، فيومًا من الأيام وفي أبسط الأشياء سيتخلّى عنك من كنتَ تهتمّ بهم، وسيظل إلى جانبك من يهتمون بك.. تأكد أنّه لا أحد يهمل أحدًا إلّا لسببٍ وحيدٍ؛ أنّه لم يعد يريده في حياته، وهي رسالة له يجب عليه فهمها مفادها أنّ عليه المغادرة.. لا تقترب من شخصٍ أهملك، فهو بذلك لم يعد يريد قُربك؛ بل يريد الابتعاد عنك.. والانتظار مُرادف الإهمال، فلو كان الشخص مهتمًا لما تركك تنتظر، ولكان عندكَ في الوقت المناسب، ولما بحثتَ عنه في عيون العابرين مِن حولك.. تأكد أنّه لا أحد يكره شخصًا بدونِ مقدّماتٍ، فنحنُ نكره الانتظار والخذلان والإهمال..

الخوف
يقتل الإبداع

الخوف يمنعنا من العمل.. اعمل، وإن فشلتَ فأنت تعلّمت، ولن تكرره مرّةً ثانية.. ولا أحد يتعلّم من غير أن يفشل، والصعوبات التي نواجهها تكون رصيدنا للوصول إلى ما نصبو إليه، ومن يواجه الصعوبات سيكون أقوى.. ومهما فعلتَ لا تخف من الفشل، فمن الطبيعي أن تفشل، ولكن من غير الطبيعي أن تستمرّ في الفشل.. ستخرج من تحت ركام حزنك منتصرًا، ثق باللهِ وكُن على يقينٍ بأن الله لن يخذلك.. لا تنهزم مهما كانت الظروف المحيطة بك.. توقف قليلًا لتبدأ من جديدٍ، ولكن إياك أن تستمرّ في الوقوف.. ثق بنفسك، وواجه الصعوبات والتحديات، وسيكون النجاح حليفك لا محالة.. لا عيب إذا أدركتَ مسبقًا أنّ فشلك في مغامرةٍ ما واقعٌ لامحالة، فتنسحب من ذلك، ولكن احذر أن يكون ذلك عن خوفٍ وليس بناءً عن معرفةٍ دقيقةٍ بما أنت مقدمٌ عليه.. الخوف يغلق أمامنا الكثير من الأبوابِ، ويجعلنا نعتقد أننا وصلنا إلى طريقٍ مسدودٍ، ولكن لم نكن نعتقد أن طريقًا واحدةً أُغلِقَت وتبقى طرقٌ أخرى للتغلب على الخوف.. الخوف هو ذلك الشعور الذي يجعلنا نعتقد أننا وصلنا إلى نهاية الطريق، وأنه لم يعد هناك طرقٌ أخرى، فتتبخر الأحلام، وتعجز الأهداف عن التحقّق، وتتحطم الأنفس، ويحلّ اليأس.. لقد أصبح الخوفُ صديقًا للبعض؛ ليس لأنه أحبّه، بل لأنه ترك له حريّة التملّك، فجعله يتملّكه ولم يردعه، ولم يحاول طرده في كلّ أمرٍ من أمور حياته، وقبل أن يبدأ كان يخاف أن يفشل، ولم يعرف حينها أنّ الخوف ما هو إلا أوهام وضعها في عقله، وليس لها وجود على

أرض الواقع، ولو نفّذ ما كان يريد لنجح، ولكن خوفه منعه من ذلك.. إياك أن تجعل الخوف يسيطر عليكَ ويتحكّم بك! أنت من يجب أن تتحكم به، اطرده من خيالك وتفكيرك، وفي كلّ مرّةٍ يأتي إليك أخبره بأنك ستنجح، وأنه ليس هناك مجالٌ لتفكير في غير هذا.. تذكّر أنّ مخترع المصباح "أديسون" جرّب مئات المرّات – وإن اختلفت الأرقام حول عدد محاولاته– ما يهمّ هو إصراره وعزيمته للوصول إلى ما كان يريده..

لا يجب أن نخاف من الفشل؛ بل يجب أن نحاول السيطرة عليه، لا أن يسيطر علينا.. والخوف ليس دائمًا سلبيًّا؛ بل في بعض الأحيان يكون إيجابيًا، فالخوف من الإخفاق والفشل هو ما يقودنا إلى النجاح.. لا أحد حقق ما يريده أو جزءًا مما يريده بدون أن يفشل؛ فالفشل لم يوقفه، ولكنه كان محفزًا له للاستمرار على ما هو عليه، وليس هذا فحسب؛ بل وبذل المزيد من الجهد في سبيل أهدافه التي يريد الوصول إليها.. من الغباء أن نتوقف عند أوّل محطّةِ فشلٍ نصادفها، فطريق النجاح مليئة بمثل هذه المحطات، وليس الأغلب يجتازها ويعزم على المواصلة والاستمرار، ولكن القليل يصلون إلى القمّة؛ ليس عن طريق المصادفة، بل بتخطيطٍ مُسبَق.. ليس العيب أن تفشل، ولكن العيب أن تستسلم، وليس العيب أن تتوقف لتبدأ مِن جديد، العيب أن تيأس وتستسلم.. لا تنظر إلى الفشل أنه نهاية الطريق؛ بل بداية النجاح.. غيّر الأساليب والطرق السابقة التي كُنتَ تستخدمها من قبل لتكون انطلاقتك أقوى، ولا تعبر مِن طريقٍ فشلت فيه مِن قبل.. لا تقف على أطلالِ فشلك؛ بل استمر في المحاولة للنهوض مِن جديدٍ لتكونَ انطلاقتك أقوى من ذي قبل.. ما مضى مضى.. ركّز على ما تعيشه في الوقت الحاليّ، وبنظرةٍ ثاقبةٍ إلى المستقبل.. جد المشكلة قبل أن تجد حلّها، وضع لها الحلول اللازمةَ حتى عندما تأتيكَ تكون في أتمّ الاستعداد لها.. كُن متقدمًا بخطوةٍ.. ضع الأهداف، وتوقّع ما الذي سيواجهك.. البداية تكون صعبةً، ولكن تأكد إذا تجاوزتها فلا أحد بعد ذلك سيوقفك.. لا تخَف من الفشل، فلا أحد يخاف مِن المشكلة قبل أن تحدث، ولكن كُن جاهزًا لذلك؛ فلديك الحلول اللازمة للتعامل معها.. حاول مرّةً ومرتين وثلاث وعشر مرات.. الأمر لا يتعلّق بالمحاولة بقدر ما يتعلق بمدى إصرارك وتيّقنك بأنك ستصل.. لا تستسلم للفشل؛ بل اجعله وقودًا لك ليوصلك إلى ما تريد.. ضع تصوّرًا للنجاح الذي تريده، أو المكان الذي تريد الوصول إليهِ حتى عندما يراودك الفشل أخبره بأنّ لديك شيئًا لتنجزه، وأخبره بأنّك لن تتوقف حتى تحققه.. وتأكد أنّ كلّ شيءٍ لا يأتي مرّةً واحدةً؛ بل من خلال خطواتٍ عليك أن تخوضها.. لا تفكّر بأنّك ستفشل؛ بل فكّر بأنك ستنجح، فأفكارنا هي ما تقودنا إلى ما نريد.. اجعل تفكيرك

إيجابيًا، وفكر بالنجاح دائمًا، ولا تشكّك بنفسك وقدراتك وبما تستطيع فعله؛ بل كُن مؤمنًا بنفسك، واثقًا بقدرتك، جاهزًا لبدء التحدّي، متأكدًا من الوصول إلى القمة.. وإن اعترض طريقك شيءٌ ما فلديك الحلول التي تستطيع تجاوزه بها.. تذكّر أنّ لديك كلّ المقومات لتنجح، وفي أغلب الأحيان يكون الخوف ممّا نعتقد أننا سنواجهه في عقولنا فقط، ولم يكن على أرض الواقع، فعندما وصلنا إلى نقطةٍ معينةٍ اكتشفنا ذلك.. لا تجعله يوقفك؛ بل اجعله خطوتك الأولى نحو النجاح.. بعد كلّ فشلٍ اجلس مع نفسك لتعرف أين فشلت، وتجد الحلول المناسبة.. ومن غير المنطقيّ أن تعود مِن جديدٍ بنفس الطريقة السابقة.. غيّر الأساليب والطرق حتى تصل، وكُن متأكدًا بأنك ستصل.. ومن المهم أن تكون واثقًا بنفسك، فالثقة بنفس دافع إيجابي، وهي إحدى الوسائل للتغلب على الشعور بالفشل.. لا تندفع أكثر حتى لا يكون الفشل مصيرك.. خذ الأمور ببساطةٍ وبتأنٍّ، وفكّر وخطّط قبل أن تقوم بما تريد، فعندما تخطط ستعرف إلى أين ستصل.. لا مشكلة في أن تتوقف قليلًا لتأخذ نفسًا، ولكن المشكلة تكمن في أن تستسلم لفشلك، فحينها يكون غلبك ولم تعد لديك القدرة على مواجهته.. انفضه عنك، وأخبره أنّك بدأتَ ليس لكي تفشل، ولكن بدأتَ من أجل أن تنجح.. لا ترهق نفسك بالتفكير السلبيّ الذي يجعلك أسيرًا له؛ بل اجعل كلّ ما تفكر به إيجابيًا، وفكّر بتجاوز المحن والتحدّيات، وليس الخوف من الفشل، فالخوف فقط يكمن في البداية فقط، وعندما تتجاوزها ستتجاوز المراحل الأخرى.. تأكد أنّه لا شيء يعيقنا سوى أنفسنا.. ابدأ بالعمل الذي تخاف مِنه، أو الذي تخاف أن تفشل فيه، وعندما تبدأ بالعمل ستعرف أنّه ليس هناك خوفٌ مِن شيءٍ سوى ما نفكر فيه.. يقول المثل: "قارِب الخوفَ تأمَنْ"، ربما تكون صحيحةً إلى أبعد حدّ..

لا تعطِ الأشياء أكثر مِن حجمها؛ حتى لا تكون عائقًا لك، خُذها ببساطةٍ.. لا تعتقد أنّ الآخرين مهتمون بكَ وينظرون إليك باستمرارٍ، فكلّ شخصٍ لديه هموم تكفيه لينهمك في شؤونه ولا يستطيع أن ينظر خارج حدوده.. لا تخف من تقييم الآخرين؛ فالأهم أنك تثق بنفسك، ولا تنظر إلى كلامهم على أنه منطبقٌ عليك؛ بل يجب عليك ألّا تهتم بكلّ ما يقولونه.. صحيحٌ أنّ الواقع يجعلنا نفكّر ألف مرّة قبل الإقدام على فعل أيّ شيء، ولكن لا يجب أن نظلّ مُقيّدين له، يجب أن نغامر قليلًا لنكسر حاجز الخوف الذي يسيطر علينا.. لا أحد لا يخاف، وإن قلتُ غير كذلك فأنا أكذب، ففي كلّ شيءٍ نقوم به في حياتنا وقبل القيام به نفكّر مراتٍ عديدةً، وننظر إليه من جميع الزوايا، ننظر إلى الجانب الإيجابيّ والجانب السلبيّ، نتساءل أين يمكن أن نفشل؟

وكيف نجد الحلول لذلك؟ أين سنحقق نتائج مبهرة نفتخر بها؟ وأين سنواجه صعوباتٍ وتحدياتٍ؟ ومعَ كلّ هذا لا يمنعنا ذلك من المغامرة، فلو لم نغامر وبقينا نخاف من الفشل لظللنا في أماكننا لم نتغيّر ولم ننجح ولم نعمل أيّ شيءٍ؛ لأننا ببساطةٍ نفكّر بالفشل وننظر من زاويةٍ واحدةٍ وهي زاوية الإخفاق، بينما لو نظرنا إلى الجانب الآخر الجانب الإيجابي المشرق بالنجاح والنتائج التي سنحققها لما فكّرنا بالفشل.. الأمر يتعلّق بمدى ثقتنا بأنفسنا وقدرتنا على مواجهة ما قد يصطدم في طريقنا.. لا يهم صعوبته أو بساطته بقدر ما يهمّ هل نحنُ أقوياء لمواجهته أم نحن سنستسلم له ونقول أننا لم نعد نستطيع المواصلة؟! لا تعتقد أنّ كلّ ما تريد تحقيقه ستحققه بدون أن تفشل، الأمر ليس بهذه البساطة، فأنت ستواجه صعوباتٍ، وتصاب بالخوف من القادم، وتفكّر بالأسوأ، الأقوياء فقط هُم من يبددون مخاوفهم بالعمل والمجازفة وإعلانهم أنّ الخوف ليس سوى وهم يضع نفسه أمامهم من أجل التوقّف، ولكن لا يجب أن نتوقّف؛ بل نظل نمشي بدون أن نلتفت إلى ما مضى، ونبقى مركّزين على ما بين أيدينا، وننظر إلى المستقبل.. لا يجب أن تحارب الخوف فقط؛ بل وتتغلب عليه وتحاول أن تبني نجاحًا من النقطة التي فشلت فيها.. الإرادة والإصرار وتحدّي النفس سيوصلنا إلى ما نريد تحقيقه، والخوف ليس إلا عقبةً في طريقنا إلى ما نريد تحقيقه، ولا وجود له في أغلب الأحيان على أرض الواقع..

****

افخر بنفسك دائمًا وأبدًا

افخر بنفسك كثيرًا عندما تحقق إنجازًا ما، وقُل "أنا فعلت".. لا تصدّق من يقول لك لا تفخر بنفسك؛ بل افخر بها وقُل "أنا مَن فعلتُ كذا"، ولكن تأكّد أن ذلك يستحقّ.. عندما تنجح في الثانوية العامة وتأتي في المستويات الأولى فأخبرهم أنك اجتهدتَ، وأنك تعبتَ وثابرتَ، وأنك سهرتَ، وفي النهاية حققت الدرجات العالية، ولا تخجل مِن ذلك! عندما تجتهد وتنجح في عملٍ فأخبرهم أنك تعبتَ ولم تتوقف، وفي النهاية أنجزت.. افرح بنفسك وبكلّ ما تقوم به من عملٍ، تمسّك بأهدافك كما يتمسك متسلّقو الجبال ببصيص الأشياء التي يضعون أيديهم عليها مِن أجل إيصالهم إلى الخطوة التالية، وفي ظل المحاولات والإصرار يصلون إلى القمّة.. كُن كَما هُم، ولكن انتبه أن تنزلق يدك، فقد تضيع أهدافك كما تودي بحياة المتسابق إذا لم يتمسّك بشكلٍ صحيح.. خيِّب ظنّ الجميع بكَ وكُن مختلفًا عنهم، وكُن أنجح منهم، وأذكى منهم، وقبل أن تخطو كلّ هذه الخطوات الجبارة تأكّد أنك تسير في الاتجاه الصحيح.. لا تكُن قاسيًا مع نفسك.. افرح عند إنجازك لعملٍ ما، اذهب إلى مكانٍ تجد فيه نفسك، لا بأس بالقليل من الراحةِ في حديقةٍ أو مقهى، كافئ نفسك على هذا التفوق، فأنتَ تستحقّ ذلك..

افخر بنفسك، ولا تكُن أنت من يحبطها.. شجّعها عند النجاح، وواسِها عند الإخفاق.. لا أحد سيأتي ليقول لك "كم أنت رائع! لقد حققت شيئًا عظيمًا" سوى أنت.. لا تبخل على نفسك، وكُن أنت، وإن كنتَ الوحيد

الذي يشجع ويفخر بنفسه فافعل! لا تحزن لما يقوله الآخرون عنك؛ بل افرح، فلو لم تفعل شيئًا عظيمًا لما تكلّموا عنك.. وتذكّر أنّه لا أحد يرمي الأشجار غير المثمرة؛ بل هم يبحثون عن الأشجار المثمرة والناضجة.. لا تنظر لما تفعله على أنه شيءٌ لا يستحقّ الفخر.. احتفل بما تحققه، وافرح بما أنجزته، وانظر إلى نفسك وافخر بها، ولا تنظر إلى ما يقوله الآخرون عنك، فمهما قالوا لن يزيدوك شيئًا ولن ينقصوك شيئًا.. افخر بنفسك، وإن كُنتَ السند الوحيد لها؛ فلا أحد سيأتي ليشجعك، ولا أحد سيأتي ليقول لكَ "كم أنا فخورٌ بكَ!".. لا تستحقر كلّ ما تفعله؛ بل انظر إليه على أنه شيءٌ عظيمٌ لا أحد فعله من قبل.. شجّع نفسك، وصفِّق لها بحماسٍ ولو كنتَ الشخص الوحيد المتواجد في القاعة.. لا تسأل حتى نفسك، ولا يخطر في بالك أن تقول "هل حقًا أنا أستحق أن أفخر بنفسي؟!".. نعم؛ أنت تستحق أن تفخر بنفسك.. لا تسمح لأحدٍ أن يحبطك أو أن يثني عزائمك على أمرٍ عقدت العزم على فعله.. كُن فخورًا بكلّ ما تفعله، ومهما أخطأت فلا تلُم نفسك؛ بل تذكّر المقولة التي تقول "مَن لم يُخطئ لم يتعلّم، ومن لم يتعلّم لن ينجح"، ولكن إياك أن تكرّر الخطأ مرتين! ومهما بدت الأعمال التي تقوم بها الآن صغيرةً؛ تأكّد أنها ستكون كبيرةً يومًا ما، وتذكّر أن النجاح لا يأتي مرّةً واحدةً.. في كلّ خطوةٍ تخطوها، وفي كلّ عملٍ تقوم به، وفي كلّ إنجازٍ تحققه كُن فخورًا به..

لا تقف كثيرًا عند ماضيك، وتأكّد أنّ ما قُمتَ به كان قرارًا صحيحًا، ولكنّ نتائجه لم تكن كما تريد، فاتخذهُ تجربةً لك، وتعلّم منه حتى لا تكرره مرّةً أخرى، فالماضي للتعلّم وأخذ الخبرة، وليس للندم والأسى ولوم النفس.. وتذكّر أنّ ما فعلته في ماضيك من أعمالٍ كانت في الوقت المناسب وإن لم تكن نتائجها مناسبة.. عِش الحياة كما تحبّ، وتذكّر أنّ الحياة لا ترحم أحدًا، ومهما فعلنا مِن أشياء يظلّ هُناك جانبان؛ جانبٌ سلبيّ، وآخر إيجابي.. فالسلبي نتعلّم منه، والإيجابي نفخر به.. إياك أن تحقر نفسك يومًا ما؛ فالآخرونَ يروك كما ترى نفسك، فافخر بنفسك.. لا تنزعج إذا رفضك أحدهم في عملٍ، يكفي أنّك حاولت، فالمحاولة مِن أساسيات الوصول إلى ما تريده، فلا تتوقف ولا تنظر إلى نفسك بشكلٍ سلبيٍّ؛ بل كُن فخورًا بها.. إياكَ أن تتسوّل محبةً مِن أحدهم.. كُن فخورًا بنفسك، ومن يحبك سيأتي إليك، والصداقة والحبّ ليست للتسوّل؛ بل هي مشاعر لا نتحكم بها نحن، فمن نحبهم يدخلون إلى قلوبنا بدون إذنٍ مُسبَق.. وتأكد أنه إذا لم يحبك شخصٌ واحدٌ؛ فهناك شخصان يحبّانك في مكانٍ ما، وستلتقي بهم ذات يوم.. لا يهمّ من يبحث عن الآخر، سيكون اللقاء مصادفة..

كُن فخورًا بما تملكه مِن مشاعر وحبٍّ تجاه الآخرين، ولو كنتَ الشخص الوحيد الذي يفعل.. كُن جميلًا وأنيقًا مِن أجلك.. أحبب نفسك وتفاخر بها.. لا تقارن نفسك بالآخرين مهما كانت الأمور، وتأكد أنّ مقارنة نفسك بالآخرين ليس قوّةً؛ بل ضعفًا.. عليك أن تكون فخورًا بنفسك، وألّا تنظر إلى أحدٍ سوى نفسك، طوّرها، دلِّلها، وافخر بها..، وتأكد أنك فعلت أشياء عظيمةً تجهلها.. يجب أن يكون لديك إرادة قوية لتحقيق كلّ ما تريده، وسيأتي اليوم الذي ستفخر به.. انظر إلى ما حققته في حياتك ولو كانت أشياء بسيطة، وتأكد أنّها ستكبر يومًا ما، وتذكّر أنه لا شيء يأتي دفعةً واحدةً، فكلّ شيءٍ يأتي في وقته؛ فقط عليك أن تصبر ولا تنظر لما تحققه على أنها أشياء بسيطة لا تستحق الفخر، وكن فخورًا بها مهما بدت صغيرةً.. ومعَ ذلك يجب أن نفرّق بين الفخر بالنفس والكِبر أو التكبّر؛ وهو احتقار الآخرين وتصغيرهم وشعور الشخص بالعلو وأنّه لا أحد مثله..

إياك أن تكون ثقتك بنفسك مستمدّةً مما يقوله الآخرون عنك، أو مما يمدحونك به؛ بل يجب أن تكون نابعةً مِن نفسك، ولا تعتقد أن كلّ مَن يمدحك سيمدحك صدقًا، فأحدهم قد يمدحك كذبًا.. كُن أذكى من هذا وذاك، ولا تصدّق كل ما يقولونه، فمن مدحك بما فيكَ فقد أنصفك، ومن مدحك بما ليس فيكَ فقد كذب وقال كلامًا ليسَ فيك.. لا يهمّ هذا أو ذاك بقدر أن تكون واثقًا بنفسك وفخورًا بها دون انتظار الآخرين ليقولوا فيك كلامًا سواء أكان موجودًا فيك أم لا.. يجب ألّا تقيّم نفسك بناءً على ما يقوله الآخرونَ عنك؛ بل بناءً على ما تملكه، بناءً على ما حقّقته في حياتك.. الأمر كلّه متعلّقٌ بكَ أنت، فإن أردت أن تسمح للآخرين بتقييمك فافعل، وإن لم تُرِد فافعل، فكلا الخياراتِ عائدٌ إليك، ولكن تأكّد أن الآخرين لن ينصفوك مهما قالوا عنكَ، ولا تعتقد أنّ كلّ ما يقوله الآخرون عنكَ صحيح، فأحيانًا هم يريدون أن يوصلوك إلى الهاويةِ فقط، حينها لن تستطيع العودة، فكلّ كلام الآخرين لا يجب أن تأخذه على محمل الجدّ؛ حتى وإن كان صحيحًا، فيومًا من الأيام ستسمع كلامًا يناقض ما يقولونه لك الآن ومِن نفس الأشخاص الذين امتدحوك..

وفي الختام؛ هناك قصّة جميلةٌ تحكي عن كيف ينظر إلينا الآخرون، وكيف يريدونا أن نكون مثلهم رغم أنّا نحن نختلف عنهم:

تقول هذه القصة أنّ نسرًا كان يعيش في إحدى الجبال المرتفعة، ويضع عشّه على قمّةِ إحدى الأشجار العالية.. وكان عشّ النسر يحتوي على أربعِ بيضاتٍ.. وحدث أن هزّ زِلزالٌ عنيفٌ الأرض، فسقطت بيضةٌ مِن عُشِّ

النسر وتدحرجت إلى أن استقرّت في حوضٍ إحدى الدجاج، فظنّت الدجاجات أنّ عليها أن تحمي وتعتني ببيضة النسر هذه، وتطوّعت دجاجة كبيرة في السنّ للعناية بالبيضة إلى أن تفقس.. وفي أحد الأيام فقست البيضة، وخرج منها نسرٌ صغيرٌ، ولكنّ هذا النسر بدأ يتربّى ويترعرع على أنه دجاجة، وأصبح يعرف أنّه ليس إلا دجاجة.. وفي أحدِ الأيام، وبينما كان يلعب في الساحةِ شاهد مجموعةً من النسور تحلّق عاليًا في السماء.. بدأ ينظر إليهم وتمنّى لو يستطيع التحلّيق عاليًا مثل هؤلاء النسور، لكنه قُوبِلَ بضحكات الاستهزاء من الدجاج قائلين له "ما أنت سوى دجاجة، ولن تستطيع التحليق عاليًا مثل النسور".. بعدها توقّف النسر عن حلم التحليق في الأعالي، وآلمه اليأس، ولم يلبث أن ماتَ بعد أن عاش حياةً طويلةً مثل الدجاج..

نستفيد من القصة أنه لا ينبغي أن تسمحَ لأحدٍ أن يحبطك، ولا تكُن أسيرًا لأفكاره.. اصنع المعجزات.. آمِن بنفسك، ولا تكن أسيرًا لكلامٍ سمعته.. اعتمد على نفسك، وتذكّر أنك تستطيعُ عملَ الكثير من الأشياء.. افخر بكلّ شيءٍ تعمله، ولا تسمع لكلام الآخرين، ولو سمعتَ لهُم فلن تُنجِزَ شيئًا، ولن تحقق أيّ شيء.. وكُن نسرًا في السماءِ بطموحك، بتميزك، بنظرتك للأشياء، بالفخر الذي تبديه لنفسك عند تحقيق هدفٍ ووصولٍ إلى قمّة.. ولا تكن نسرًا مُحبطًا في الأرض حطّم حُلمه الدجاج في التحليق واكتشاف الأرض مِن الأعلى..

****

لا أحد
يستسلم بسهولة

لا أحد يستسلم بسهولة، وإن ادّعينا ذلك فنحن نكذب على أنفسنا، نحن نقاوم بكلّ ما أوتينا من قوّة.. قد ترى شخصًا يائسًا من الحياة ويائسًا من نفسه، ولكنه مازال يقاوم، مازال يرى أنّ هناك أملًا.. حتى الغريق الذي ذهب وألقى نفسه في البحر؛ كان يقاوم الموت رغم أنه في هذا المكان برضاه واختياره.. مهما حلّت علينا من مآسي وأحزان نقاوم ونصمد..

إذا أغلق في وجهك بابٌ فافتح بابًا آخر.. لا تقف لتتحسر على ذلك، فربما يكون خيرًا لك.. الأهم أن لا تستسلم، وكن واثقًا بأنّ ما تمرّ به لن يستمر أبد الدهر.. تأكد أن النجاح كسلّمٍ تصل إلى قمّته بعد طلوعك درجةً درجةً وليس مرّةً واحدة، فلا تستعجل وتيأس وتستسلم مهما كانت الأسباب التي تدفعك لذلك، كافح وقاوم وتأكّد أنك ستحصل على ما تبحث عنه.. وعند اشتداد يأسك تذكّر ابتلاء أيوب، ومحنة يوسف، وصبر محمد صلى الله عليه وسلّم.. لا تكن كشخصٍ يتمنّى ما يريده؛ بل كن ذلك الذي يفعل ما يريده.. لا تحلم، ولكن ضع لك أهدافًا، ليس من السهل أن تقف ندًّا مع الحياة وتحاول تحقيق القليل من أهدافك التي وضعتها.. القوّة الحقيقية تكمن في مواجهة التحديات؛ ليس مواجهتها فقط، بل وتجاوزها وإيجاد الحلول اللازمة لها.. الأمر ليس سهلًا، فالبعض -إن لم يكن الأغلب- سيستسلم لضربات الحياة المتتالية، ولكن القليل جدًا من سيفوزون عليها؛ ليس بقوّتهم فقط، بل بإصرارهم وعزيمتهم وعدم استسلامهم أمام كلّ هذه

التحديات والصعاب.. الحياة لا تجامل أحدًا.. البعض فقط يريد فرصةً لأثبات نفسه، ولكنّ الحياة عنيدة لا تمنحها له.. والبعض الآخر يريد وقتًا ليتعافى من ضرباتها المتتالية، ولكنها أيضًا لا تعطيه الوقت.. البعض يستسلم، ولا يستطيع التحمّل أكثر مما تحمّله، والبعض لا يستسلم، فما يزال لديه بصيصٌ من الأمل بأنّ ما يريده سيتحقق.. هذا لا يعني أنها لم تنهكه وتجعله هشًا لو هبّت رياحٌ لأخذته في طريقها، ولكنه لم يستسلم.. كُن مع الحياة كمن يدخل الحرب؛ لا خيار له سوى أن يفوز فقط، ليس هناك خيارٌ آخر أمامه.. إذا تعبت في مشوارك الطويل مع الحياةِ فتوقّف قليلًا، استرخِ، واسترِح، وخذ قسطًا من الراحة، ولكن إياك أن تستسلم؛ فالاستسلام موتٌ بطيء، فالحياة كفاحٌ وكفاحٌ فإن لم نستطِع إحداث تغييرٍ فيها وترك بصمةٍ إيجابيةٍ فهي لا تعتبر حياة.. اعلم مسبقًا أنّ بعض الأشخاص يعيش حياته لا يجد قوت يومه، ولكنه معَ ذلك لم يستسلم؛ ليس لأنه مجبرٌ على المقاومة والصمود في وجه الحياة؛ بل لأنه لا يريد للحياة أن تهزمه.. أحيانًا هناك أشياء عظيمة تأخذ وقتًا كبيرًا لتحقيقها، اصبر عليها، فالطريق صعب، والأشياء العظيمة تأتي بعد جهودٍ عظيمة.. كُن كطبيبٍ لا يدخل أيّ عمليةٍ إلا وهو راسمٌ في ذهنه أنه سينجح في مهمته، ولو فعل غير ذلك لفقدَ المريض، فليس هناك طبيبٌ يدخل عمليةً وهو يشكّ بأنّه سيفشل فيما سيفعله.. وكذلك يجب أن نكون واثقين من أنفسنا، نعرف ماذا نفعل، ونعي ماذا نقول، والحياة ليست لمن يستسلم؛ بل لمن يقاوم..

تذكّر أنّ الرياح لا تأتي بما نشتهي وبما نريد؛ بل عكس ما نريد.. لا تستسلم، فالحياة لن ترحمك، فالحياة أقسى من أن تتخيل ذلك.. كافح وحاول مرّةً ومرتين وثلاث إلى أن تصل إلى ما تريد.. لا أحد في هذه الحياة لم تصِبه الخيبة ويعتليه الحزن ويرافقه الفشل ويتمسك به الحظ السيئ، ولكن الإنسان القوي والمكافح ليس من هو قويّ البنية؛ بل قوي الفكر والعقل، يدرك كيف يتعامل مع كلّ ما يحيط به، يدرك كيف يحوّل خسائره إلى فوز، وفوزه إلى نجاح؛ لأنه عزم ألّا يستسلم، وأصرّ على المواصلة، فالحياة تحتاج إلى مرونةٍ في التعامل وإلّا لن ترحمك أبدًا، فكلّ موقفٍ من المواقف يحتاج إلى تعاملٍ خاصٍ به، كما هُم البشر.. لا تعتقد أنّ الحياة ستعطيك كلّ ما تريد أو على الأقل لن تتأذى وأنت ماضٍ في دروبها.. الحياة لا ترحم أحدًا.. إيّاكَ أن تستسلم، قاوم كلّ ما تكره حتى تحصل على ما تحب، فلا أحد لا يعاني، ولا أحد لم ييأس ولم يحزن، هي الحياة مشقّة في مشقة، ولكن علينا التعامل معها بطريقتنا الخاصّة حتى نستطيع التماشي معها، وإلا لن ترحمنا أبدًا مهما حزنّا ومهما يئسنا ولو وصلنا إلى حدّ البكاء، فالحياة لن ترحمنا أبدًا.. هي حياة واحدة، ولكنها مليئة بالخيبات والأحزان،

وحينًا بالأفراح والنجاحات.. علينا أن نسعد أنفسنا، لا أحد لم يفشل، ولا أحد لم يُهزَم، ولا أحد لم ييأس، والجميع يتأذى، ولكن معَ هذا كلّه ليس الجميع يستسلم، هُناك من يقاوم، هُناك من يحاول، هُناك من يغيّر واقعه إلى واقعٍ أفضل، هُناك من يحوّل فشله إلى نجاحاتٍ مُبهرةٍ، وهناك من يحوّل أحزانه إلى أفراحٍ ويأسه إلى تفاؤل.. الحياة لن تنصفك، إن كُنتَ تمشي في الاتجاه الصحيح سيأتي شخصٌ آخر يريد أن تكون معه في الاتجاه الخاطئ، وإن كنتَ حسن الخلق سيأتي سيء الخلق ليشتم فيك؛ لأنه تربّى على ذلك..

الحياة لن ترحمك، فهي يومٌ لك وأسبوع عليك.. عليك إنصاف نفسك بالمقاومة، بالمحاولة، بعدم الاستسلام.. الحياة ليست جميلةً كما نتصوّر، ولكننا نستطيع جعلها جميلةً بالتفاؤل، بالعمل، بالمحاولات، بالطموحات والأهداف التي نضعها ونرسمها.. لا تستسلم للحياة لتضع بصمتها عليك؛ بل كُن أنت المبادر في المقام الأول، وانفض عنك غبار الهزيمة والاستسلام، وَضَع بصمتك في الحياةِ، لتظلّ ذكرى لك لتتذكرها يومًا من الأيام وتقول في نفسك "لقد فعلتُ شيئًا يستحقّ أن أشكرَ نفسي عليه".. لا تستسلم لظروفك، وتذكّر أنّ هناك أشخاص على هذه الأرض يعيشون أسوأ مما تعيشه أنتَ، لا تتحجج بالظروف وإن كانت أحيانًا تجعلنا نستسلم لها، ولكن كُن أقوى منها، وأخبرها أنّك لن تستسلم لها مهما كانت قاسيةً، وأنك لم تُخلق لتستسلم؛ بل لتقاوم وتعمل.. لا تكُن كذلك الشخص الذي حفر حفرةً كبيرةً لأنه اعتقد أنّ داخلها كنز وآمن بفكرته وبما يعتقده وبدأ العمل يومًا بعد آخر أسابيع طويلة، وحين اقترب مِن الكنز استسلم رغم أنّ الكنز كان قريبًا جدًا لم يفصله عنه سوى يومٌ واحدٌ من العمل، ولكنه قرّر الاستسلام فضاع جهده هباءً منثورًا.. إن آمنت بشيءٍ لا تتوقّف إلا بعد تحقيقه، ولا تستسلم للصعوبات التي تواجهها مهما كانت، وتذكّر أنه لو لا الصعوبات لما كان للحياة معنى، ولما كان لها مذاق، فالصعوبات والتحديات هي ما تجعل الحياةَ في تحدٍّ مُستمرّ، وتذكّر أنّ الأشياء إن أتت لكَ بدون بذل مجهودٍ مِن أجل الحصول عليها فلن يكون مذاقها كما تلك الأشياء التي حصلت بعد عناءٍ وتعبٍ كبير.. تأكد أنّ المحاولات الكثيرة والمستمرة التي تقوم بها ستحصل على نتائجها، ولن يذهب جهدك سُدىً.. إذا أردتَ أن تعمل شيئًا احزم أمرك، وقوِّ عزيمتك، واشحذ هممك، وارفع راية العمل والجدّ، وأنزِل راية الاستسلام واليأس، ولا تقِف حتى تكمل.. لا تخبر نفسك أنّ هناك صعوبة في شيءٍ ما؛ بل أخبرها أنّ هناك حلولًا لذلك وسأجتاز تلك المرحلة، وتذكّر أنّ البعض لا ينتظرك في القمّة؛ بل ما يزال ينتظر في القاعِ ظنًا منه بأنّك ستعود؛ لأنك وفي اعتقاده لن تستطيع المواصلة.. لا تستسلم!

ليس من أجل الذين ينتظرونك في القمّة، بل من أجل مَن ينتظرك في القاع.. خيِّب أملهم وأخبرهم عند الوصول بأنك لم تستسلم.. لا تعتقد أنّ هناك يومٌ سيأتي عليك سيكون سهلًا، كلاهما مثل بعض، فنحن من نجعلهما كذلك في مخيّلتنا فقط، وإن أردنا ذلك سنجعل أيّامنا كلّها جميلةً بتفاؤلنا الكبير بأنّ ما سيأتي أفضل من الذي ذهب..

تذكر أنّ ما ظننته صعبًا يومًا ما أصبح سهلًا في يومٍ آخر عندما تواجه أمرًا أصعب منه، وهكذا هي الحياة، لن تعطينا الأسهل؛ بل الأصعب.. ثق بنفسك، فالثقة بالنفس لا تجعلنا نستسلم بسهولةٍ؛ لأنّ لدينا ثقة بأننا سنتجاوز ما نمرّ به.. تأكد عندما يخبرك أحدهم بأنك لن تستطيع فعل شيءٍ ما أنه لا يريد أن يقول لك بأنه فشلَ فيه؛ بل يحاول أن تكون فاشلًا مثله.. لا تصدّقه، فما فشل فيه قد تنجح أنتَ فيه.. إياك أن تفقد الأمل في شيءٍ، ففقدان الأملِ يعني الاستسلام.. جرّب حتى وإن فشلتَ في تحقيق ما تصبو إليه، يكفي أنّك حاولت وتحلّيت بالشجاعة، وتأكد أنّه لا أحد يتعلّم بدون أن يجرّب، فالتجارب هي التي تعلّمنا.. آمِن بنفسك، بقدراتك، بما تستطيع فعله، ولا تجعل أيّ شخصٍ يثبّط عزائمك.. لا تستمع للآخرين، كُن مركزًا على هدفك، على ما تريد تحقيقه، فلو التفتنا لكلّ كلامٍ يُقال لنا لضللنا الطريق إلى الأبد؛ فالكلام أسهل ما يستطيع الآخرون فعله؛ لأنه لا يكلّف شيئًا.. ولو احتجت للمساعدةِ فتأكد أنه لا أحد سيساعدك سواك أنتَ، فثق بما لديك تحصل على ما تريد، وتأكد أن أولئك المحبطين لم يحبطوا عزائمك بقدر ما ساعدوك في الوصول، ولو استمعت لهم لما غامرت حتى في الدخولِ إلى المنافسة.. احتفل وغنِّ وارقص عندما تصل إلى قمّة النجاح، ولكن لا تمكث كثيرًا، فهدفك الثاني منتظرك لتحقيقه.. إياك ان تعتقد أنّ كلّ ما تريده يتحقّق مرّةً واحدة؛ هي خطوات عليك المرور عليها حتى تحصل على ما تريد..

****

بادر
بالقول والفعل

بادِر في فعل المعروف، لا تنتظر لأحدٍ أن يقول لكَ افعل، بل كُن أنتَ الشخص الذي يبادر.. كُن أنت الشخص الذي يقرّر ماذا يجب عليه أن يفعل.. لا تُقل ما أنا إلّا فردٌ واحدٌ، فقطرات المطر تحفر الصخر؛ ليس بالكثرة، ولكن بالتكرار.. افعل ما تراه مناسبًا، ولكن تأكّد قبل أن تبدأ أن يكون في الاتجاه الصحيح.. ما أسهل أن نتكلم! ولكن ما أصعب أن نعمل! لا تجعل هذه القاعدة في حياتك؛ بل حوّلها لتكون في صالحك.. لا تكُن متحدثًا ينفر الآخرون منه، ولكن اجعل أعمالك هي التي تجعل الآخرين يقتربون منكَ ويتحدثون عنك بدلًا مِن أن تتحدث عنها، فلو ظللنا نردّد "ما أنا إلّا واحد" لما تغيّر شيءٌ في أحوالنا، ولاستمرينا كما نحن، ولتكن البداية في الاتجاه الصحيح، فدائمًا ما تكون البداية صعبةً، ولكن اجعلها سهلةً بإصرارك على تحقيق ما تريده، بإصرارك على إحداث تغييرٍ ملموسٍ.. ابدأ بشيءٍ بسيطٍ وستصل إلى نهاية الأسبوعِ وقد عملت شيئًا عظيمًا، فقليلٌ دائمٌ خيرٌ مِن كثيرٍ مُنقطع.. اعمل ولو القليل، وسترى عند وصولك إلى النهاية ذلك الشيء العظيم الذي بنيته طيلة سنوات.. لا تقل إنّ ما تفعله لا ينفع ولا يفيد ومهما عملتَ لن يؤثر ولن يكون له أيّ تأثير، فهذه وساوس تحاول أن ثنيك عن القيام بأيّ شيء.. انتبه أن تكونَ أفعالك من أجل إثبات شيءٍ ما.. لا تقم بعملٍ أو فعلٍ لا تقتنع به.. كُن محافظًا على مبادئك.. لا عيب أن تفشل، ولكن مِن الجيّد أن

تكون مبادرًا للبدء من جديد بأساليب وطرق مختلفة، كُن من القلّة الذين يبادرون، ولا تكُن مع الكثرة الذين ينتظرون للآخرين أن يعملوا شيئًا لهم ليوجهوهم..

قراراتك ناتجةٌ عنك.. لا تنتظر أحدًا أن يقول لك "افعل ذلك" أو "لا تفعل ذاك".. قرِّر أنتَ ما تودّ عمله وما لا تودّ عمله.. تحمّل قراراتك التي تتخذها، وتأكد أنّك الوحيد المسؤول عنها.. احذر أن تكون قراراتك ناتجة عن مزاجيةٍ أو عن حالةٍ انفعالية.. كُن مبادرًا إلى الخير وناهيًا عن فعل الشرّ.. افعل الخير وإن لم تلقَ أجرة، فالبشر مهما فعلتَ لهُم ومهما ضحّيتَ مِن أجلهم لن تلقى منهم شُكرًا.. ابنِ حياتك وقراراتك على ما تريده أنتَ، وليس على ما يريده الآخرون؛ حتى لا تندم فيما بعد في قرارٍ اتخذته ظنًا منكَ أنك واحدٌ فقط، وقد لا يؤثر عليك، بينما مع مرور الوقت أثّر فيكَ وأصبح يؤرقك ويقلقك.. كُن مبادرًا في تغيير نفسك وترك السلوك السيئ الذي تراه.. لا تنتظر أحدًا أن يأتي ليقول لك أن سلوكك سيءٌ وعليك تغييره.. كُن أنت البادئ.. كُن مبادرًا وساعيًا إلى التغيير، إلى عملِ الأفضل.. ساعد من يحتاج مساعدةً.. لا تظلّ في مكانك، اسعَ إلى الأفضل، إلى التميز، إلى إظهار ما أنت قادرٌ على فعله.. افعل الأشياء التي تحبّها، واترك تلك الأشياء التي لا تفيد؛ بل قد تكون عبئًا عليك.. اقرأ وطالع، تعلَّم وعَلِّم، أفِد الآخرين، وحاول أن تستفيدَ منهم، فالحياة أخذٌ وعطاء، وليس هُناك من يأخذ فقط.. لا تقول شيئًا غير مقتنعٍ به، أو كلامًا لا تطبّقه، فما تقوله يعبّر عنك.. لا تنتظر للظروف للتحسُّن، اصنع من الظرفِ السيئِ واقعًا جميلًا، ولا تكُن ممّن يُلقي باللوم على الآخرين بينما لم يقم بشيءٍ.. لا تفعل عملًا وأنت مجبرٌ عليهِ لأنك لن تبدع فيه، فالأعمال التي نقوم بها إن لم تكن نابعةً من أنفسنا لن تحقّق أيّ شيء..

لقد خلق الله الإنسان، وجعل له الأرض تحت تصرّفهِ ليعيش عليها، وميّزه عن باقي المخلوقاتِ بالعقل والتفكير، وأوجد جميع المخلوقات لخدمته، وجعلها تحت تصرّفه، وجعله صاحب اليد العُليا في الأرض، فلمَ لا نكون مبادرين وقد تهيأت كلّ السبل التي نحتاجها؟! الأمر فقط يحتاج إلى إرادةٍ وعدم ترددٍ في اتخاذ القرارات.. لا تكن كما الآخرون؛ تفعل ما يفعلون، وتقول ما يقولون.. كُن مبادرًا إلى التغيير الذاتي في نفسك.. بادر إلى معرفة الأخطاء التي قُمتَ بها لتقوم بتصحيحها الآن؛ لا لتؤجلها إلى وقتٍ آخر، فغيرك سيفعل ويتقدّم عليكَ خطوةً.. كُن أنتَ المبادر في التغيير الإيجابي، ولا تنظر إلى الآخرين وتقول "إنهم لا يملكون ما أملك"، فأنت لا تعلم ماذا يعملون، فربما يملكون أفضل منكَ وأنت ما زلتَ تقارن

نفسك بهم.. إياك أن تقارن نفسك بأيّ شخصٍ، وما الفرق بينك وبينه، فإن كان أفضل منكَ فخُذ إيجابياتٍ وتعلّم مِنه وطوّر نفسك، وحتمًا ستصل إلى ما وصل إليه، وربما تتجاوزه؛ فقط كُن صاحب إرادةٍ وعزيمةٍ وحبٍ للتغيير، كُن قويّ المبادرة، ولا تتسرع بالحكم على نفسك بالفشل، وتأكّد أن النجاح لا يأتي مرّةً واحدةً؛ وإنما على خطوات..

كُن مبادرًا لخلق الروح الإيجابية على مَن حولك.. ابتسم وتفاعل، ناقِش وتحدّث، استمع وأنصِت، فمن بدأ بالتغيير كان مبادرًا ولم ينتظر إلى الآخرين ليبدؤوا بالعمل؛ بل كان هو المبادر وصاحب المبادرة والعزيمة، واتّخذ القرار في الوقت المناسب، وكان شجاعًا، ولم ينظر إلى الخلف رغم أنّ هناك الكثيرون يصطفون خلفه منتظرين الآخرين أن يقوموا بما يريدون بينما هُم لا تتملّكهم الإرادة لفعل ذلك.. العالم الذي نشاهده اليوم لم يُبنَ في عشيّةٍ وضحاها، ولم يبنِه الكسالى والمحبطون؛ بل بناه أشخاصٌ مبادرون مؤمنون بما يفعلون أصحاب عزيمةٍ كبيرةٍ وإصرارٍ وتحدٍّ، وأصحاب قراراتٍ تتخذ في الوقت المناسب، لم يترددوا لحظةً لأنهم يعرفون ماذا يعملون.. أشخاص لم يتأثروا بإحباط الآخرين لهم؛ لأنهم يعرفون أنهم في الاتجاه الصحيح.. لا تكن شخصًا لا يُستفاد مِنهُ، كُن شخصًا نافعًا لنفسك ثمّ إلى الآخرين.. لا تنصح الآخرين بأخذ المبادرة بينما أنت مُتكاسِل.. لا تُقل شيئًا لا تفعله ولا تفعل شيئًا لا تحبّه.. لا تهرب عند الوقوع في الأخطاء؛ بل كُن مبادرًا واعترف بها، فهي من صنعتك، ولكن إياك أن تكرّرها، وتذكّر إن لم نخطئ فلن نتعلّم، وتأكّد أنّ تجاربنا مبنية على أخطائنا في الحياة، وتأكد أيضًا أنّه فيما بعد ستكون هذه الأخطاء إحدى الأسباب التي قادتك إلى النجاح؛ لأنك تعلّمت منها ولم تتركها تذهب هباءً منثورًا، وإياك أن تكرر الخطأ بخطأ آخر، ولكن عليك بمعالجة الخطأ السابق؛ ليس بنفس الآلية والأسلوب السابق، وإنما بأسلوبٍ آخر ونظرةٍ أخرى وقرارٍ آخر.. لا أحد لم يخطئ، فنحن بشر نُخطئ أحيانًا ونصيب أخرى، ولكن الإنسان هو من يعترف بأخطائه ويتحمّلها، ولا يحمّلها الآخرين.. كُن شجاعًا للاعتراف بخطئك، وكُن قويًا وصاحب إرادةٍ قويّة في معالجته وتصحيحه.. اعتمد على نفسك في كلّ أمورك الحياتية، ولكن هذا لا يعني ألّا تطلب مساعدةً مِن الآخرين عندما تحتاجُ لهم.. تعلّم أشياء وجرّب أشياء أخرى حتى تتقنها، ومِن ثمّ كُن مبادرًا لنقلها إلى الآخرين ليتعلموها.. لا تقيّد نفسك بآراء الآخرين وانطباعهم عنك، وإن سيطر على نفسك هذا الشعور فلن تبدع ولن تستطيع عمل أيّ شيءٍ؛ لأنك لن

تبدأ في العمل حتى تفكّر فيما سيقوله الآخرون عنك.. لا تنتظر للآخرين أن يبدوا رأيهم عنك، وتأكّد أنّ ما سيقولونه لكَ ليس في صالحك.. أعمل الأشياء التي ترى أنها صحيحة؛ بغضّ النظر عن آراء الآخرين عنك، وقبل هذا تأكّد أنها في المكان المناسب وأنك تعمل الشيء الصحيح..

****

الحياة
كيف نعيشها؟

لنستمتع بالحياة، نعمل ما يحلو لنا.. لا أقول أنّ الحياة وردية وجميلة، لا؛ فالحياة مليئة بالتعقيد والفوضى، ولكن يجب علينا أن نكون أكثر مرونةً معها حتى نستطيع التعايش معها، نعيش تفاصيلها الدقيقة التي قد نجد فيها دقائق سعادة، فالصباح يخبرنا عن بداية يومٍ جديدٍ، حياةٍ جديدةٍ، تحدٍّ جديدٍ، مغامرةٍ جديدةٍ، شغفٍ جديدٍ، وفرصةٍ جديدةٍ.. استمتع بشروق الشمس وضحكة الأطفال.. لا تدع الحياة تلهيك عن الأشياء التي تحبّها، الأشياء التي تجعلك تحرّك شفتيك محاولًا الابتسام.. وفي المساء اذهب إلى حيث يجلس كبّار السن، استمع لهم، ناقشهم، حاورهم، ادخل إلى تفاصيل حياتهم، انظر إلى تجاعيد وجوههم وما عملت بهم الحياة، ولكنهم لم يستسلموا لها؛ بل كافحوا حتى الوصول، وفي تلك اللحظة استمتع بغروب الشمس وتأمّلها؛ ستعرف حينها أنّ كلّ ما تمرّ به سيذهب..

الحياة ليست دائمًا كما نراها، فهناك بشرٌ يسكنون في هذا الكوكب، وليس نحن فقط، فالفقير يرى الحياة من وجهة نظره، والغنيّ يراها من وجهة نظره، والمظلوم من وجهة نظره، وكلٌّ له وجهة نظرٍ ينظر من خلالها، فلا تحكم على الأشياء من وجهةِ نظرٍ واحدة.. تجرّأ على الحياة، افعل الأشياء التي تحبّها، لا تتقيد بشيءٍ وإلا فلن تفعل أيّ شيء.. تأكّد أنّ الحياة لن تكون على وفاقٍ معك، ولكن بعزيمتك وإصرارك ستتغلب عليها.. لا تحمل همومك وأعبائك أينما ذهبت، اجعل لكَ دقائق للراحة.. لا تعِش حياتك بدون هدفٍ، ضع الأهداف

واسعَ لها، حقّق الأوّل، وانتقل إلى الثاني، وخطِّط للثالث.. ضَع بصمتك في هذه الحياة، كُن مؤثرًا فيها، كُن إيجابيًا في التعامل مَع مَن حولَك، عاملهم بلطفٍ ومحبّة، أشعِرهم بحبّك لهم ووقوفك إلى جانبهم، فلا شيء يشعرنا بقيمة ما نعيشه سوى مساعدة الآخرين وتلمّس احتياجاتهم.. سامح مَن استطعت، ولا تترك في قلبك حقدًا لأحدهم.. كُن متفائلًا، فمهما كانت الصعاب التي تواجهها ستنهار أمام إصرارك الكبير وتفاؤلك الدائم.. لا تحمّل نفسك فوق طاقتها، فالمشاكل لن تنتهي مِن حياتنا مهما فعلنا، ولكن علينا التعامل معها برويّة.. لا تعتقد أنّ الجميع سيحبّك لما تفعله، فمهما فعلت لن يحبّك الجميع.. استمع للآخرين كما تحبّ أن يستمعوا لك.. كُن مستمعًا أكثر مِن متحدّث، فالناس تحبّ من يستمع إليها.. دعهم يعبّروا عن مشاعرهم وأفكارهم وأحلامهم، وما أجمل أن تجد صديقًا يتحدّث معك عن كلّ هذا! لا تقاطعه، ولا تحاول إيقافه، دعه يخرج كلّ ما لديه، فربّما أنتَ الوحيد الذي استطاع أن يبوح له بكلّ هذا، اعطه الفرصة.. لا تجعل حياتك تمرّ بمرور السنوات بدون أن يكون لك بصمة، وتأكّد أن تكون بصمة إيجابية ليذكرك بها الآخرون عند رحيلك، ليقولوا عنك "لقد كان شخصًا طيبًا.. لقد فعل أشياء جميلة".. لا تكن كشخصٍ ما إن يرحل مِن عند الآخرين حتى يبدؤون بشتمه.. اترك في الآخرين أثرًا طيبًا ليذكرك عند غيابك ومماتك.. لا تحاول أن تعيش حياةَ الآخرين، فكلّ شخصٍ له حياة خاصة به، فما يعيشه الآخرون ربّما لا يتناسب معك أنت.. اصنع حياتكَ أنت، وكُن مقتنعًا بها راضيًا عنها.. مهما عصفت بك الحياة ومهما صادفت من أمورٍ سيئةٍ وصعابٍ شديدةٍ حاول إظهار الجانب الحسن منك.. قد لا تعلم ما يواجهه الآخرون؛ ربّما ما يعيشونه هو أسوأ مما تعيشه أنتَ، فلا تزِد حياتهم بؤسًا وحزنًا.. تأكّد ألّا أحد على هذه الأرض يعيش الحياة التي يريدها، ولكنّ القناعة والرضا تجعلنا نعيش حياتنا بدون قلقٍ أو توتر.. لا تحاول الوقوف عند ماضيك؛ بل تجاوزه ولا تعُد إليه إلا في حالةٍ واحدةٍ لأخذ التجارب منه.. عِش حاضرك، واعمل لمستقبلك، وانظر إلى ما بين يديك؛ لا ما بين يدي الغير.. صحيحٌ أنه لا أحد يستطيع تجاوز ماضيه؛ خصوصًا إذا كان سيئًا.. وإن عُدتَ يومًا إياك أن تقف كثيرًا عنده، بل خُذ التجارب لتستفيد منها، وليس لتعمّق جراحكَ فلا أنتَ عشتَ ماضيك كما تريد، ولا عشتَ حاضرك كما تحبّ، ولن تعيش المستقبل كما تتمنى.. يجب أن يكون لديك قدرة التجاوز، تجاوز الأحداث السيئة والأصدقاء السيئين والمواقف السيئة.. كُن قويًا لتتخلّى عن كلّ ما يزعجك.. لا تُكن قويًا على الدوام، كُن ضعيفًا في أوقاتٍ وقويًا في أوقاتٍ أخرى، فنحن بشرٌ لدينا مشاعر..

لا تهرب من مشاكلك، وكُن متأكدًا بأنك ستجد طريقةً ما لحلّها.. انتبه أن تجمعها لتتثقل كاهلك.. كلّ مشكلةٍ تصادفها حاول حلّها ولا تؤجلها إلى الغد، فمشاكل الحياة كثيرة، ولن تنتظرك المشكلة التالية حتى تحلّ الأولى.. لا تكبر في السنين فقط؛ بل بالإنجازات والنجاحات التي حققتها ووصلت إليها.. اصنع ذكرياتٍ جميلةً، وتناسى الذكريات السيئة التي مررت بها، وسيأتي الوقت الذي تتذكر فيه ذكرياتك الجميلة التي صنعتها فتضحك كثيرًا.. جاهد في الحياة، فالحياة بحدّ ذاتها جهاد.. الذهاب إلى عملك كلّ صباحٍ جهاد، وذهابك إلى المدرسة جهاد، وذهابك إلى المصنع جهاد، وذهابك إلى المستشفى جهاد، وبحثك عن لقمة العيش جهاد.. أتقن ما تعمل حتى تحصل على ما تريد، وليس هذا فحسب؛ بل وتكسب الأجر من الله سبحانه وتعالى، فإن لم يكرمك البشر فالله سبحانه وتعالى يعرف ويعلم ماذا تفعل.. لا تقلّد الآخرين، واعلم أنّ حياتهم تختلف عن حياتك.. ابنِ حياتك على ما تريد أنتَ؛ لا على ما ترى الآخرين.. كُن مستقلًا بحياتك، بقراراتك التي تتخذها، بكلّ خطوةٍ تخطوها، بكلِّ تفكيرٍ تفكر به.. الحياة ستستمر سواء أحزنت أم لم تحزن.. لا أقول أنّ على الإنسان ألّا يحزن، فهناك أوقات تأتي على الإنسان يحزن كثيرًا بل ويصل به إلى البكاء، وليس هناك من يعيش على هذه الأرض ولم يحزن، ولكن يجب ألّا يتوقف في هذه النقطة، فالحياة لن ترحمه أبدًا، وعليه تجاوز هذه المحنة بأقلّ الخسائر.. لا تصدّق أنّ هناك إنسان يظلّ قويا على الدوام، نحنُ بشرٌ، ولسنا آلات حديدية تؤدي ما عليها فقط ولا تمتلك مشاعر ولا عواطف، فهذه الميزة أوجدها الله في الإنسان فقط.. الحياة بلا أهدافٍ ليست حياةً، وما فائدة أن تكبر بالسنواتِ بينما لم تحقق شيئًا تفخر به في حياتك.. ثق بقدراتك في تجاوز الصعوبات التي قد تقف في طريقك.. ثِق بنفسك في إحداث تغييرٍ في حياتك.. الحياة مغامرةٌ علينا خوضها.. لا تخف! جرّب أشياء جديده، فالتجارب تعلّمنا الكثير من الأشياء التي وإن قرأناها لن نتعلّم منها بقدر ما نتعلم منها عندما نكون جزءًا منها.. عليك أن تعلم أنّ الأغلب لا يريدون لكَ الخير، ولكن لا تقف على ذلك؛ بل كُن مركزًا على هدفك، اجعلهم ينظرون إليكَ عندما تنجح وتصل إلى القمة، وستعرفهم حينها من وجوههم، حسراتهم ظاهرة للعيان، فلقد خيّبت أملهم في أن تسقط وتتوقف، ولكنكَ كُنتَ أقوى منهم أقوى من الصعوباتِ، وهنا أثبت أنّه لا شيء سيقف في طريقك، فأولئك القوم الذين أرادوك أن تفشل أعطوك دافعًا لكي تنجح، وما أجمل النجاح عندما يكون هناك أشخاصٌ ينتظرون أن تفشل! لقد ظنوا أنك تهتمّ كثيرًا لكلامهم، ومعَ ذلك لم يعلموا أنّك لم تكن مركّزًا معهم؛ بل كُنتَ مُركزًا على هدفك ولم يعرفوا أنّ الكلام لم

يعُد يؤثّر فيكَ بقدر ما يكون دافعًا قويًا للمواصلةِ؛ وليس للتوقف.. وهل تعتقد أنّ الآخرين سيفرحون عندما تنجح؟! لا تعتقد ذلك؛ بل سيحزنون كثيرًا.. فاجئهم بنجاحك الكبير، خيِّب أملهم في أن يروك وصلت إلى ما تريد، بل إن عرفتهم يومًا فاذهب إليهم وأخبرهم؛ بل وقُل لهم "شكرًا لكم، فقد كنتم سببًا في نجاحي؛ ليس بتشجيعي، ولكن بإحباطكم المستمرّ، وثنيي عن المواصلة في التقدّم، وهأنا في هذه اللحظة التي أحتفل بالفوز أشكركم أيضًا"..

****

التغيير
يبدأ من النفس أولًا

التغيير ليسَ أن يموت أحدنا ليبقى الآخر؛ كما حدث ويحدث في بعض البلدان العربية، بل التغيير أن نعيشَ معًا.. التغيير يجب أن يكون مبنيًّا على أُسسٍ ومبادئ صحيحة، لا ينحرف مساره، ولا تتغير مبادئه.. من الغباء أن تفكر بالتغيير لأيامٍ فقط؛ التغيير يكون للمستقبل البعيد، والحاضر المعاش، فإن لم تكُن خططك لذلك فلا خير فيما تفعل.. التغيير يجب أن يكون نافعًا للمجتمع، وليس هدّامًا له ليهدم له ما تبقّى من حياته.. التغيير يجب أن يكون محسوسًا لدى الجميع، وملموسًا أيضًا، وإن لم يكن ذلك فلا فائدة منه.. وليس هناك أجمل من أن نتغيّر، ولكن ليس للأسوأ؛ بل إلى الأفضل والأحسن، فالموظف يحاول أن يعمل بجهدٍ ويكدّ ويعمل المستحيلات من أجل أن يغيّر من موقعه ويترقى إلى منصبٍ جديدٍ، من المستحيلِ أن يكون ضمن تفكيره أن يعود إلى ما كان عليه قبل خمس أو ست سنوات، فالتغيير هو الانتقال من مرحلةٍ أسوأ إلى مرحلةٍ أفضل وأحسن.. وقبل أن تبدأ بتغيير مَن حولك؛ حاول تغيير نفسك، حاول تغيير الأشياء السلبية الموجودة فيك، فإن استطعت التغيير في نفسك فبعدها تستطيع أن تنقل التجربة إلى الآخرين.. أمّا أن تحاول أن تغيّر في الآخرين وأنت غير مقتنعٍ بما تفعل؛ فهذا يعتبر إجبارًا وليس تغييرًا، فالتغيير ينمّ عن إرادةٍ وليس عن إجبار، التغيير يكون بالعقل بالمنطق والحجج وليس بالقوة، بالحجة والبراهين، وليس بالتخويف والترهيب..

التغيير سنة الحياة، ولا أعتقد أنّ هناك شخصًا يعيش على هذه الأرض لم يتغيّر.. التغيير ينقسم إلى قسمين؛ قسمٌ يكون تغييرًا ذاتيًّا على الشخص نفسه، وقسمٌ يكون تغييرًا مجتمعيًا.. التغيير من أهمّ الأشياء التي تحدث في حياتنا، فلولا التغيير لبقينا كما نحن.. ليس شرطًا أن تكبر وتقول أن هذا تغيير، ولكن أن تغيّر أنت في نفسك، تغيّر أشياء في مجتمعك تراها عاداتٍ سلبيّةً، فكلّ الناس يكبرون في السنّ، ولكن ليس كلّ الناس يتغيرون.. الأمر يختلف، يجب أن لا تكبر في السنين فقط؛ بل وتغيّر وتتغيّر.. حاول تغيير نفسك وإكسابها أشياء إيجابية، ومن ثم انقل الأشياء الإيجابية التي تعلّمتها إلى مجتمعك.. لا تحاول تغيير أشياء لا تؤمن بها؛ بل يجب أن تكون مقتنعًا بها وتراها أنت ضروريةً ويجب إحداث تغييرٍ فيها.. الأمر ليس كما تتصور، فالتغيير ليس مستحيلًا، ولكنه صعب.. ستلقى مقاومةً ورفضًا لما تقوم به، وهذا الرفض ليس مع النفسِ فقط؛ بل ومن خلال محيطك الخارجي، فالأمر لن يكون سهلًا، ولكن بالإصرار ستصل إلى ما تريد.. انتبه أن تتغير للأسوأ مما أنت عليه، فالتغيير ليس بهذه الصورة؛ بل تغيَّر للأحسن والأفضل.. نعم؛ كلاهما تغييرٌ، ولكنه تغييرٌ سلبيٌّ جدًا أن تعود إلى الخلف.. وليكُن تغييرك إلى الأمامِ ليكونَ نافعًا لكَ ولمن حولك.. لا تفكّر بتغيير مَن حولك؛ بل ابدأ بالتغيير بنفسك، انظر إليها، ابحث عن الأشياء السلبية فيها، وحاول تغييرها إلى أشياء إيجابية، فالتغيير يكون من الشخص نفسه قبل أن ينقله إلى الآخرين.. لا تفكر بالآخرين قبل أن تفكّر بنفسك، فلو فكّر كلّ شخصٍ بنفسه لتغيّر المجتمع بأكمله، ولكن المشكلة تكمن في أنّ الجميع يبحثون ويسعون لتغيير الآخرين ويتركون أنفسهم، وهُنا تكمن المشكلة الكبرى.. لا عيب في أن تغيّر من حولك، ولكن ابدأ بنفسك قبل كلّ شيء.. يجب أن تكون مقتنعًا ومؤمنًا بكلّ ما تسعى لتغييره؛ وإلا فلا أحد سيستمع لك.. لا مشكلة في أن تبدأ من الصفر، ولكن يجب أن لا تتوقف أبدًا .. لا تكن كمن يريد تغيير العالم بينما لا يعرف أنه أولًا يجب أن يتغير قبل أن يفكّر بتغيير العالم.. التغيير الأول يكون مِن الفرد في عاداته وسلوكه وحياته.. لا تكُن كما الكثيرون الذين لا يرون أنفسهم وأخطاءهم؛ بل اعترف بأخطائك وحاول إصلاحها، وتغيّر إلى الأحسن، وهُنا تكمن البداية الحقيقية في التغيير؛ عندما يعترف كلّ شخصٍ بخطئه ويدرك أنّ عليه أن يعالجه، ويغيّر صفاته السيئة، ويكسب الصفات الإيجابية.. لن تكون قادرًا على التغيير إذا لم تعترف بالأخطاء الموجودة في نفسك، وتبدأ بها، وتكون المرحلة الثانية بتغيير من حولك.. تذكّر قبل أن تبدأ في إحداث تغييرٍ ما أن تنظر إلى ما سيستفيده المعنيون بالتغيير؟! كيفَ سيغر من سلوكياتهم؟! كيف سيتقبّلونه؟ ما هي النتائج المتوقعة لذلك؟! وانتبه أن

يكون التغيير سلبيًا بدل أن يكون إيجابيًا، فلا فائدة من تغييرٍ لا يكون نافعًا للجميع، اجعل الآخرين جزءًا منه مستفيدين منه..

يجب أن يكون لديك دافعٌ ورغبةٌ كبيرةٌ للتغيير حتى تصل إلى ما تريد.. إذا أردتَ تحقيق ما تريد؛ فواصل ما بدأتَ به، ستبذل جهدًا كبيرًا، ولكن تذكّر أن يكون جهدك الذي ستبذله يساوي ما تسعى إليه حتى لا يذهب جهدك سدىً.. فمثلًا؛ ليس سهلًا أن تترك التدخين بعد أن كنتَ مُدمنًا عليه، ولكن بإصرارك ورغبتك وعزيمتك ستقلع عنه، ولا عيب أن يكون التغيير بطيئًا، ولكن العيب أن لا تبدأ، فيومٌ من الأيام ستقلع عنه.. وتذكّر أن التغيير لا يأتي مرّةً واحدةً، بل هي خطواتٌ عليك المرور بها.. لا تسأم بعد مرورِ أسبوعٍ بأنك لم تتغير، اصبر قليلًا، قاوم رغبتك بالعودة إلى التدخين برغبتك في الإقلاع عنه، لا تتراجع عندما تكون في منتصف الطريق؛ فقط تحمّل واصبر، فما هو قادمٌ لن يكون أصعب مما مضى، فالصعوبة دائمًا تكمن في البدايات.. ربما أنت على بعدِ خطواتٍ للوصول.. تذكّر أنّ رغبتك في التغيير هي التي تدفعك للاستمرار، وتذكّر أيضًا الدافع الأكبر الذي جعلك تقوم بهذا التغيير، وهو الحفاظ على صحتك..

لن تستطيع التغيير وأنت تسلك نفس المسار الذي سلكته المرّة السابقة.. البشر يتغيّرون في كلّ لحظةٍ، في كلّ موقفٍ.. قد تتأثر بمشاهد تشاهدها في أحد الأفلام ورأيت بأنها شيءٌ إيجابيٌّ فحاولت تطبيقه في حياتك.. قد تقابل شخصًا متفائلًا بينما أنت عبوسٌ دائمًا، فحاولت أن تكون مثله، وربّما تريد أن تكون أحسن منه، أن تكون متفائلًا تحبّ الحياة وتبتسم للجميع، وتصافح من تلقاه، وتسلّم على من يلقاك.. قد تقرأ كتابًا فيغير حياتك كليًّا ويغيّر المفاهيم التي كُنت تعرفها من قبل.. فالتغيير في الحياة لا يتوقّف.. كُن مرنًا مع التغيير، ولا تظلّ متمسكًا بأشياء كنتَ ترى أنها ليست قابلةً للنقاشِ واتّضح لكَ فيما بعد بأنها كانت خاطئةً فحاولت التمسّك برأيكَ؛ ليس لشيءٍ وإنما عنوةً في اعتقادك بأنكَ لم تخطئ.. اعترف بأنكَ كُنتَ مخطئًا، ولا تتمسك برأيك، وتذكر أن الله يقول ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد – ١١]، فمن النفس تكون البداية..

****

السعادة
هل الجميع سعداء ؟!

لو سألت شخصًا "ما هي السعادة؟" ربما لن يأخذ وقتًا طويلًا ليفكّر ويعطيك النتيجة، فكلّ شخصٍ على هذه الأرض له مفهومٌ عن السعادة، وكلّ واحدٍ منهم يعرّفها حسب ما يراها هو، فبعضهم قد يقول إنّ السعادة مساعدة الآخرين والشعور بهم وتقاسم همومهم والاستماع لهم، وبعضهم قد يقول إنّ السعادة لم تكن دائمًا بما نملك؛ بل بما نعطي؛ العطاء الذي لا يرافقه منٌّ، وآخر يقول إنّ السعادة تكمن في وجود المال، وآخر يقوا إنّ السعادة تكمن في صحّة الإنسان وعافيته..

السعادة تكمن في داخلك وفي عقلك، ولا تأتي من الخارج.. لا أحد يستطيع أن يجعلك سعيدًا بقدركَ أنت، ولا أحد يريدك أن تكون مرتاح البال بقدر ما تريد أنت.. وهذه هي السعادة النفسية.. هناك أشياء كثيرة تجعلنا سُعداء؛ منها العمل.. البعض سيقول "كيف يجعلنا العمل سعداء؟!" سأقول لكَ: عندما تحبّ عملكَ وتعمل بشغفٍ ستسعد، ولن تشعر بالمللِ ولا بالضجر ولا بالفراغ.. عندما لا نكون مشغولين بأيّ شيءٍ تأتينا أفكارٌ سوداوية تجعل حياتنا جحيمًا، بينما العمل يجعلنا لا نفكّر خارج ما نعمله، يجعل كلّ تفكيرنا يقتصر على العمل، ولا يسمح لأي أفكار أخرى أن تسيطر علينا.. الأفكار السلبية تأتينا عندما يتملّكنا الفراغ، عندما لا نجد شيئًا نعمله سوى التفكير بأفكارٍ سلبية.. السعادة أيضًا بمساعدة الآخرين، والوقوف إلى جانبهم، وتلمّس احتياجاتهم، والاستماع لهم، والإنصات لما يقولونه.. إن استطعتَ إسعاد شخصٍ ما فافعل، ولا تنتظر

منه أن يردّ لك المقابل؛ بل انظر إلى السعادة التي أعطيتها إياه، فقد كان ينتظر منذ زمنٍ أن يفعل شخصٌ ما فعلته له، وقبل هذا انظر إلى نفسك وشعورك الجميل وارتياحك النفسيّ بعد أن أعطيته مما تحبّ.. نحن نسعد عندما نعطي الآخرين أشياء نحبّها.. افعل الخير واذهب، وسيأتي يومٌ من الأيام تتذكر ما فعلته وتقول في نفسك "لقد فعلتُ شيئًا عظيمًا".

السعادة تكون بتوفير المال لديك، تستطيع من خلاله عمل ما تريد وشراء ما تحتاج، تستطيع شراء ما يريده ابنك وما تحتاجه زوجتك، تستطيع الذهاب إلى أيّ مكانٍ شئت، وليس هناك قيودٌ عليك، فالمال هو المحرّك للحياة.. لا أتفق معَ من يقولون أن السعادة ليست لدى من يمتلك المال، فبهذا الكلام هم يضحكون على مَن ليس لديه مال.. إذا امتلكت المال؛ فستسعد حتمًا لأنه ليس هناك شيءٌ تريد شراءه ولا تستطيع، فالمال يفعل كلّ ما تريده، الأهم أن تمتلكه لتصبح سعيدًا.. صحيحٌ أنّ المال ليس كلّ السعادة، ولكن هو الأساس في وصولنا إلى السعادة.. وأتساءل هُنا: أليس من السعادة أن تنقذ ابنك مِن مرضٍ ألمّ به بعد أن أخبرك الأطباء بصعوبة معالجته في بلدك فذهبت به خارج البلد لتعالجه لأن لديك المال لفعل ذلك؟! أليست هذه هي السعادة؟! نعم؛ ولا أعتقد أن هناك شخصين يختلفان على ذلك، فالسعادة لن تتحقق بدون أن يكون لديك المال، ولكن ليست كلّ السعادة متعلقة بالمال..

لا يوجد شخص يقول إنه سعيدٌ دون أن يكون لديه المال، وإن قال ذلك فسأقول لهُ بأنه يكذب قبل أن يشرح الأسباب التي يعتقد أنها تجعله سعيدًا بدون أن يكون المال أحداها.. لا راحة تأتي بدون مال، فعندما لا يتوفر لديك المال ستظلّ تفكّر بالغد، وما الذي تستطيع فعله من أجل عائلتك؟ ماذا سيفعل الأب لابنه في الغد عندما يطلب منه مصروفه المدرسي؟ ماذا سيقول له حينها؟! أهمّ شيء السعادة؟! وماذا سيفعل بهذا الكلام؟ هل سيشتري له ساندويتشًا وعصيرًا في الصباح عند ذهابه إلى المدرسة؟! بالتأكيد لا! يجب أن يكون هناك منطقٌ في كلّ ما يُقال، فليس كلّ ما نسمعه نصدّقه، وليس كل ما نراه حقيقةً.. الأطفال لا تهمّهم هذه الأشياء بقدر ما يهمهم ما سيحصلون عليه.. ولا أعتقد أنك ستقوله له ذلك وأنت مبتسمٌ وتخبره أن أهم شيءٍ السعادة؛ بل العكس مِن ذلكَ ستحزن كثيرًا لأنك لم تستطِع أن توفّر لابنك ما يريده.. والأبناء هُم فلذات الأكباد، ولماذا يعمل الإنسان ويتعب ويتحمل الصعاب إلّا من أجلهم؟! لا تعتقد أنّ الفقير سعيدٌ؛ ليسَ سعيدًا وإن ادّعى ذلك، فعندما يمرض ابنه لا يستطيع علاجه، فيكون مصيره هو الموت.. وعندما يريدُ شيئًا

لا يستطيع الحصول عليه؛ لأنه ليس لديه المال.. قد تكون سعيدًا في داخلك، وهذا مهمّ، ولكن ليس الأهم؛ فالأهم هو المال، فلن تحقق الراحة النفسية والسعادة الموجودة إلا به.. صحيحٌ أنّ الرضى والقناعة بما لدينا يجلب لنا الراحة النفسية، ولكن لا يجلب لنا السعادة.. الأمر لا يتعلق بمن يريد السعادة أو لا يريدها.. فالجميعُ على هذه الأرض يريد السعادة ويريد أن يسعد في حياته، ولكن السؤال هُنا "كيف يحققها؟!" أما أن تقول لي أن السعادة ليست في المال؛ فهذا كذب، ولا تصدّق مَن يقول لك أنّ من يمتلك المال لا يمتلك السعادة، يكفيه أنه يفعل ما يشاء ويذهب أينما يريد ويشتري ما يحتاج..

لا أنكر أن هناك الكثير مِن الأشياء التي تجعلنا سعداء بدون أن يكون للمال دخلًا فيها، ولكنها دائمًا ما تكون مؤقتةً؛ كالأماكن الجميلة، والأصدقاء الجيدين، والتنزّه واللعب، ولكن -كما قلتُ- ليست دائمةً، ولكنها مؤقتة تنتهي وقت انتهاء الحدث، ومعَ ذلك يجب عليك دفع المال للحصول عليها.. لا تستطيع أن تقول لشخصٍ ما أن يكون سعيدًا بينما لا يوجد ما يأكله أو ما يعطيه لابنه.. لا أحد لا يريد أن تزوره السعادة، ولكن هناك منطقٌ في كلّ ما يُقال، فلن تكون سعيدًا بدون أن تمتلك المال.. ومن يخبرك غير ذلك أخبره أن يثبت لكَ العكس مِن ذلك، فإن اقتنعتَ فراجع موقفك، فربما هناكَ خَلَلٌ في أمرٍ ما لم تستطِع فهمه.. نعم؛ تستطيع إبعاد الأفكار السلبية عنك مِن خلال العمل، والذهاب إلى أماكن جديدة، وقراءة شيءٍ ما إن كُنت من هواة القراءة، ولكنّ هذه الأشياء لا تجعلك سعيدًا، فهناك فرقٌ بين أن تكون سعيدًا وبين أن تطرد الأفكار السلبية التي تلاحقك، بالإضافة إلى العمل وهو الذي يخرجنا من حالتنا السيئة التي نعيشها؛ بل أستطيع القول أنّ البعض تبدأ حياته عندما يحصل على عمل، فالعمل الجديد عندما يكون بعد معاناةٍ للحصول عليه وكأنّ الشخص الذي حصل عليه وُلِدَ مِن جديدٍ بعد أن يئِسَ من الحياة وكأن الحياة بنظره توقّفت.. حتى الحياة بكلّ تفاصيلها تصبح سواديةً معتمةً بدون وجود المال، فالمال هو المحرّك للحياة للبشرية، وإن لم يوجد في حياة أيّ شخصٍ فحتمًا سيكون مصيره البؤس والشقاء.. لا تصدقوا لأولئك الذين يمتلكون المليارات ثمّ تسمعهم يقولون أنّ المال ليس كلّ شيءٍ وأن المال ليس هو السعادة.. لو أعطوا أيّ شخصٍ من المال الذي يمتلكونه ما يكفيه لقال في اليوم التالي أنّ المال ليس هو السعادة وأنه ليس كلّ شيء.. المال بنظر من لا يملكه كلّ شيءٍ وهو السعادة، وفي نظر مَن يملكه ليس هو السعادة، وليس هو كلّ شيء، فلا سعادة تتحقق بدون مالٍ وإن ادّعى الطرف الثاني ذلك، ولن تعيشَ إذا لم يكن لديك المال..

الابتسامة
متى نبتسم؟ ولماذا؟

ابتسم للآخرين الذين تصادفهم في الشارع، ابتسم لأصدقائك، لزملائك في العمل، لزوجتك وأطفالك، ابتسم لأبيك، ابتسم لأمك وأختك، ومهما بدت عليك ظروف الحياة فابتسم، ولا تجعل الآخرين يشعرون بما تشعر به، فربما تكون مشاكلهم أعظم من مشاكلك.. فقط ابتسم! فقد تكون سببًا في إسعاد أحدهم.. ما أجمل أن تعطي الآخرين ما يريدونه! فأحدهم قد يريد ابتسامةً فقط!

يقول أحد الأطباء النفسيين:

"في إحدى الأيام رنّ جرس الباب، ففتحتُ، فإذا برجلٍ واقفٍ، فبادر بإعطائي ورقةً، فأسرعتُ بفتحها، فإذا بي أتفاجأ بما هوَ مكتوبٌ فيها.. كاتبها كان مريضًا نفسيًا يتعالج عندي، ومَن أعطاني هذه الرسالة جارٌ لهذا المريض، أخبره إذا حصل له مكروهٌ أن يأخذ هذه الرسالة إلى الطبيب النفسي.. بدأتُ بقراءة الرسالة: (عزيزي الدكتور.. لقدر قررتُ الانتحار بالقفز من أعلى جسر البوابة الذهبية.. ولقد عزمتُ على ذلك، ولن يثنيني شيءٌ إلّا إذا ابتسم لي شخصٌ واحدٌ وأنا في طريقي إلى هُناك.. وإن وصلتك الرسالة فاعلم أن أحدًا لم يفعل)".

كم هي مرعبةٌ هذه الرسالة! لكَ أن تتخيل أنّ شخصًا كان يتمنى أن يبتسمَ لهُ شخصٌ يصادفه في طريقه وهو ذاهبٌ إلى حتفه الأخير، ولكن لا أحد فعل! لا أحد ابتسم! ولو فعل شخصٌ ذلك لأنقذه مما كان مُقدمًا عليه، فابتسامةٌ قد تنقذ حياةً، فلا تعلم ماذا يُعاني الآخرون، ولا تعلم ما الذي يحصل معهم.. كُن رحيمًا بهم، بشوشًا

تجاهم، صادقًا معهم، مبتسمًا ومرحًا في وجودهم، فلا تعلم كم سعادةً تدخلها عليهم وكم كآبة وحزنًا تطردها عنهم..

اذهب إلى عملك وأنت مبتسم.. ابتسم لمن تمرّ بهم في الشارع.. حاول بقدر الإمكان ألّا تغادرك الابتسامة، أن تظل متمسكةً بك، فالناس لم تعد تريد المزيد من الكآبة، يكفي ما يعيشونه.. الابتسامة مفعولها سحريٌّ على الآخرين، فاجعلها سفيرًا لك إلى قلوب الآخرين.. مهما وصل الإنسان إلى ذكاءٍ فهو لا يستطيع فهم مشاعر الآخرين؛ ليس في سعادته فقط، بل وحتى في حزنه، فالمشاعر لا يعرفها إلا أصحابها.. ليس كلّ من ابتسم سعيدًا، فأحيانًا نبتسم لصدمةٍ تلقّيناها، فكانت الابتسامة على الحزن الشديد وليس الفرح.. الابتسامة سفيرنا إلى قلوب الآخرين.. الابتسامة تجعل القاسي يلين.. الابتسامة مفتاح القلوب.. الابتسامة تبعد الشقاء والحزن، ويحلّ الفرح والسعادة عندما تأتي ممّن نحبهم.. ابتسم للآخرين.. فعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (تَبَسُّمُك في وَجْه أَخِيك لك صدقة) [رواه الترمذي]، فكم من مهمومٍ أفرحته وحزينٍ أسعدته! ومهما وصل بكَ الشقاء لا تنسَ أن تبتسم.. ابتسم لمن حولك، للآخرين، لأسرتك، لكلّ من تلقاه.. لا تحبس ابتسامتك، واجعلها حرّةً طليقةً، واهدها للآخرين، فكلّ شخصٍ لا أحد يعلم ماذا يواجه من ضغوطات الحياة، فالابتسامة لن تعينه في شيءٍ، ولكنها ستخفف ممّا يمرّ به.. أطلق العنان لابتسامتك، ولا تنسَ أنّها صدقة، فالرسول صلى الله علية وسلم كان أكثر الناس تبسمًا كما يقول الصحابة رضي الله عنهم، وكان يبتسم لأصحابه على الدوام مهما بدت الحياة له صعبةً وكئيبةً، ومعَ هذا الابتسامة لم تكن تفارقه.. ابتسم لنفسك إذًا! لا يجب أن تتركها رهينة الواقع المؤلم.. فالابتسامة تهدّ حواجز، وتبني علاقات.. ابتسم عند شروق الشمس، وعند غروبها، في الصباح، والمساء، فالابتسامة طاقةٌ كبيرةٌ من الإيجابية، وليكُن شعورك كما يقول الشاعر إيليا أبو ماضي:

قــالَ السَــماءُ كَـئـيـبَـةٌ وَتَجَـهَّـما ... قُلتُ اِبتَسِـم يَكفي التَجَهّمُ في السَـما

قـالَ الصِـبا وَلّى فَقُلـتُ لَـهُ اِبـتَسِـم ... لَن يُرجِعَ الأَسَـفُ الصِـبا المُتَصَرِّـ ما

قالَ العِدى حَولي عَلَت صَـيحاتُهم ... أَأُسَرُّ وَالأَعـداءُ حَـولِيَ الحِـمـى

قُلـتُ اِبـتَسِـم لَم يَطلُـبوكَ بِذَمِّـهِم ... لَـو لَم تَكُـن مِنهُـم أَجَـلَّ وَأَعـظَما

قالَ المَواسِمُ قَد بَدَت أَعلامُها   وَتَعَرَّضَت لي في المَلابِسِ وَالدُمى
وَعَلَيَّ لِلأَحبابِ فَرضٌ لازِمٌ   لَكِنَّ كَفّي لَيسَ تَملُكُ دِرهَما
قُلتُ اِبتَسِم يَكفيكَ أَنَّكَ لَم تَزَل   حَيّاً وَلَستَ مِنَ الأَحِبَّةِ مُعدَما
قالَ اللَيالي جَرَّعَتني عَلقَماً   قُلتُ اِبتَسِم وَلَئِن جَرَعتَ العَلقَما
فَلَعَلَّ غَيرَكَ إِن رَآكَ مُرَنَّماً   طَرَحَ الكَآبَةَ جانِباً وَتَرَنَّما
أَتُراكَ تَغنَمُ بِالتَبَرُّمِ دِرهَماً   أَم أَنتَ تَخسَرُ بِالبَشاشَةِ مَغنَما
يا صاحِ لا خَطَرٌ عَلى شَفَتَيكَ أَن   تَتَلَثَّما وَالوَجهِ أَن يَتَحَطَّما
فَاِضحَك فَإِنَّ الشُهبَ تَضحَكُ وَالدُجى   مُتَلاطِمٌ وَلِذا نُحِبُّ الأَنجُما

وكأنّه يقول لك "ابتسم في كلّ الأوقات وعلى الدوام.. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه (أحبّ الأعمال إلى الله سرورٌ تدخله على مسلم) [رواه الطبراني وحسنه الألباني].. إذًا لماذا لا نسعد الآخرين ونحن باستطاعتنا ذلك؟! فالابتسامة عنوان المحبّة والإخاء.. ليس هناك وقتٌ مخصصٌ للابتسامة، فيجب أن تلازمك الابتسامة في كلّ مكانٍ تذهب إليه، وفي كلّ لحظةٍ وحينٍ.. الابتسامة عنوان للحب والتآلف، فحين يتلقاها المتلقي تتفتح أبواب قلبه لك، وتنزع منه الخوف مِنك، وتدخل إليه شعورًا جميلًا.. اجعل الابتسامة رفيقتك أينما ذهبت ورحلت، ومهما عانيت مِن أشياء في الحياةِ لا تنسَ ابتسامتك، فابتسامتك هذه قد تسعد شخصًا وتفتح قلبًا وتنعش وتحيي أَمَلًا وحلمًا، فقد لا تشعر بتأثيرها بقدر ما يشعر بها من يتلقّاها، فحافظ عليها، فأنت لا تعرف تأثيرها على الآخرين، فلا أحد يشعر بشيءٍ إلا بعد أن يجرّبه.. أهدِ الناس الابتسامة، فالآخرون ليسوا أسوأ منكَ في واقع الحياة، فكلّ شخصٍ لا أحد يعلم ما يعانيه إلا هو، فقد تكون هذه الابتسامة أملًا وفَرَجًا.. تكلّم وأنت مبتسمٌ، واستمع إلى من يتحدث وأنت مبتسم.. ابدأ صباحك بابتسامةٍ، وأنهِ مساءك بابتسامة، فالحبّ يبدأ بنظرة ثم ابتسامة، فالابتسامة هي البوابة التي يبدأ منها الكثير من الأشياء؛ ليس أولها الصداقة، ولن يكون آخرها الحبّ..

لا تكن بخيلًا في ابتسامتك، ووزعها على من تعرف ومن لا تعرف.. لا تعطِ الناس وأنت كئيب الوجه، ابتسم وأنت تعطي، فمن تعطيه سيظنّك غير راضٍ بما تفعل، وليكن العطاء مقرونًا بابتسامةٍ مِنك.. اقهر الحياة

وظروفها بابتسامتك، ولا تجعلها تكدّر صبحك أو مساءك.. ابتسم؛ فالعبوس علامة النفور، فالآخرون لن يقتربوا منك وأنت مكشّر الوجه.. ابتسم لصديقك، ابتسم لزميلك ومديرك.. ابتسم؛ فالابتسامة مجانية، ولن تغرم على ذلك.. قد لا تفيدك الابتسامة، ولكنها قد تفتح بابًا لأحدهم، فالحياة كئيبةٌ يا صديقي؛ فلا تبخل على الآخرين بإسعادهم بابتسامتك.. لن تخسر شيئًا لو ابتسمت في كلّ دقيقة، وما العيب في ذلك؟! فالابتسامة صدقة، ولن تخسر شيئًا، ولكنك ستؤجر على ذلك.. فسبحان من جعل الابتسامة صدقة! كن أنت المصدر الأوّل للابتسامة، وإن بدأ الآخرون حولك يشعرون بالتشاؤم فكُن أنت الوحيد المتفائل والمبتسم.. اقهر الحياة بابتسامتك، وأخبرها بأنها لن تستطيع هزيمتك مهما حاولت ذلك.. صحيحٌ أنّ في كثيرٍ من الأوقات لا نستطيع أن نتحدث لأحدهم، فكيف لنا أن نبتسم؟! ومعَ ذلك هذا لا يمنعنا من أن نبتسم، فلا يجب أن نظهر للآخرين ما نعانيه، فربما حياتهم أسوأ مما نعانيه.. صحيحٌ أنّ الابتسامة ليست على الدوام؛ فقد تمرّ بالإنسان لحظات لا يستطيع فيها حتى أن ينظر إلى الآخرين، فكيف أن يبتسم لهم؟! ولكن معَ ذلك لا تجعل ابتسامتك عورةً، ابتسم للآخرين، وأزِح عنهم همومهم، ولا تظل مكشّرًا على الدوام.. ابتسم لخصمك ليندم، ولصديقك ليسعد.. لا تجعل ابتسامتك لمصلحةٍ أو لمنفعة، فلا تبتسم إلّا مجاملةً لمديرٍ أو صديقٍ تريد منه شيئًا ما، وما إن تحصل على ما تريد حتى تغادر.. قابل كلّ من تلقاه بابتسامة.. صحيحٌ أنه لن يفيدك أو يزيد راتبك كما تُريد وتتمنى عندما تبتسم لمديرك، ولكنك ستسعده بذلك، وستفتح بابًا مغلقًا بينك وبينه، وستنمو الصداقة والمحبّة، ويذهب حزنه، وتحلّ سعادته، ويطرد همه، فالابتسامة ليست دائمًا مصلحةً بقدر ما تكون حقيقيةً تخرج من القلب إلى شخصٍ يحتاجها.. لا تدخل ابتسامتك في المصالح، فالابتسامة مجانية، فربما لن تؤجر عليها مِن المدير، ولكنك ستؤجر يوم القيامة، فلا تنسَ هذا وأنت تبتسم كذبًا لأجل مصلحةٍ في نفسك.. الابتسامة تشعرنا بالأمان والاطمئنان، فالابتسامة علاجٌ نهديه للآخرين بدون تكلّف منّا.. فقط ينبغي أن تكون الابتسامة نابعةً من القلب، فإن غلبت عليها المصالح ضاع أثرها وبقيت الابتسامة الزائفة، فالمتلقّي يعرف حتمًا ويفرّق بين من يبتسم له من قلبه وبين من يحاول أن يبتسم لغرضٍ آخر.. ولو لم تكن للابتسامة أهميةً لما كانت صدقةً تؤجر عليها بدون أن تبذل جهدًا، فالابتسامة لا أحد يعرف مفعولها سوى من يتلقّاها، فمن المهمّ أن نعرف كيف نستطيع أن نسعد الآخرين ونأسر قلوبهم بابتسامتنا، ويجب علينا أن لا تفارقنا الابتسامة مهما كانت الأوضاع التي نمرّ بها، فكلّ شخصٍ وما يمرّ به أسوأ مِن الآخر، فلنراعِ أوضاع الآخرين ليراعي

الآخرون أوضاعنا، ونجعل الابتسامة طريقتنا للوصول إلى قلوب الآخرين، فالابتسامة مرهم على أوجاع البعض، ودواء لمن داهمهم اليأس.. لا تضع حواجز بينك وبين الآخرين بتكشيرك الدائم؛ بل افتح طرقًا وأغلق أخرى إلى قلوبِ الآخرين وعقولهم عن طريق ابتسامتك، ولا تجعلها حبيسةً، ولا تبخل بها على الآخرين..

****

العقل
بين التفكير والتعطيل

خلق الله العقل في جسم الإنسان لمهمةٍ يؤديها وهي التفكير، فكلّ إنسانٍ على هذه الأرض لديه عقلٌ، ولكن ليس كل إنسان يفكّر، فالبعض لا يفكّر بعقله؛ وإنما بعقلِ غيره.. العقل هو الذي يميز الإنسان عن باقي مخلوقات الله في الأرض، فالحيوانات مخلوقات ولكن ليس لديها عقل، وهذا ما جعل الإنسان متفوقًا عليها؛ ليس بذكائه، ولكنها حكمة إلهية أودعها الله في الإنسان، فالإنسانُ بلا تفكيرٍ ككوبٍ بلا ماءٍ؛ لا ينتفع به..

العقل وُجِدَ لتمييز بين الخير والشرّ، بين الإيجابي والسلبي، بين ما ينفعك وما يضرك.. العقل مِن أهم أجزاء الجسم، ولم يخلقه الله عبثًا؛ بل خُلِقَ للتفكير والتمييز بين الأشياء الصحيحة والخاطئة، الكذب والصدق، المعقول واللامعقول.. أسأل نفسي أحيانًا "لماذا لم يستخدم البشر عقولهم؟ لماذا لم يفكروا؟ وإن فكروا لماذا لم يفكروا بشيءٍ إيجابيٍّ ينفعهم؟ وإن فكّروا بأشياء تنفعهم لماذا يفكرون بأذيّة الآخرين؟" فالعقل وُجِدَ لنتفكر ونبحث ونميّز، وليس مجرّد جزء من الجسم لا ينتفع به.. أنا لا أقول لك كيف تفكر، ولكني أقول لك لماذا لا تفكر؟! فكلّ شخصٍ له طرقه وأساليبه في استفزاز العقل وجعله يعمل ويحلل ويصل إلى النتائج الصحيحة والسليمة التي يريدها.. لن تخسر شيئًا إذا فكّرتَ، ولكنك ستزداد علمًا ومعرفةً إذا فكّرتَ وبحثتَ واطلعت.. استفزّ العقل، اقرأ كتبًا جديدةً، وشاهد أشياء جديدةً من خلالها يخرج العقل من هدوئه، ويجعلك تفكّر ما هذا؟! وما ذاك؟! ولماذا لم يكن هذا؟! وليس ذاك؟! لا تكن ذا عقلٍ بالاسم فقط؛ بل استخدمه لتصل إلى

استنتاجاتٍ ونتائج، حلّل وابحث واطلع، واجعل العقل يرى ما هو الصائب وما هو الخاطئ.. استخدم الوسائل التي وهبها الله لك لتتفكر، فانظر في مخلوقات الله، واستمع للطبيعة، فإنسانٌ لا يفكّر ولا ينتج ليس له قيمة؛ خصوصًا اليوم في ظلّ عالمٍ لا يعترف إلا بمن يفكّر ويحلل وينتج.. صحيح أنّ الجميع لديهم عقول، ولكن الأغلب لا يفكّرون، وهُنا تكمن المشكلة؛ فالبشر خلقهم الله سواسيةً، ولكن البعض منهم يستخدم الإمكانات التي وهبها الله له لمصلحته، فالعقل جزءٌ من جسم الإنسانِ، لو تعطل أو لم يُستخدم لأصبح الإنسان بلا فائدة، ففائدة الإنسان بما يفكّر به وبما ينتجه.. قد يصاب الإنسان بالأمراض، ولكن عقله لا يزال يعمل ويفكّر وينتج، فليس للإنسان عذرٌ في استخدام عقله، وجعله يعمل لمصلحته وليس مجرّد تابعٍ يسمع ويطيع ومن ثمّ ينفّذ، فكلّ إنسانٍ خُلِقَ مستقلًا بتفكيره وشخصيته، ومن الخطأ أن لا تستخدم هذا الاختلاف في أشياء تميّزك عن الآخرين، وتجعل لك بصمةً في هذا العالم، فمن يسيطر على عقلك إذا لم تفكّر وتعرف الحقيقة لا يأتي ليقول لك ذلك؛ بل يأتي بمبرراتٍ وحججٍ لمجرّد أن تراها تقتنع بها ولا تعرف هل هي صحيحة أم خاطئة؛ لأنك لم تستخدم عقلك؛ بل عطّلته وجعلته لا يقوم بمهمته من التحليل والبحث والتقصّي ومعرفة ما إذا كان ما سمعته صحيحًا أم خاطئًا.. حتى أنفسنا؛ يجب أن نتفكر بها، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات – ٢١].. وهنا دعوة للتأمل والتفكير في هيئة خلق الله للإنسان نفسه، وكيف جمّله وحسّنه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين – ٤].. فكلّ شيءٍ في هذه الحياة مدعاة للتأمل والتفكير، الصباح والمساء، كيف تشرق الشمس، وكيف تغرب؛ لترى حينها آيات الله ومعجزاته في هذا الكون الذي سخره للإنسان؛ بل حتى الحيوانات دعانا الله إلى التفكّر بها ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، وإلى التفكّر بالسماء ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ والتفكّر بالجبال ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ وإلى التفكّر بالأرض ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية ، ١٧-٢٠]، فالآيات التي تدعونا إلى التفكّر والتأمّل كثيرة، وذلك ليعلم الإنسان أن العقل لم يوجد في الإنسان عبثًا؛ بل لحكمةٍ بالغةٍ، ومن المهمّ؛ بل الواجب على المدارس والجامعات أن تنمّي عند الطالب حبّه للمعرفة والاطلاع والبحث والتفكير، وليس مجرّد متلقٍّ يأخذ ما يوجد في الكتاب ومن ثمّ يعود إلى المنزل ويقرأه، ومن ثم يذهب إلى المدرسة لينقله إلى ورقة الامتحان.. كيف لنا أن نجعل الشباب متعطشين للمعرفة وحبّ الاطلاع إذا كانت هذه طريقتنا في التعليم؟! يجب أن يكون هناك مواد تدرّس لتستفز عقل الطالب ليبدأ بالبحث والاطلاع، فأسلوب الأمر والنهي والخطأ

والصواب لم يعُد مقبولًا سواء من المعلّم في المدرسة أو الأب في بيته، هناك خيارٌ ثالث أحيانًا.. اجعل الطالب يفكّر وينتج ويحلل، اسأله ليعطيك رأيه في شيءٍ ما، ولا تجعله مقيدًا بما تقوله له، اجعله يفكّر خارج الأطر والحدود التي وضعتها له؛ فالتفكير ليس حرامًا..

في المنزل من المهمّ أن يفسح الآباء لأبنائهم حقّ إبداء آرائهم في شيءٍ ما، ومناقشتهم في مواضيع أخرى؛ حتى يكون الطفل مستقلًا برأيه وتكون لديه القابلية لتفكير في أمرٍ يتلقّاه، وليس مجرد تابعٍ فقط.. اجعل له حرية التفكير، ففي هذا العالم المتسارع إذا لم تفكّر ستصبح دميةً بيد الغير، ولن يرحمك أحد.. سيتقاذفونك ككرة القدم.. الجميع يريد ويبحث بشتّى السبل أن يحقق هدفًا بك، فلتكن هجمتك مرتدةً عليهم، كُن مستقلًا بتفكيرك، ومهما تتلقى وتشاهد من أشياء أو أمور سواء صدّقتها أو لم تصدقها فأخضعها لأرضِ الواقع، وابدأ البحث عنها واسأل نفسك مرارً وتكرارً "هل هذا صحيح؟!" حلّله واسعَ إلى النتائج، وستصل إلى النتائج الصحيحة والسليمة التي تقتنع بها، فليس كلّ ما نشاهده ونسمعه صحيحًا، أحيانًا يكون في قمّة الكذب والتزوير من الآخرين؛ ليقنعونا بذلك.. فكّر فيه، وابحث عنه، واسأل "هل صحيحٌ ما يُقال؟ هل حقيقة ما شاهدته؟" وستصل حينها إلى النتائج الصحيحة، فالأمر يستحق العناء قليلًا من أجل بناءِ جيلٍ يعي ويعرف ويفكّر في كلّ ما يدور حوله، وليس مجرّد تابعٍ للآخرين ينفّذ ما يريدون بدون التفكّر في صحته أو خطئه، وألّا يرتد هذا الجيل على نفسه، فالإنسان يجب أن يقوده عقله وليس الآخرين.. والنقطة الأهم ليس أن نفكّر فقط؛ بل يجب أن نعرف ماذا نريد من التفكير، وإلى أين نريد أن نصل، وما هي النتيجة التي تريد الوصول إليها.. يجب أن تنشئ حلقات الفكر للنقاش والتداول والبحث، يجب أن يشترك بها الجميع، ويستخدم كلّ شخصٍ عقله لتحليل المواقف والموضوعات المطروحة.. يجب أن تطرح مواضيع ذات قيمة وتستحق التفكير والنقاش حولها، وليس مجرد كلامٍ لا فائدة منه.. يجب أن يستفزّ العقل كلّ ما يتم طرحه حتى يستطيع الادلاء برأيه بكلّ واقعيةٍ ووضوح.. خصص لطفلك وقتًا ليتفكّر فيه، استدعِه وأعطِه مسألةً أو أمرًا ما من خلاله يخرج مهاراته الفكرية وتحليلاته العميقة، وساعده في ذلك، واستفزز عقله.. وعند الوصول إلى النتائج اسأله كيف توصلت إليها وكيف حصلت عليها، وماذا كانت الصعوبة ذلك؛ حتى يعرف أنك مهتم به.. ناقشه في إحدى القضايا التي تهمّ المجتمع المحيط به؛ سواء أكانت اجتماعية أو ثقافية.. اجعل عقله يعمل، وشجّعه على ذلك.. استمع إليه وهو يُدلي برأيه، وشجّعه لأنه وصل إلى هذه النتائج، ومهما كان ما يقوله شجّعه على ذلك؛ لأنه يستحق

ذلك، يكفي أنه استخدم عقله ليخرج بهذا التحليل، فالأطفال يحبون مَن يستمع لهم بكلّ إنصاتٍ، من يناقشهم في أيّ شيءٍ، من يعطيهم حرية الكلام والتحدث.. والعقل ليس محصورًا في التفكّر في المحيط الخارجي وما نشاهده أو نسمعه؛ بل في إيجاد حلول للمشاكل التي تصادفنا في حياتنا، فالعقل السليم والناضج سيجد الحلول لها بأسرع ما يمكن، فقط علينا أن نستخدمه، فهو وجد لمساعدتنا في إيجاد الحلول لمشاكلنا للوصول إلى الحلول المناسبة والصائبة..

لا تكن جاهلًا، نمِّ عقلك، اقرأ الكثير من الكتب الجيدة، وشاهد واطّلع واستمع وتأمّل، املأ عقلك بالكثير من الأشياء التي يومًا من الأيام ستعود إليها؛ لأنها أصبحت مخزنةً لديك، فالعقل يجوع للمعرفة، فلا تحرمه منها.. ومهما كنت مشغولًا خصّص وقتًا لذلك.. إياك أن يكون عقلك أسيرًا لما تعرفه فقط، أو كتابٍ تقرأه أو خبرٍ تسمعه، أو حدثٍ تشاهده.. لا تقيّد عقلك بأي شيءٍ، اجعل عقلك هو من يقود؛ وليس الأحداث والمشاهد التي تتابعها.. لا تعوّد عقلك على الاستسلام لأيّ شيءٍ يؤثر عليه.. أخضِع أيّ شيء تتلقاه إلى التفكير والبحث، وتأكد أنه ليس من السهل إدراك العقل لبعض الحقائق، ولذلك حلّل وأفحص ودقّق وتأمّل وفكّر في كلّ شيءٍ تتلقاه، وأخضعه للمراجعة والفهم والأسئلة.. وإياك أن تتقبل الأشياء بسهولةٍ، فقد تكون يومًا من الأيام حبيس أصحابها.. قد تقتنع في بعض الآراء التي تطرح، فتتقبلها، وهذا لا يعني أن تتقبل الكلّ، ولست مُجبرًا على ذلك.. تقبّل ما أنت مقتنعٌ به، ودع الباقي، فما تستفيد منه خُذه وما ليس لك فيه اتركه، ولا تكن ممن يغلق عقله وقلبه عن آراء تفيد وتنفع لمجرّد أنّ قائلها يخالفه الرأي.. ما العيب في ذلك؟! خذ منه ما تقتنع به، ودع الباقي، فلست مجبرًا على أخذه كاملًا..

عالم الفيزياء البريطاني "ستيفن هوكينغ" أحد أهم العلماء في مجال الفيزياء؛ أصيب بمرضٍ جعلهُ مُقعدًا وهو لم يصل إلى عمر الخامسة والعشرين، ولكن عقله ما يزال يعمل لم يتوقف.. أقعده المرض على كرسيٍّ متحركٍ طيلة سنواتٍ حتى وفاته.. كان يتحدّث عبر جهازٍ إلكترونيّ، وحتى التواصل مع الآخرين كان عن طريق حاجبيه، ولم يمنعه هذا من مواصلة أبحاثه وأعماله، فهو لم يتوقّف، فعقله ما زال يعمل له العديد من الأبحاث النظرية في علم الكون.. أصدر وألّف العديد من الكتب العلمية في مجال تخصصه، ولنا فيه عبرة وعظة مفادها وإن تعب الجسد أو توقف عن الحركة والعقل ما يزال يعمل فلا خوف، فإن مات العقل عن التفكير مات الإنسان.. ولنا تجربة أخرى في شاعر اليمن الكبير عبد الله البردّوني الذي أثرى المكتبة العربية عامةً واليمنية

خاصةً بالكثير من أشعاره التي لا تزالُ إلى اليوم، ولا يمكن للزمن محوها أو نسيانها.. أُصيب في بداية عمره بالعمى وهو في عمر السادسة، ولكن عقله لا يزال يعمل.. له الكثير من الدواوين الشعرية التي ما زالت تغنّى وتُقرأ إلى اليوم.. نال جوائز كثيرة وتقلّد مناصب عديدة.. يقول في أبيات قصيدته المشهورة "أبو تمام وعروبة اليوم" التي أُلقيت في العراق الأبيات التي مازال صداها إلى اليوم، ومازالت قوّة تأثيرها للآن كما كانت في ذلك الوقت.. وهذا جزءٌ مِنها:

أَدْهَى مِنَ الجَهْـلِ عِلْـمٌ يَطْمَئِـنُّ إلَـى ... أَنْصَـافِ نَاسٍ طَغَوا بِالعِلْـمِ وَاغْتَصَبُـوا
قَالُوا: هُمُ البَشَرُ الأَرْقَـى وَمَـا أَكَلُـوا ... شَـيْئًاً.. كَمَا أَكَلُـوا الإنسان أو شَرِبُـوا
مَاذَا جَرَى.. يَـا أبا تَمَّـامَ تَسْأَلُنِـي؟ ... عَفْوًا سَـأَرْوِي.. وَلا تَسْأَلْ.. وَمَا السَّبَبُ
يَدْمَـى السُّـؤَالُ حَيَـاءً حِيـنَ نَسْأَلُـهُ ... كَيْفَ احْتَفَتْ بِالعِدَى «حَيْفَا» أو «النَّقَـبُ»
مَنْ ذَا يُلَبِّـي؟ أَمَـا إِصْـرَارُ مُعْتَصِـمٍ؟ ... كَلاَّ وَأَخْزَى مِنَ «الأَفْشِينَ» مَـا صُلِبُـوا
اليَوْمَ عَـادَتْ عُلُـوجُ «الـرُّومِ» فَاتِحَـةً ... ومَوْطِـنُ العَرَبِ المَسْلُـوبُ وَالسَّلَـبُ
مَاذَا فَعَلْنَـا؟ غَضِبْنَـا كَالرِّجَـالِ وَلَـمْ ... نَصْدُقْ.. وَقَدْ صَـدَقَ التَّنْجِيـمُ وَالكُتُـبُ

كان هذا عام ١٩٧١ في العراق بمحافظة الموصل عندما وقف على المسرح في مهرجان "أرض مربد"، فرغم أنه أعمى ولكنه كان ينظر بقلبه ويفكر بعقله.. صعد إلى المسرح بخُطىً ثابتة، وكان البعض من الحضور ينظر إليه ويقول "ماذا دها هذا؟ ما الذي سيفعله؟ وما الذي سيقوله ويقدمه بهيئته هذه التي لا تشبه شاعرًا؟!"، ولم يعرفوا أنّ الإنسان ليس بالمظاهر؛ بل بما يحتويه عقله وإن ابتلي بالعمى فعقله ما يزال يعمل.. كانت المفاجأة الكبيرة عندما ألقى هذه القصيدة، والتي جعلتهم يقفون له احترامًا وتوقيرًا ويرفعون له القبعة لفصاحته وقوّة تعبيره وقراءته للواقع العربي والمستقبل أيضًا، وكان مطلع هذه الأبيات:

ما أَصْدَقَ السَّيْفَ! إِنْ لَمْ يُنْضِهِ الكَـذِبُ ... وَأَكْذَبَ السَّيْفَ إِنْ لَمْ يَصْـدُقِ الغَضَـبُ
بِيضُ الصَّفَائِـحِ أَهْـدَى حِيـنَ تَحْمِلُهَـا ... أَيْـدٍ إِذَا غَلَبَـتْ يَعْلُـو بِهَـا الغَلَـبُ
وَأَقْبَـحَ النَّصْرِ. نَصْـرُ الأَقْوِيَـاءِ بِـلاَ ... فَهْمٍ. سِوَى فَهْمِ كَمْ بَاعُوا وَكَمْ كَسَبُـوا

وختمها بالأبيات القائلة:

«حَبِيبُ» مَـا زَالَ فِـي عَيْنَيْـكَ أَسْئِلَـةً تَبْـدُو.. وَتَنْسَـى حِكَايَاهَـا فَتَنْتَـقِـبُ
وَمَا تَـزَالُ بِحَلْقِـي أَلْـفُ مُبْكِـيَـةٍ مِنْ رُهْبَـةِ البَوْحِ تَسْتَحْيِـي وَتَضْطَـرِبُ
يَكْفِيـكَ أَنَّ عِدَانَـا أَهْـدَرُوا دَمَـنَـا وَنَحْـنُ مِـنْ دَمِنَـا نَحْسُـو وَنَحْتَلِـبُ
سَحَائِـبُ الغَـزْوِ تَشْوِينَـا وَتَحْجِبُـنَـا يَوْمًا سَتَحْبَلُ مِـنْ إِرْعَادِنَـا السُّحُـبُ؟
أَلاَ تَـرَى يَـا أَبَا تَمَّـامَ بَارِقَـنَـا إِنَّ السَّمَـاءَ تُرَجَّـى حِيـنَ تُحْتَجَـبُ

أبيات شعرية قيلت في بغداد ولقت صداها في العالم العربي، وما تزال تتداول إلى اليوم، فأعمى النظر قرأ الواقع العربي ليس في ذلك الوقت؛ بل وحتى في هذا الوقت، فالكثير لا يبصرون؛ ليس لأنهم عُمْيٌ، ولكن لأنهم لا ينظرون إلى الواقع كما هو، فالشاعر الأعمى قرأ الواقع والمستقبل وخرج بهذه الأبيات الشعرية التي تشرح بوضوحٍ وبدون مجاملةٍ ما الذي حدث للأمة العربية منذ ذلك الوقت ومن قبل وإلى الآن، فالبردوني لم يكن شاعرًا فقط؛ بل وقارئًا لواقع الحال العربي الذي أصبح اليوم يُرثى له، وأصبح التفكك والتشرذم والنزاعات والصراعات بين العرب أنفسهم.. وأفكر جليًا وأقول في نفسي: "ماذا لو أمدّ الله بعمره إلى هذا الوقت ورأى ما يحدث للأمة العربية اليوم؟! ماذا سيقول؟! وبماذا سيعبّر؟!"

****

الإعلام
التزييف والتدليس بأبهى صورة

الإعلام من الوسائل التي تتحكم بعقل الإنسان وتفكيره، وإن كان بشكلٍ غير مباشر؛ خصوصًا عندما يكون الشخص جاهلًا لما يدور حوله، فالإعلام يجعله يصدّق كلّ ما يسمعه سواء أكان صحيحًا أو خاطئًا، إيجابيًا كان أو سلبيًا.. وللأسف؛ أصبح الإعلام اليوم سلبيًّا أكثر منه إيجابيًا، ولم يعد يقدّم شيئًا لتنمية عقل الإنسان، وأصبح مملوكًا لأشخاصٍ يتحكّمون به ويستخدمونه حسب أهوائهم.. أصبح الإعلام اليوم يضرّ المستمع أكثر مما يفيده.. أصبح مجالًا للنزاعات وتشويه الآخرين، وليس مجالًا لتأدية رسالةٍ سامية.. انحرف عن مساره الذي يجب أن يكون عليه، ولم يعد يرتبط بأيّ شكلٍ من الأشكال بالمواطن؛ بل أصبح موجّهًا ومتخذًا سياسة واحدةً المواطن ليس من ضمنها.. تحوّل من أداةٍ لزيادة الوعي لدى المتلقّي والعمل على تثقيفه وتوعيته من خلال البرامج والمواضيع التي يتناولها إلى أداةٍ هدّامةٍ لا يهمها أمر المتلقي من النواحي الإيجابية التي ينتفع بها؛ بل من الناحية التي يريدها القائمون على هذه البرامج فهم المستفيدون من ذلك، فزيادة الوعي من خلال البرامج الهادفة والمهنية التي تفيد المتلقّي وتغير من سلوكياته وتنوير عقله وفتح مداركه لم تعد أولوية الإعلام اليوم..

بالإضافة إلى كون الإعلام أداةً من أدوات تعليم الأطفال، فكل ما يراه الطفل في الإعلام سيحاول تطبيقه (وأقصد هنا بالإعلام المرئي المتمثّل بمشاهدة التلفزيون)، فهو يعتبر مُوجّهًا له، ولكن المصيبة تكمن فيما يقوم

به الإعلام حيث لا يخدم الأطفال بأيّ شكلٍ من الأشكالِ في ظل تقديمه محتوىً عنيفًا ومتطرفًا يتهجّم ويسبّ ويشتم الآخرين ويشوّه ويخون هذا وذاك.. لك أن تتخيل إذا تلقّى الطفل وهو في سنٍّ مبكرةٍ هذا المحتوى الذي يتم تقديمه؛ فماذا ستكون ردّة فعله؟! ستكون كارثيةً، وسيكون حاقدًا على أولئك الذين استهدفهم الإعلام في محتواه، وهو لا يعرف شيئًا عنهم، فالحقد يدرسه الإعلام ويتعلّمه الأطفال ليتربوا عليه بدل تعليمهم برامج هادفة ثقافية واجتماعية ومواضيع متنوعة في التفكير والإنتاجية والاستقلال بالفكر.. فبدلًا من أن يكون الإعلام هو الذي يسهّل التواصل بين الإنسان وبين محيطه الخارجي من خلال البرامج الهادفة الاجتماعية والثقافية؛ أصبح يفرّق مجتمعاتٍ عن بعضها ودولًا عن محيطها، وأصبح ينشر التفرقة أكثر مما يسعى للمّ الشمل.. عندما يشاهد المتلقي التناقض في الإعلام يصبح عقله ساحة معركةٍ للأفكار والمصطلحات والمفاهيم التي كانت لديه من قبل وبين المفاهيم الجديدة التي يحاول الإعلام أن يسيطر عليه بها..

ليس الكلّ يفكر فيما يقدمه الإعلام من محتوىً برامجيّ، ولكن القليل جدًا من يسأل عقله ويفكر مرارًا ويفحص ويحلل ما يتلقاه ليتأكد من صحته.. أمّا الآخرون؛ فهم يتلقونه ويصدقونه بدون أن يعرفوا أو يفكروا إن كان ذلك صحيحًا أو خاطئًا.. سأكون مبالغًا إن قُلتُ أنّ الجميع لا يستطيع أن يتخلى عن التلفزيون، ولكن هذه الحقيقة المرّة، فلن تجد منزلًا إلا وتواجد فيه، ومن هذا المنطلق أصبح القائمون عليه يبثّون السموم للأطفال والكبار وبثّ محتوى زائف ومظلل؛ بل وكاذب، بل إنّ البعض يصل به الحال إلى مقاطعة أسرته أو ضربها.. ولا أكذب القول إن قلتُ أن بعض الشباب قد يصل به الحال إلى قتل أحد أفراد أسرته؛ ربما أبوه أو أمه أو واحد من إخوانه بسبب ما يشاهده على الإعلام، ولا يعرف أنّه مجرّد كذبٍ وتزييفٍ ولا يمتّ إلى الواقع بصلةٍ وإن ادّعوا ذلك.. أصبح المتلقّي بعيدًا جدًا عن واقعه، وأصبح يتلقى كلّ شيءٍ من الإعلام، ولم يعد يستطيع التفرقة بين ما هو خاطئ وصائب، فيصبح كدُميةٍ بيد القائمين عليه يحرّكونه كيف شاءوا، فعقله لم يعد برأسه، وتفكيره توقف عن العمل، وإدراكه للحقيقة من عدمها أصبح بلا فائدة، ولم يعد يستطيع التمييز والربط بين كلّ ما يسمعه وبين ما كان يعتقده في السابق..

في أحيانٍ قليلة لا ألوم الإعلام بقدر ما ألوم المتلقّي، فالمتلقي يجب أن يميز بين الصحيح والخاطئ، ويجب أن يميّز بين الكذب والتزييف، فالإعلام ليست مسؤوليته أن تفهم، فمسؤوليته الحقيقية هو أن لا تفهم وأن تظل غبيًا وجاهلًا بما يحدث، وتتحول إلى دميةٍ تسمع وتنفذ، وهذه سياسات الإعلام اليوم، فالمتلقّي يجب أن يكون

لديه وعيٌ كبيرٌ وفِكر ناضج يحلل ويفكر ويناقش ويربط بين هذا وذاك، فعقله لم يوجد عبثًا في رأسه؛ بل وُجِدَ لمثل هذه الحالات التي تصل إلى الحدّ الذي تجعلك لم تعد تستطيع التمييز بين الصدق والكذب، فالإعلام اليوم يمشي على خططٍ مدروسةٍ، وليس مجرد برامج تذاع فقط، فهو سلاح بالأفكار يجعلك مقيدًا له وأفكاره وتصبح خادمًا مطيعًا، فالإعلام ليس موجودًا منذ اليوم؛ بل من قديم الأزل، فهو سلاح فتاك يستخدم في الحروب سواء لبث الروح المعنوية أو قتلها في كلا الجانبين اللذين يحاربان في الميدان، أو المدني الذي يذهب إلى عمله كلّ صباح، فكلاهما سيتأثّر بما يسمعه أو يشاهده، ولنا في الآونة الأخيرة دليلٌ وتجربةٌ فيما يحدث في العالم..

لو وجّه الإعلام توجيهًا صحيحًا لوجدنا مجتمعاتٍ متصالحة مع نفسها، ومتحابة مع المجتمعات الأخرى، تتنافس في فعل الخير، لا يشوبها شائب من الحقد والكراهية المقيتة التي عززها الإعلام بكلّ ما يملكه من إمكانياتٍ، وأصبح كلّ مجتمعٍ يريد تدمير المجتمع الآخر، والدولة تسيطر على تلك الدولة، وأصبح التناحر والتقاتل هو السمة وهو النتيجة التي يسعى لها الإعلام، وللأسف الشديد نجح في ذلك إلى حدٍّ بعيدٍ جدًا، فهناك الكثير من المجتمعات الحاقدة والممتلئة بالكراهية لمجتمعٍ آخر؛ ليس لشيءٍ وإنما الإعلام من بدأ الفتنة بينهما.. ومن السهولة توصيل الرسائل عبر الإعلام، ولكن من الصعب أن تضمن أن تلك الرسائل إيجابية ونافعة للمتلقّي.. بالإضافة إلى أنها تصل إلى أشخاصٍ أكثر من المتوقع، لكون وسائل الإعلام لم تعد محدودةً؛ بل أصبحت منتشرةً وتتواجد في كلّ منزلٍ، ولا يخلو أيّ منزلٍ منها..

ويلعب الإعلامُ دورًا مهمًا في حياة الفرد مِن خلال ما يقدّمه؛ بل ويجعله يتقبّل أيّ شيءٍ يشاهده منه.. وليت هذا التأثير يكون في الاتجاه الصحيح، ولكنه العكس من ذلك، يفرّق أكثر مما يجمع، وأصبح يزوّد المتلقي بمفاهيم مغلوطة، وأصبح المتلقي لم يعد يفرق بين ما هو صحيح وما هو خاطئ؛ بل إنّ البعض متناقض، تشاهد شيئًا ما اليوم وتصدّقه، وبعد أقلّ من أسبوعٍ ومن نفس المحطة تسمع نفس البرنامج ينفي ما سمعته الأسبوع الماضي؛ لأنه ليس إعلامًا محايدًا؛ بل أصبح إعلامًا مسيسًا موجّهًا لا يستهدف العقول؛ بل يستهدف الأشخاص لتشويه البعض وابتزاز البعض الآخر.. ومن القبح أن تسمع مِن نفس المحطة أيضًا أنهم مازالوا مصرّين أنهم على حيادٍ.. لا أعرف ما هو تعريفهم للحياد! وإن كان شتم الآخرين وتشويههم حيادًا بالنسبة لهم فلا بأس، فهم يمشون في الاتجاه الصحيح.. إذًا ليس هناك إعلامٌ مُحايدٌ بالمطلق مهما ادّعى ذلك، وإنما

هناك إعلام مسيّس يتم استخدامه وفق أغراض وسياسات المسؤولين عنه، ولا عيب في أن يستخدم شخصٌ أيّ وسائل لصالحه، بل العيب أن تصرّ أنك ما تزال على حيادٍ وأنت تأتي بوجهة نظرٍ واحدةٍ وتترك الأخرى.. الإعلام لم يعُد إعلامًا بالمعنى الذي وُجِدَ مِن أجله؛ بل يجب أن يسمّونه نفاقًا، فالإعلام الحقيقيّ ليس هكذا، فهذا يهدم أكثر مما يبني، ويسمم أفكار المتلقي وعقله، ويجعله أسيرًا له..

الإعلام الحقيقيّ يتّسم بالمصداقية وتصحيح المفاهيم المغلوطة وتنوير الفكر واستفزاز العقل مما يجعله يفكّر ويبحث، والدفع بالمتلقي نحو اتجاهٍ صحيحٍ، وتنمية وصقل مهارات الأطفال من خلال إعطائهم برامج موجهة إليهم تنفعهم ويستفيدوا منها، وليست هدّامةً لهم.. فالإعلام يؤثر في الطفل؛ خصوصًا في هذا العصر، والسبب يعود إلى أن كلّ منزلٍ أصبح يتواجد فيه الإعلام بأيّ وسيلةٍ مِن وسائله؛ مرئيةً كانت أو مسموعة.. وكلّ ما سيشاهده الطفل على الإعلام لن ينساه فيما بعد، وسيطبقه الطفل في وقتٍ لاحقٍ.. من الجيد أن يكون الإعلام إيجابيًا في رسائله التي يوجهها للمتلقّي، و يعي القائمون عليه دوره بشكلٍ صحيحٍ، والعمل على إنشاء محتوىً وتوجيهه نحو المتلقّي بما يفيده، فالإعلام بالمجمل لم يعد يلقي بالًا للمتلقي سوى من ناحية واحدة وهو السيطرة على عقله فقط، وجعله يفكر في اتجاهٍ واحدٍ، ومهما حاول الخروج مما هو فيه؛ فلن يستطيع لأنه منذ مدّةٍ طويلةٍ يستمع لخطابٍ واحدٍ، فأصبح لا يتقبّل أيّ شيءٍ سوى ما يأتي مما يشاهده، وأصبح لا يفرّق بين صوابه وخطأه؛ لأنه بذلك أصبح أسيرًا له، وأصبح هو المتحكم به، فالبرامج الهادفة والمحتوى الجيد لم يعد من أولويات الإعلام اليوم بقدر ما يكون هناك عشرات البرامج المسيسة والتي أصبحت تفرّق وتشتت وتشوّه وتخون، وأصبح القائمون عليها يوزّعون الخيانة على من يريدونَ، والوطنية على من يحبّون؛ ليس لشيءٍ وإنما لأنهم يخالفون توجهاتهم بينما الطرف الآخر وطنيٌّ لأنه في نفس الاتجاه.. وأصبح الإعلام للشتم والسبّ وكَيل الاتهامات لهذا وذاك، فمن يشتم أكثر سيدفع له أكثر، ومن يخون الآخرين أكثر فهو الوطنيّ الوحيد على هذه الأرض.. وأصبح من المستحيل أن تستفيد فائدةً حقيقيةً سوى أن تنحاز لهذا الطرف أو ذاك.. وبذلك نجح الإعلام في دوره كما أراد القائمون عليه في تغيير تفكيرك وجعله مقيدًا لهم لا يخرج عما يريدونه.. ومن الصعب بعد ذلك إقناعك أو تعديل الأفكار التي اعتنقتها لأنك بذلك تعتقد أنّ كل ما سمعته هو الصواب ولا تعرف أنه هو الخطأ بعينه.. لم أرَ أجد منذ معرفتي بوسائل الإعلام ومتابعتي للأحداث إعلامًا ينتقد

الأخطاء بصدقٍ ويشيد بالإنجازات، فكلّ إعلامٍ مُسيَّسٌ وليس للمتابع البسيط أيّ فائدةٍ منه سوى حرق الأعصاب والتعصّب مع هذا الطرف أو ذاك..

فالمحتوى السيئ الذي يُقدّم للمتلقي ليس وحده الكارثة؛ بل والتناقض الذي ينتهجه الإعلام كسياسةٍ وليس مجرّد خبرٍ فقط، فالمتلقّي عندما يشاهد التناقض في الإعلام ويعود إلى نفسه ليفكّر هل ما شاهده صحيحًا؟! هل كلّ ما سمعه كان الصواب؟! ومعَ الأسف؛ وفي أحيانٍ كثيرةً لم يعد يستطيع التفرقة بين الصحيح والخاطئ؛ لقوّة الخطاب الإعلامي الموجه، وأصبح بذلك أحد المخدوعين بالإعلام بعد أن كان لديه عقلٌ يفكّر، وأصبح أسيرًا ومقيدًا له، يستمع ويشاهد فقط، ولا يهمه إن كان صحيحًا أو خاطئًا؛ بل والمشكلة الكبرى أنه وفي أغلب الأحيان يعتقد أنّ كلّ ما يشاهده حقيقة، فالإعلام ليس بطفلٍ صغيرٍ يقدّم محتوىً خاطئًا فنبادر إلى نصحه ونقول له هذا لا يصلح، فالأمور لا تمشي هكذا في الإعلام، بل هو يعرف هذا ويعرف أنه يقوم بشيءٍ خاطئٍ ويستمرّ فيه، فلا شيء يحدث مصادفةً، كلّ شيءٍ محسوبٌ وموجّهٌ نحو المتلقي لغسل عقله وربما لأخذ عقله وجعله بلا عقلٍ يصدّق الإعلام بينما يكذّب واقعه الذي يعيشه، بل وأصبح المتلقّي إعلامًا آخر ينقل كلّ ما يقوله الإعلام، وأصبح هو إعلامًا متنقلًا ينقل وجهات النظر التي يسمعها من الإعلام ظنًا منه أنه بذلك يفكّر، ولكنه لم يعلم أنه أصبح ناطقًا باسم الإعلام الذي يشاهده، يستخدمه كأداةٍ لتحقيق مآربه، فليس هناك شيءٌ يقوله الإعلام من باب المصادفة؛ بل هو موجّهٌ إلى المتلقي وأُنفِقَت عليه الملايين من الدولارات من أجل السيطرة على العقل البشري.. ويتقن الإعلام جميع الوسائل المتاحة من غشٍّ وتزويرٍ وكذبٍ وتدليسٍ وتحريضٍ وخداعٍ من أجل إيصال الرسالة التي يريد إيصالها إلى المتلقي بأسلوبٍ يجعله يتقبله، ولا يفكّر حتى لحظةً واحدةً بأنّه تدليسٌ وملفّقٌ، وليس هناك مفاجأةً أن يقوم الإعلام بهذا العمل المتقن، فهناك خبراء يعملون على هذا ويبذلون كلّ ما بوسعهم من أجل تدمير العقل وجعله خادمًا مطيعًا لهم، فالتأثير على البشر ليس ما تجبره على فعله؛ بل ما يسمعه ويشاهده ويعتقد أنه الصحيح، وهذا ما يفعله الإعلام ويطبّقه بمنتهي الحرفية.. إنه يرتكب جريمةً بحقّ المتلقي والمتابع.. صحيحٌ أنّ هناك بعض البرامج المفيدة التي تُبَثّ في الإعلام، ولكنها لا تمثل ١٪ من البرامج الأخرى غير المفيدة، فمهمة الإعلام ليست ما يفيد المتلقّي؛ بل ما يفسده، ومن يتابع الإعلام اليوم سيعرف ذلك..

****

بناء
شخصية الطفل

الأطفال هم المستقبل القادم إن تم بناؤهم البناء صحيح.. الأطفال هم المستقبل المشرق، هم جيلٌ يجب ألّا يتلوّث بما يحدث، يجب أن لا يحاول الآخرون توسيخهم بالأفكار الهدّامة التي يتبناها الآخرون، فجميعها أفكارٌ لا يجب أن تصل إلى الأطفال، يكفي ما يحدث مع الكبار.. اجعلوهم يعيشون حياتهم التي يريدونها، لا تحاولوا فرض آرائكم عليهم، اجعلوهم يختارون، واجعلوهم يقرّرون وينفّذون، ولكن هذا لا يكون بمعزلٍ عن المراقبة مِن قبل الوالدين.. وجّهه وأعطه النصائح، ولكن إن رأيتَ منهُ شيئًا سيئًا فلا تدعه يستمرّ؛ بل أوقفه وأخبره أنه انحرف عن مساره، راقبه، ولكن لا تقيّده، اعطه مجالًا كي يعتمد على نفسه، كُن كالراعي، ولكن إياك أن تتركه وحيدًا دون مراقبةٍ أو توجيهٍ، فقد تفتك به الذئاب البشرية التي تنتظره في الضفة المقابلة.. كُن أنت أبًا وصديقًا ومعلمًا له، لا تبخل عليه بنصائحك، حتى وإن كُنتَ مشغولًا؛ أعطه من وقتك ولو دقائق، ولا تجعله ينفصل عنك نهائيًا، فلا يراك إلا وقت المناسبات.. اجعل له وقتًا كلّ يومٍ واجعله يقول لكَ ماذا فعلَ وماذا سيفعل بالغد، أشعره أنك مهتمٌّ به، وتعرّف على ما يفعله وما سوف يفعله، كُن أنتَ له المدرسة والجامعة والبيت، لا تتساهل معه في أمورٍ لا تحبّها؛ بل انصحه وقُل لهُ أنه أخطأ حتى لا يكررها ويعرف أنه أخطأ بالفعل، وسترى حينها أنه لن يكرر ما فعله أبدًا ومهما كانت الأسباب، كُن حنونًا معه وكُن قاسيًا أيضًا..

شخصية الطفل تتكون منذُ السنوات الأولى من عمره، وتُبنى من خلال الأسرة، فالأسرة هي المسؤولة عن بناء الطفل منذ اليوم الأول لولادته وحتى السنة الخامسة أو السادسة وقت دخوله إلى المدرسة، فالطفل لا يتعلّم من المدرسة بقدر ما يتعلم من سلوكيات وتوجيهات أسرته خلال سنواته الأولى من العمر، والطفل في هذه المرحلة يتعلّم كلّ شيءٍ من أبويه، فهو يعتبر مُتلقّيًا، فما يتم مشاهدته من قبله يتمّ تطبيقه؛ لا يهمّ إن كان في نفس الوقت أو وقتٍ آخر، الأهم أنها تُحفظ في ذاكرته وسيأتي الوقت المناسب ليقوم بما شاهده؛ سواء أكان سلبًا أو إيجابًا، فالطفل يتعلّم من الملاحظة أكثر من أيّ شيءٍ آخر.. لا أحد يستطيع التأثير في الطفل كما تؤثّر فيه أسرته، فالمحيط الخارجي لا يستطيع تغيير سلوكه أو تعديله بقدر ما تستطيع الأسرة ذلك، فتربية الوالدين هي ما تحدد شخصية وسلوكية الطفل.. والمجتمع ربما يؤثر على الطفل، ولكن بشكلٍ يسيرٍ جدًا وربما لا نحسبه تأثيرًا، وسنعرف السبب؛ فالأسرة هي المسؤولة (كُلّيًا) عن سلوكيات الطفل، فلا أحد يأتي ليقول أنّ المجتمع المحيط هو من يحدد سلوكيات الطفل أو يستطيع التأثير عليه، صحيحٌ أنّ الظروف المحيطة به والتي تمرّ بها أسرته أو الحياة العامة ككلّ تؤثر به، ولكن هذا لا يعني أن المجتمع يؤثّر فيه، فالطفل -وكما قُلت- في سنواته الأولى يتعلّم السلوكيات من الأسرة؛ ليس بالقولِ ولكن بالفعلِ أيضًا بالملاحظة والمشاهدة، فالأسرة هي المسؤولة الوحيدة بتصرفات أبنائها وتتحمّل تبعاتها فيما بعد.. الطفل يتعلّم في ظلّ أسرةٍ ترعاه منذ ولادته وحتى عامه العاشر كحدٍّ أقصى، ولن يستطيع أيّ شخصٍ التأثير فيه أو التعديل على سلوكه؛ لأن كلّ شيءٍ تعلّمه من أسرته حُفِظَ في ذاكرته، ومهما اختلط مع أشخاصٍ سواء أكانوا سيئين أو طيبين فلن يتعلم منهُم شيئًا لأنّ ما أراد تعلّمه قد تعلمه من قبل، فلا نحمل المجتمع وزر السيئين الذين يعيشون فيه، فالأسرة هي المسؤولة على ذلك، والسيئون لن يتواجدوا في المجتمع إذا لم يكن هناك تشجيعٌ لهم من قبل أسرهم، ولن يستطيع أيّ طفلٍ عمل أيّ شيءٍ بدون موافقة أسرته، فالأسرة هي المسؤول الأول والأخير عن تصرفات أبنائها، عندما يرتكب الأطفال الأعمال السيئة في طفولتهم ولا يجدون رادعًا أو موجّهًا أو معلمًا فسيستمرون على هذا الشكل، فإن وجدت الأسرة المثالية والأسرة الصالحة ستربّى أبناءها على ما هي عليه، فإن رأت ابنها يعمل شيئًا سلبيًا ستقول له "هذا غلط"، وبكلّ تأكيدٍ لن تتركه يستمر؛ لأنّ التربية الحسنة تقتضي التوجيه والإرشاد والنصح أيضًا، فالسيئون المتواجدون في المجتمع لم يكونوا سيئين إذا لم يحصلوا على الضوء الأخضر من قبل أسرهم وتحديدًا الأب والأم.. في أحدِ المرات وأنا أمشي في أحدِ الشوارع كان هناك أبٌ وابنه، مررت

من جانبهم والوالد يعلّم ابنه أن يسبّ أحدهم، وكان عمر الطفل تقريبًا خمس إلى ست سنوات، فبدأ الولد يلعن ويسب ذلك الشخص الذي أراده والده وبتعليماتٍ منه! فالأبّ والأم -كما قلتُ- هم المسؤولان المباشران على تصرفات وسلوكيات الأطفال، والمجتمع بريءٌ من كلّ ذلك.. ولو كنا نعقل قليلًا، ولو ربَّى كلّ شخصٍ ابنه تربيةً صحيحةً وسليمةً لما خرج لنا جيلٌ بهذه الشاكلة التي نراها.. صحيح أنها حالاتٌ قليلةٌ، ولكن لو ركزَ والداهم في تربيتهم لما تصرفوا بهذا الشكل، فالأطفال يجب أن يبتعدوا عن مشاكل أسرهم؛ بل يجب على الأبوين أن يبعدوهم عنها؛ لأنهم يتأثرون بذلك وتتأثر شخصياتهم بذلك.. يجب أن تكون الأسرة والأبوين تحديدًا هم الأكثر حرصًا على ابنهم في بناء شخصيته وجعله قائدًا ومؤثرًا في محيطه الخارجي؛ ليس الآن، ولكن على المدى البعيد مِن خلال غرس الثقة فيه، وتوجيهه التوجيه الصحيح، وتعليمه السلوكيات السليمة..

الأبناء أمانة في أعناق آبائهم.. اجعل ابنك يشارك رأيه ويناقش، ولكن في الحدود التي تراها معقولة.. لا تقيّده، ولكن إياك أن تتركه على هواه، انصحه، وجّهه، وازرع فيه الثقة في شخصيته في تفكيره في قراراته، اجعله يرى أن رأيه مهمٌّ من خلال مناقشتك معه.. امنحه الثقة، ولكن راقبه، راقب سلوكياته وأفعاله؛ فإن رأيت منه شيئًا سلبيًا فأعطه النصائح والإرشادات وأخبره أنّ ما يقوم به يجب أن يغيّره، ولا تتساهل معه.. اترك له مساحةً كافيةً للتعبير عن رأيه؛ ليفكّر ويصنع قراره بنفسه، ويتخّذ ما يراه صحيحًا، وإن انحرف عن المسار الذي تريده فلا تنظر إليه فقط؛ بل انصحه ووجّهه وأخبره أنّه يمشي في الاتجاه الخاطئ.. لا تستخدم الأسلوب القاسي كالضرب والصراخ إلا في الحالات التي يصرّ فيها على الغلط رغم تحذيرك له من قبل.. أجبره أن يتوقف على ذلك، امدحه أمام الآخرين وتفاخر به؛ فهذا يجعله شخصًا يثق في نفسه كثيرًا، أعطه أعمالًا ينجزها، وعند انتهائه اشكره على ذلك وأخبره أنّ ما قام به كان عظيمًا.. السنوات الأولى من العمر هي ما تحدد شخصية الطفل، فالأب والأم هم الأشخاص الوحيدون الذين يستطيعون التأثير على الطفل في هذا السن، فكلّ التعليمات والأوامر التي يتلقاها الأطفال في هذا السن سينفذونها في الحال، وأيّ شيءٍ يراه الطفل سواءٌ سلبًا أو إيجابًا سيجرّب أن يعمله بطريقته الآن أو عندما يكبر..

لا تقارن طفلك بأيّ طفلٍ آخر؛ خاصةً أمامه، فهذا يقتل شخصيته، وربما يؤدي إلى نتائج لا يحمد عقباها فيما بعد.. من المهم أن تفتخر بابنك؛ ليس على الخطأ بكلّ تأكيد، ولكن على الصواب، فالتشجيع ينمّي شخصية

الطفل ويجعله واثقًا من نفسه وخصوصًا عندما يأتي التشجيع والتحفيز منك كوالد، ولا تقارن طفلك بأحدِ إخوانه، وتأكد أنّ كلّ طفلٍ لديه شخصيته.. يجب عليك كأبٍ أن تفهم شخصية كلّ ابنٍ من أبنائك، وتدعمه، وتشجّعه، وتنصحه، وتوجهه بناءً على شخصيته فالشخصيات تختلف من شخصٍ لآخر حتى داخل الأسرة الواحدة.. لا تتوقع أن يكون ابنك نسخةً من شخصٍ آخر وتعمل على ذلك، فأنت بذلك تهدم شخصيته الحقيقية التي يريد أن يكون عليها.. اترك له الحرية في اختياراته وفي طريقة حياته، بالإضافة إلى صناعة قراره بنفسه.. اعطه من تجاربك في الحياة، وانصحه ووجّهه، ولكن لا تجبره على فعل شيءٍ لا يريده؛ إلا إذا كان يمشي في الاتجاه الخاطئ.. اجعله يختار مستقبله ويصنع قراراته بنفسه، وكن أنتَ مساعدًا له وناصحًا وموجهًا له، لا تجعله يفعل أشياء بناءً على خوفه منك؛ بل يجب أن يفعل الأشياء بناءً على اختياره هو، وتأكد أنت أنّ هذا الشيء هو الصحيح بالنسبة له ولن يضره.. اجعله يفعل الأشياء على أنها الأشياء الصحيحة وأنها لصالحه، فالطفل لا يعرف مصلحته بقدر أبوه وأمه.. يجب أن يحظى برعايةٍ كاملةٍ من قبل الأبوين، وإرشاده إلى السلوكيات الصحيحة قبل أن يتوجه المدرسة، فالخمس أو الست سنوات الأولى من حياة الطفل هي الأهمّ من ناحية التربية وتكوين شخصيته وتقييم سلوكه، فالملاحظة هي أهمّ أداة لتعليم الطفل في سنواته الأولى، ويجب أن يكون الأبوان حريصين كلّ الحرص على سلوكهما أمام أبنائهم؛ لأنهم سيطبّقون ما شاهدوه يومًا ما، ويجب أن يحرصا أن كلّ ما يشاهده الطفل منهما هو السلوك الحسن والتصرف السليم..

شجّع ابنك عندما ينجح، وعاتبه عندما يخطئ ويفشل.. وعندما يخطئ في أمرٍ ما فلا تعاتبه فقط؛ بل اشرح له لماذا كان خاطئًا، وأخبره ما يجب عليه فعله لتصحيح الأمر حتى يعرف الصحيح ويعرف لماذا أخطأ.. أجعله يخوض تجارب لتكون له نقاط قوة في المستقبل، فنحن نتعلّم من التجارب أكثر من أيّ شيءٍ آخر في الحياة.. حتى الكلام لا ينفع إلّا إذا صار واقعًا، ولكن تأكد أنّ هذه التجارب لن تضره وإن تعلم منها، فالمواقف والملاحظة هي ما تعلّم الطفل، فعندما يرى أباه صادقًا في كلامه أمينًا في تعامله أفضل من عشرات المحاضرات عن الصدق والأمانة، فهو تعلّم مباشرةً من أبويه، فأبواه بالنسبة له قدوة فكلّ ما يراه يفعله سيعود فيما بعد يفعل ما فعله أبوه ولا يفكر حتى إن كان هذا صحيحًا أم خطأً؛ لأنه رأى أباه يفعل ذلك، فتصرفات الآباء أمام أبنائهم يجب أن تكون تصرفاتٍ ذكيّةً وسليمةً من أجل أن يتعلم منها.. وإن رأى عكس ذلك؛ فمن الصعب أن تقنعه أن يفعل الأشياء الصحيحة ويتحلّى بالأخلاق الحسنة والحميدة؛ لأنه رأى والده من قبل

يفعل ذلك وأصبح من الصعب إقناعه بغير ذلك؛ لأنه رأى ما فعله أبواه أمامه، فمن سيصدق حينها؟! ما يسمعه؟ أم ما يراه؟! بكلّ تأكيدٍ لن يصدّق ما يسمعه بل ما رآه بعينه، فيجب أن يكون كلامكما حسنًا بدون ألفاظٍ تخدش الحياء؛ حتى وإن كانت غير موجهةٍ إليه، فيومٌ من الأيام سيصبح في نفس الموقف الذي أنتما فيه، وبدلًا من استخدام كلامٍ جميلٍ للتخاطب سيستخدم أسلوبكما السيء، ومن المهم أن يعي الوالدين أنّ طفلهما بحاجةٍ إلى التحفيز والتشجيع بكلماتٍ مؤثرةٍ تجعله يتذكّرها دائمًا في حياته، ولا ينساها أبدًا مهما تقدّم به العمر، فالكلمة لها تأثيرٌ قويٌّ على الإنسان، فكيف بالطفل عندما يسمعها من أبويه عندما يشيدان به ويتفاخران به أمام الجميع.. ويجب أيضًا أن يكون الوالدان مستمعين جيدين لأبنائهما، ولا يجب أن يقاطعا طفلهما حتى يكمل حديثه، فهُنا تعطي الابن الثقة في التحدث والمناقشة وألّا يظلّ ساكتًا طوال الوقت ولا تعلم ماذا يريد.. اجعله يعبّر عن مشاعره، اجعله يناقش ويحاور، اجعله يستمع ويطرح رأيه في قضيةٍ ما، بادِر كأبٍ باستشارته في أيّ شيءٍ؛ حتى يشعر أنك تشعر بأهميته لديك.. حسّسه بأهميته، واعطه الوقت الكافي ليقول لك رأيه.. ومهما كان لديك من أعمالٍ؛ فلا تغب عن ابنك كثيرًا، فابنك ليس أهمّ من عملك.. لا تجعله يحسّ أن أباه لا يسأل عنه ولا يعرف عنه شيئًا، اذهب إلى المدرسةِ واسأل عنه وادعمه وامدحه وشجّعه أمام الطلاب.. احتفل بنجاحه، وشجّعه للمزيد، فهذا سيعزّز ثقته بنفسه وستكون مصدر الفخر لديه، وسيتفاخر بك بين زملائه في المدرسة.. علّم ابنك أشياء تنفعه فيما بعد، اذهب به إلى حيث تذهب، اجعله يتعلّم ما تقوم به من أعمال.. أعطِه مسألةً ما أو سؤالًا وقل له أن يحلّه؛ فإن حلّه فقبّله واحتضنه وقل له "كنتُ أعرف أنك تستطيع فعل ذلك".. ومهما كان الأمر والحديث بسيطًا؛ فلا تقاطع ابنك، واجعله يتكلّم حتى ينهي حديثه، فإن انتهى من حديثه ابدأ أنت بالحديث، لا تشعره بأنّ ما قاله لا يهمك، امدحه على ما قاله، وشجّعه على ذلك، وليس هذا فحسب؛ بل انظر إليه وهو يتحدّث ليشعر أنك منصتٌ له ومستمعٌ لما يقوله، وافقه في بعض ما يقوله عن طريق رفع الرأس؛ ليشعر أنّك مركّزٌ معه، ويشعر بالفخر بنفسه، فالتربية ليست إعطاء الأبناء ما يريدون فقط؛ بل هي أمرٌ ونهيٌ قولٌ وفعلٌ ومسؤولية وأمانة..

****

العلاقات
بكثرتها؟ أم بمدى تأثيرها؟

العلاقات هي الرابط بين إنسانٍ وآخر، بين دولةٍ وأخرى، بين دولٍ وبعضها البعض.. ليست دائمًا العلاقات جيدة، ولكنها في الأغلب متقلبة.. الحب أسمى العلاقات بين الأشخاصِ حين يكون بلا مصالح أو منافع من الطرف الآخر، والعلاقة بلا اهتمامٍ ستتحول يومًا من الأيام إلى نسيان، فالعلاقات من أُسس بنائها الاهتمام، وإلا فلن تكون هناك علاقةٌ من الأساس.. ليست وحدها العلاقات تنتهي إذا لم يكن هناك اهتمام؛ فحتى الحبّ أيضًا والصداقة.. الاهتمام كالماء الذي يسقى الشجرة لتنمو، ولو لم يوجد الماء لماتت الشجرة، وكذلك الاهتمام لو لم يوجد لما وُجِدَ الحبّ ولا الصداقة.. لا شيء يبني العلاقات الإنسانية غير الاهتمام، ولا شيء يهدمها غير الإهمال، فالاهتمام لا يجب أن يكون بداية العلاقة فقط؛ بل وعلى الدوام، والعلاقات لا يجب أن تُبنى على المصالح؛ بل على الحب والاحترام المتبادل بين الطرفين، وإن كانت غير ذلك فلم تعد علاقةً فقد أصبحت بينك وبين الآخر مصلحةً ومتى ما انتهت المصلحة بينكما انتهت العلاقة.. العلاقات ليس لها تاريخ انتهاء، ولكن نحن من نضع توقيتًا لإنهائها عندما نصل إلى نقطةٍ نهمل فيها علاقتنا بالآخرين.. لا تُقِم علاقاتٍ بالآخرين بناءً على المصالح أو على ما تأخذ، فسيكون مصيرها الفشل منذ البداية، ولا تكن كمن يقول إذا ليس هناك مصالح فليس هناك علاقات، وهذا خطأ؛ فليست دائمًا العلاقات تُبنى على المصالح.. صحيحٌ أنّ الدول تبني العلاقات مع بعضها البعض على هذ الأساس، ولكن علاقتك بالآخرين لا يجب أن تكون كذلك،

ولا يجب أن تدخل المصالح بينهما.. ليست كلّ العلاقات متساوية، فعلاقة الأب والابن تختلف عن أيّ علاقةٍ أخرى، وكلّ شخصٍ لديه حدود في علاقاته مع الآخرين، فعلاقه الرجل بأبنائه تختلف عن علاقته بزملائه في العمل.. والعلاقات لها خصوصيتها ولها تعاملها الخاصّ الذي يختلف من شخصٍ لآخر.. لا تُملِ على الآخرين كيف يعملون وكيف يتصرّفونَ بسبب علاقتك معهم.. هناك حدودٌ لكلّ شخص مرتبط بعلاقته مع الآخرين، متى ما تمّ تجاوزها ستنقطع العلاقة، فليس من حقّك أن تملي عليه أو توجهه كيف يدير حياته أو كيف يتصرّف؛ فهذا غير منطقي، فالعلاقات البشرية تحكمها المبادئ والقيم والحدود أيضًا، فإن تمّ تجاوزها فقد اختلّت العلاقة بين الطرفين، وعاد كلٌّ منهما غريبًا كما كان من قبل.. وكما تريد أن تكون علاقتك مع الآخرين؛ الآخرون يريدون ذلك، فالنفس البشرية متقاربة في الرغبات، فالجميع يريد أن يُحترم من الجميع، ويكون بينهم علاقات ودّ واحترام وإخاء، وليست إصدار أوامر وتحكُّم، فالإنسان خُلِقَ حُرًّا فيما يريده ويفكّر به، فلا تجبر أحدًا على القيام بعملٍ لا يرغب به، فكلّ شخصٍ له الحقّ في أن يختار ما يريده وكيف يفكّر وكيف يعمل.. ومهما كانت علاقتك مع الآخرين فلا تعتقد أنّ لديك الحقّ للتدخل في شؤونهم الداخلية والخاصة وتملي عليهم ما تريده أنتَ وليس ما يريدونه هم.. وما لا تريده لنفسكَ فالآخرون أيضًا لا يريدونه.. لا تحمّل الآخرين أخطاءك التي تقوم بها بسبب علاقتك معهم، كُن شجاعًا وتحمّل أخطاءك أنتَ وتقبّلها، وكُن مسؤولًا عن تصرفاتك وكلامك، وكلّ ما تقوم به.. وعند الخطأ كُن شجاعًا وقُل "نعم؛ لقد أخطأت".. اعترف بالخطأ وعالجه، وإياك أن تحمّله الآخرين..

العلاقات دائمًا تُبنى على المصالح المشتركة، ولكن هذه القاعدة لا يجب أن تسري عليكَ عندما تكون العلاقة بينك وبين صديقك، أو أسرتك، أو أخيك، أو زملائك، فالعلاقة بينكما يجب أن تُبنى بالحبّ والتسامح والاحترام، بالإخاء، بالمبادرة من طرفك.. كُن أنت المبادر، كن أنت من يبدأ في كلّ شيءٍ.. حسسهم أن علاقتك بهم لم تكن من باب الصدفة، واجعلهم لا ينسونها.. اجعلهم كلّما تذكروك تبسّموا لأنك تركتَ فيهم أثرًا لعلاقةٍ وديّةٍ مبنيةٍ على الاحترام المتبادل، علاقةٍ مهما حاول الآخرون تشويهها وقطعها لن يستطيعوا؛ لأنك تعرف مَن هُم، وهُم يعرفون مَن أنت..

العلاقات ليست محصورةً بين فردٍ وآخر؛ بل هي أوسع من ذلك، وتكون بين الدول، ولكن تختلف هُنا عن العلاقات بين فردٍ وآخر فهي تعتمد بشكلٍ أساسيٍّ على المصالح المشتركة، وهذا لا يعني ألّا يبني الإنسان

علاقاتٍ مع الآخرين يستفيد منها، فالعلاقات في الأغلب تخضع للمصالح ولكن ليس دائمًا، وهي ليست بالكثرة؛ بل بتأثيرها ومدى فاعليتها.. قد تجد أحدهم يتفاخر أنّ لديه الكثير من الأصدقاء بينما إن احتاجهم في لحظةٍ معينةٍ فلن يجدهم، وبالمقابل قد يوجد صديقٌ وفيٌّ لأحدهم لا يتركه أبدًا وتلقاه إلى جانبه في كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ ولا يشعر أنه وحيدٌ لأن صديقه إلى جانبهِ، بينما من لديه أصدقاء كثيرون يشعر بأنه وحيدٌ لأنهم لن يأتوا إليه الا عندما يحتاجونه..

العلاقات الحقيقية والقوية لا تنتهي مع مرور الوقت؛ بل تزداد متانتها وقوّتها وتصبح أقوى من ذي قبلٍ بشرط ألّا يتدخل الإهمال، فإن دخل الإهمال في العلاقات ستموتُ حتمًا وتتقطع بها السبل، فلا وصال يتمّ ولا علاقة تستمر، فالإهمال هو السبب الرئيسي لقطع العلاقات البشرية مع بعضهم البعض، وليس الزمن، فالعلاقات ستستمر عشرات السنوات إذا كان هناك اهتمام واحترام متبادل.. حتى معَ أنفسنا؛ يجب أن تكون علاقتنا بها احترام متبادل، وعدم تأنيبها ولومها على كلّ صغيرةٍ وكبيرة.. يجب أن نحسن التعامل مع أنفسنا، فالعلاقة مع أنفسنا هي أهم علاقة؛ فلنتعامل معها بحذرٍ شديد.. الإنسان كائنٌ اجتماعيٌّ يحب التفاعل ويسعى إلى بناء علاقاتٍ مع من حوله، فالعلاقات في أحيانٍ كثيرة تكون ضروريةً لتوطيد التواصل مع الآخرين وفتح قنوات تواصلٍ مَع مَن نعيش معهم وإلى جوارهم، ولا يمكن أن يستغني عنها أبدًا، فضرورية العلاقة تعتمد على مدى احتياجك للآخرين، فكلّما كان احتياجك لهم أكثر بَنَيتَ معهم علاقاتٍ أكثر وسعيتَ إلى استمراريتها.. ليس سهلًا أن تبني علاقاتٍ مَع البعض من البشر؛ ليس لأنها صعوبة، بل لأنّ البشر يختلفون، فشخصيةُ شخصٍ ما تختلفُ عشرات المرات عن شخصيةٍ شخصٍ آخر، وطباعه تختلف وسلوكه أيضًا، فالنفس البشرية معقّدة، ولكن يجب التأكيد على شيءٍ مهمٍّ؛ لا يجب أن نتمسّك بعلاقاتٍ ترهقنا ولا يعبأ بها الطرف الآخر، فالعلاقات التي تأخذ وقتنا في التفكير في مشاكلها المعقدة نتركها ونستريح، فلا تستمر في علاقةٍ تضرّك أكثر مما تنفعك، فالعلاقات تُبنى من الطرفين، ويجب أن يحافظ عليها الطرفان، وإن حصلت مشاكل تؤدي إلى قطع العلاقة فلا يعني هذا أن يتحمّلها طرفٌ واحد؛ بل يجب أن يتحملها الطرفان، فليس من المنطق أن أحافظ على علاقةٍ صاحبها لا يريد ذلك، فالعلاقات الصحيحة والسليمة لا تنتهي مع انتهاء مصلحةٍ ما، ولا يمكن لأيٍّ كان عمل خلافاتٍ بينهما من أجل قطعها، فالعلاقات وإن تقدّم العمر بها تبقى، فليس لها مرحلة انتهاء..

آراؤنا
ليست قُرآنًا

ما العيب إن اكتشفنا أن آراءنا كانت خاطئةً لنتراجع عنها؟! لسنا ملائكةً لا نخطئ؛ بل نحنُ بشرٌ نخطئ ونصيب.. الآراء قابلة للتغيير، فليس ما نقوله يظلّ صحيحًا إلى الأبد، قد يكون صحيحًا لبعض الوقت، ولكن مع مرور الوقت نكتشف أنه كان خاطئًا، أو أنه كان مناسبًا في ذلك الوقت فقط، ولكنه ليس مناسبًا في الوقت الحالي.. لا تتمسك برأيك! اسمع من الآخرين، وقيّم آرائهم، فربما تكون أصوب من رأيك.. لا تكن أنانيًا لا تريد إلا رأيك، فالحياة ليست هكذا، الحياة أخذ وعطاء، فهناك مصيب وهناك مخطئ، ولا تحزن إن اكتشفتَ أن رأيكَ كان خاطئًا ورأي الآخرين كان صوابًا لتتراجع عنه، فأنت هكذا تفعل الصواب.. المحزن أن تكتشف ذلك وتصرّ على أن رأيك ما زال صوابًا.. وليس عيبًا أن تعرف وأنت في منتصف الطريق أنك في الجانب الخطأ وتتراجع، العيب والخطأ أن تستمر في المشيِ وأنت تعرف أنك تمشي في الاتجاه الخاطئ.. ليس هناك شيءٌ ثابتٌ، وكلّ شيءٍ قابل للصواب والخطأ، فليس هناك شيء صحيح دائمًا، وليس هناك شيءٌ خاطئٌ دائمًا.. عبّر عن آرائك بالطريقة التي تراها مناسبة، وتذكّر أن كلامك ليس قُرآنًا؛ فقد تُصيب، وقد تخطئ..

لا يجب أن نقول آراءنا فقط؛ بل يجب أن يكون لدينا حججنا وإثباتاتنا، حتى عندما نعارض أو نتفق مع الآخرين؛ يكون لدينا ما نثبته وما نقدمه للآخرين، فالأمر ليس أن تعارض فقط، بل يجب أن يكون لديك

شيءٌ لتثبته عكس ما يقوله الآخرون، ويكون مقنعًا للجميع.. ليس عيبًا أن يختلف اثنان أو ثلاثة أو حتى مجموعة على رأيٍ واحد، العيب ألّا يكون اختلافًا حضاريًا راقيًا يجعلهم يفكرون في أنفسهم مراتٍ عديدةً فيما طرحه الآخرون.. لا تكُن محايدًا، اعطِ رأيك حتى وإن كان خاطئًا، ليس شرطًا أن يتقبله الآخرون، ولكن تأكّد أنك تتقبله؛ ليس لأنه الصواب، ولكن لتعرف وجهات النظر الأخرى حول رأيك، لتعرف أين يكمن رأيك فيما يتم طرحه.. ولا تعارض إلا ولديك الحجة والبرهان لإثبات عكس ما قِيل..

لكَ أن تتخيّل كيف ستكون الحياة بدون اختلافِ آراء! ستكون حياةً مملةً للغاية، لا شيء فيها سيكون مثيرًا للاهتمام؛ لأن كلّ شيءٍ نفس بعضه، فلا يجب أن تحوّل اختلافك مع أحدهم إلى عداوة، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما أتاه عتبة بن ربيعة الذي أرسلته قريش ليفاوضه ويعرض عليه بعض الشروط التي وضعتها، ومن ضمنها السيادة والمال والعلاج؛ لظنّهم أنه مجنونٌ لأنه يقول الحقّ.. أصغى إليه بدون مقاطعةٍ واستمع له بدون اعتراضٍ حتى انتهى من كلامهِ رغم معرفة الرسول أن ما يقوله ليس صحيحًا، ولكنه أدب التحاور الذي يمتاز به خير البشرية، ولم ينتهِ عند هذا الحدّ فقط؛ بل عند انتهائه قال له الرسول صلى الله عليه وسلم (يا أبا الوليد أفرغت من كلامك؟) هل انتهيت؟! فقال له "نعم"، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم اسمع ما أقوله ورتّل عليه آياتٍ من القرآن الكريم، فأثار فيه ما سمعه من الرسولِ، وعاد إلى قومه بغير الوجه الذي ذهب به.. فالحوار يحتاج إلى استماعٍ جيّدٍ وإلى متحدّثٍ فَطِنٍ لديه الحجج والبراهين التي يقنع بها الطرف الآخر.. احترم عقول الآخرين وفكرهم كما تحبّ أن يحترمك الآخرون.. وحتى إن كُنتَ على صوابٍ ومتأكدًا مما تقوله؛ لا تتسرع في الردّ ظنًا منكَ أنّ ما فكرت به صحيحٌ، بل تريّث واستمع وحاور وناقش حتى تصل إلى النقطة التي تريد طرحها بعد أن تأكدت مِن قوّة طرحها وليس من صوابها فقط، فليس هناك رأيٌ صحيحٌ مائةً بالمائة، فكلّ شخصٍ يُدلي بدلوه، وليس عليك أن تتقبل كلّ ما تسمع، ما عليك هو أن تستمع لكلّ ما يُقال ولا تقاطع، فمن آداب الحوار الإنصات للطرفِ الآخر.. لا تعارض في شيءٍ لستَ مُتأكدًا منه، لبحث عنه حتى تجده، ومن ثمّ يمكنك أن تعارض وأنت واثقٌ مما تودّ قوله، فآداب الحوار أيضًا تقتضي ألّا تعارض في شيءٍ لا تعرف عنه شيئًا؛ بل يجب أن يكون لديك كلّ الدلائل والبراهين التي تجعل الطرف الآخر لا يصدقك فحسب؛ بل ويقتنع بما قلته..

لا تعتقد أن الآخرين سيوافقون في كلّ ما تقوله، وربما في يومٍ من الأيام ستكتشف أنّ ما كنت تعتقده كان خاطئًا؛ فلا تتمسّك برأيك على الدوام.. تأكّد وتيقّن أنّه ليس هناك رأيٌ واحدٌ؛ بل هناك آراء متعددة، فلا تحاول فرض ما تراهُ أنت على الآخرين، فكلّ شخصٍ يرى مِن منظوره الخاصّ، فكلّ شيء قابل للمناقشة والأخذ والردّ.. ومهما اعتقدت أنّ ما تفكر به صحيحٌ؛ هناك شخصٌ آخر يعتقد أنك مخطئ، ولديه ما يثبته.. لا تكن مع قانون الأغبياء "إن لم تكن معي فأنت ضدّي"، بل كُن مع قانون الأذكياء الذين يفكّرون بمنطقٍ "إن اختلفت معي فلا يعني أنّك ضدي؛ بل يعني أن هناك رأيٌ طُرِحَ أفضل مما قلته ويجب الاستماع له"..

يقول الإمام الشافعي: (قولي صوابٌ يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأٌ يحتمل الصواب)، ولا تعتقد أنّ هذا الأمر -أقصد الاختلاف- وُجِدَ هباءً؛ بل وُجِدَ لحكمةٍ يعلمها الله، وإلا لكان الناس شكلًا واحدًا وتفكيرًا واحدًا ولونًا واحدًا وكلامًا واحدًا.

فالاختلاف ليس على مستوى الآراء فقط، ولكن على مستوى العقول والأفكار، فالتفكير يختلفُ مِن شخصٍ لآخر، والعقل يختلف من شخصٍ لآخر، فلا تبرر موقفك تجاه أحدٍ بقولك أنه يختلف معك؛ فالأمر طبيعيٌّ جدًا، لكن الأمر غير الطبيعي هو أنك لم تتقبله، ولو فكّرت قليلًا لوجدت أنك أيضًا تختلف معه، وليس هوَ الوحيد مَن يختلف معك، فكلّ شخصٍ يرى أنه الصحيح والآخر مخطئ، وهذا غير منطقيٍّ، فكلّ شيءٍ قابلٌ للأخذ والردّ.. وليس ضروريًا أن تكون متفقًا مع الآخرين على الدوام، فكلّ شخصٍ له نظرته، وله رأيه في كلّ شيء، ولكن إياك أن تعاديهم لأنهم يختلفون معك، وتذكّر أنّ الآراء قابلة للنقاش، ولو بحثتَ كثيرًا فلن تجد شخصًا يقول لك "رأيي حقيقة خالدة" ولا يمكن تغييره أو التعديل عليه أو حتى مخالفته، فالأمر ليس بهذا الشكل، وليس من المنطقيّ أنّ تعتقد أنّ الآخرين سيؤيدونك في كلّ ما تقوله..

تستطيع أن تعمل أيّ شيءٍ مهما كان بسيطًا أو صعبًا، ولكن ما لا تستطيع فعله هو أن تقنع الجميع على فعله، وكذلك الآراء؛ تستطيع إقناع نفسك برأيك وتراه أنت الصواب والصحيح وأنّ ما يأتي به الآخرون سيكون خطأً مهما كان، ولكن لا تستطيع إقناع الجميع بذلك.. قد تُقنع البعض، ولكنّك لن تستطيع إقناع الجميع.. ليس شرطًا أن كلّ ما تقوله سيعجب الآخرين، فمن النادر أن تجد شخصًا يؤيدك في أغلب الأشياء، ولكن تأكد أنّه لن يؤيدك في كلّ شيء.. لا تعتقد أنّ من يخالفك لا يريد أن يسمع رأيك، فربما لديه تجارب أكثر منك، وقد يكون كلامه صحيحًا، فلماذا تعارض كلّ شيءٍ؟! فليس كلّ ما تقوله صحيحًا وليس كلّ ما يقوله

الآخرون خطأ.. قد تلقى وجهات نظرٍ كثيرة في موضوعٍ واحد، فتعدد وجهات النظر يسهم في تصحيح الآراء وتقويمها، فعندما تعطي رأيًا والآخر يعطي رأيًا والآخر يعطي رأيًا تجتمع الآراء لتشكّل رأيًا واحدًا قد يتفق عليه الجميع ويكون محلّ إجماعٍ ويقبل به الجميع.. هذا الأمر لا يحدث دائمًا؛ بل عندما يكون أصحاب الآراء واعين وكلٌّ منهم متقبّل للآخر، بالإضافة إلى كون ما تمّ طرحه واقعيًا..

لا بأس أن تعترف أن رأيكَ كان خاطئا، أو أنّ حجتك كانت ضعيفة، ولكن غير المنطقي أن تصرّ على فرضهِ وأنت تعرف ذلك.. في النهايةِ نحنُ بشرٌ، والبشر يخطئون، ولسنا معصومين من الخطأ.. تقبّل النصح من الآخرين والانتقاد أيضًا، فهذا قد يساعدك في حياتك، ولا تعتبره إذلالًا لك؛ فمن يعطيك نصيحةً تأكد أنه خاض ضمارًا ما، فهو ينصحك من تجربة.. لا تحوّل كلّ من يخالفك إلى عدوٍ لديك؛ بل اشكره جدًا على أنه خالفك فيما تطرحه حتى تعرف منه السبب لذلك، وتعرف وجهة نظره، فربما تكون وجهة نظره مقبولةً وصحيحةً وتستفيد منه.. لا تكن أصمّ الأذنين عن آراء الآخرين بينما تريد منهم أن يستمعوا لك، لا تكُن متناقضًا مع نفسك، بل كُن عادلًا معها، فليس كلّ ما نفكر به أو نقوله من آراءٍ ووجهات نظرٍ تكون في النهاية صحيحة.. أحيانًا تكون خاطئةً، فالحوار الناجح هو ما يؤدي في النهاية إلى تقبّل الآخرين لآراء بعضهم البعض رغم معارضتهم لها من قبل..

الآراء تحتاج لفهمٍ أعمق مِن تقبّلها، فليس كلّ رأيٍ نتقبله ونرى أنه الصحيح؛ بل يجب أن يخضع للمراجعة والتدقيق ومعرفة صوابه من خطئه.. لا تكن معَ ذلك الفريق الذي يعارض ولا يتّفق، ويعارض أيّ شيءٍ يتم طرحه، وإن سألته عن السببِ لا يعرف، وإن سألته عن تصويبِ ما تم طرحة فهو لا يعرف أيضًا، فهو وُجِدَ ليعارض فقط.. كُن رحب الصدر لأيّ رأيٍ أو فكرةٍ تُطرَح.. كن مستمعًا جيدًا، بعيدًا عن التعصّب، متقبلًا للرأي.. استمع أكثر مما تتكلم، لا تجعل الآخرين يوافقونك في كلّ شيء؛ بل افرح أنّ هناك أشخاصًا آخرين يخالفونك في الرأي.. خذ برأي من يخالفك واستمع له، وستعرف حينها أشياء لم تكن تعرفها.. لا تفرح لمن يجاملك على الدوام ويوافقك في كلّ ما تفعله، وستكتشف يومًا من الأيام أنك أخطأتَ ولا أحد قال لكَ ذلك.. تأكد أنّ كل من سيخالفك لن يضرّك في شيءٍ، ولكنه سيفيدك؛ لأنه سيضيفُ لك معلومات لم تكن تعلمها، ويفتح لك آفاقًا للمعرفة والبحث لم تكن تعرف بها، ويجعلك تنظر إلى نفسك بفخرٍ لأنّ هناك شخصًا أبدى رأيه فيما تقوله.. ليس الكلّ يفعل ذلك، ولكن لتكن أنت الوحيد الذي يفعل ذلك.. الآراء الأخرى

التي تسمعها هي تجارب الآخرين.. صحيحٌ أنّ الإنسان بطبعه يريد للآخرين أن يستمعوا له، ويريد أن يفرض رأيه على الآخرين؛ حتى وإن كان بقوّةٍ لأنه يريد أن يكون رأيه هو الصائب مِن بين كل الآراء الأخرى، ففي هذه النقطة تحديدًا أعطى نفسه الحقّ في تصويب رأيه بدون أن يعطي الآخرين حقّ التحدث أو إبداء الآراء، وجعل نفسه الرأي الأوحد حتى وإن كان خاطئًا.. يجب أن نستمع ونناقش ونحاور ونقيّم، ولا يجب أن يتمسّك كلّ شخصٍ برأيه، فلن يكون للحديث مذاقٌ إذا لم يبدِ الآخرون آراءهم حوله.. فنّد وأثبت، ناقش وحاور.. لا أعرف كيف ستكون حياة البشر إذا لم يُخلقوا مختلفين، ولكنني متأكدٌ أنّه لو كانت كذلك لما وصل العالم إلى ما وصل إليه اليوم؛ لأنّ كلّ شخصٍ لديه نظرة مختلفة وتفكير مختلف.. وحتى مستويات التفكير تختلف من شخصٍ إلى آخر، فالاختلاف نعمة.. وماذا لو كان عكس ذلك؟! لو خلقنا بتفكيرٍ وعقليةٍ واحدةٍ لم يكن العالم اليوم بما وصل إليه من تقدّمٍ وتطوّرٍ، ولم يخطُ خطوةً واحدةً نحو هذا الإعجاز الذي نشاهده.. الاختلاف جعلَ كلًّا مِنّا يفكّر على طريقته، ونتيجةً لاختلاف الأفكار والعقول ذاك صنع سيارةً، وذاك صنع طائرةً، وذاك صنع سفينةً، وذاك باخرةً، وذاك كمبيوترًا، فكلّ شخصٍ كان تفكيره مختلفًا عن الآخر ففكّر كلٌّ بطريقته الخاصة وأوجد الحلول لمشكلةٍ واجهته، وحاول جاهدًا إيجاد الحلول حتى وصل كلّ منهم إلى هذه النتائج.. والكثير من الأشياء التي جعلت العالم اليوم عالم السرعة إنما هي ناتجة عن الاختلاف، فلو كانوا ذوي تفكيرٍ واحد لصنعوا شيئًا واحدًا وامتلأ به العالم، ولكنها نعمة الاختلاف..

قد يعارضك البعض أو يختلف معك في أمورٍ يجهلها أو لا يعرف عنها الكثير، ولكن بمجرد أن تتعمّق في طرح فكرتكَ يفهمها، ويعرف أنه كان مخطئًا أو جاهلًا لبعض الأمور، فالبعض يحتاجُ فقط إلى أن يفهم، وليس كلّ من يعارض أو يختلف معكَ يريدُ بذلك شرًا أو أن يظهرك في موقع الضعيف؛ بل قد يريد أن يفهم بعض الأمور التي ما زالت غير مفهومةٍ بالنسبة له.. البعض يقول "أقنعني بالأدلة والإثباتاتِ حتى أغيّر رأيي فيما قُلته، فما زال لديّ لبس فيما تطرحه"، وهذا أسلوب العقلاء، فليس الجميع يفعل ذلك.. الحوار ليس أن تتكلم وأنا أعارض أو العكس، الحوار أن أستمع لكَ، ومن ثمّ تستمع لي، ومن ثم نتفق على الأشياء المشتركة فيما طرحناه.. أحيانًا ما تطرحه يكون محلَّ شكٍّ لديك ولم تكن متأكدًا منه بالشكل الذي تستطيع أن تدافع عنه بالشكل الصحيح، فيأتيك رأيٌ من أحدهم يبعد عنكَ الشكوك التي كانت تحوم حول فكرتك أو رأيك وأصبحتَ متأكدًا من كلّ ما تقوله بعد أن استمعت للآخرين.. لا تتمسك برأيك مهما كُنتَ متأكدًا من صحته،

وأعطِ الآخرين فرصةً لإبداء رأيهم حول ما تقوله.. ليس شرطًا أن تتقبل كلّ ما تسمعه مِن الآخرين، ولكن يجب أن تستمع لهم وتكون مستمعًا جيدًا، ولا تقاطع حتى يكمل الآخر فكرته، ولكن ليس فرضًا عليك أن تتقبلها..

هناك قصه ظريفة حول هذا الموضوع: يُحكى أنّ هناك ثلاثة من العميان دخلوا إلى غرفةٍ بها فيل، وطُلِبَ منهم أن يكتشفوا ما هو الفيل، شكله، حجمه، وهيأته.. بدأوا في تحسس الفيل، وبعد أن أكملوا خَرَج كلٌّ منهم ليبدأ في الوصف، فقال الأوّل: "الفيل هو أربعة أعمدة على الأرض"، وقال الثاني: "الفيل يشبه الثعبان تمامًا"، وقال الثالث: "الفيل يشبه المكنسة"، وحين وجدوا أنهم مختلفون بدأوا في الشجار، وتمسّك كلٌّ مِنهُم برأيه، وراحوا يتجادلون ويتّهم كلّ منهم الآخر بأنه كاذب ومخادع.. في الحقيقةِ إن جميعهم على صواب، ولكن من وجهة نظره هوَ فقط، ولكن الحقيقة ناقصة.. سأقول لكم لماذا: الشخص الأول أمسك بأرجل الفيل، والشخص الثاني بخرطومه، والشخص الثالث بذيله..

إذن يتّضح من القصة أنّ الحقيقة لها عدّة آراء ولا يجب أن يتمسك أحدٌ برأيه.. ولو عُدنا إلى القصة لوجدنا أنّ الجميع تمسّك برأيه ورأى أنه الصحيح.. بالفعلِ؛ هو صحيحٌ، ولكن الحقيقة التي يمتلكها ناقصة؛ لأنه أمسك بجزءٍ مِنها وليس كلّها، وكما قلتُ يجب أن نسمع إلى جميع الآراء حتى وإن كانت تخالفنا لتتضح لنا الرؤية كاملة.. ونستنتج أيضًا من القصةِ أنّ من يخالفنا لا يجب أن نخوّنه؛ بل يجب أن نسمع منه وألّا نطلق الأحكام قبل أن نفهم الموقف كُليًّا، فما تراه أنتَ قد لا يراه الآخرون والعكس، ومعَ هذا يجب أن نسمع للجميعِ، ونجعل قلوبنا رحبةً وواسعةً للآخرين مع اختلاف آرائهم، فلن نعرف الحقيقة كاملةً إذا لم ننظر إلى الجميع ونسمع منهم، فرأيُ الواحد ليسَ مكتمل الصورة..

****

حق
الآباء على أبنائهم

الآباء لهم حقّ علينا؛ ليس قليلًا كما نتصور، ولكن كبير إلى الحدّ الذي مهما فعلنا لا نستطيع أن نجازيهم.. الأب هو الذي ذهب شرقًا وغربًا من أجل إسعادك وإعطائك ما تريد من أجل أن تدرس وتتعلم، الأب هو الذي جعل حياته كلّها خدمةً لك وكرّس عمله عونًا ومساعدةً لكَ من أجل أن تنجح وتصبح يومًا من الأيام الشخص الذي تريده.. الأب هو الذي بكى يومًا من الأيام لأنه لم يستطِع أن يعطيك مصروفك المدرسيّ، ولكن تأكد وتيقن أن لوكان باستطاعته أن يعطيك نجمةً من السماء لفعل.. الأب هو الذي يكدّ ويعمل ويشقى ويتحمّل الصعاب ليس من أجله؛ بل من أجلكَ ليراك وقد صرت الشخص الذي كنتَ تخبره وأنت صغير بأنك ستكون عليه عندما تكبر..

الوالدين نعمة من نعم الله على الأبناءِ.. وليس علينا طاعتهم فحسب؛ بل يجب علينا أيضًا الامتثال لأوامرهم والاستماع لهم، فالأبّ هو القدوة الحسنة الذي يتعلّم منه أبناؤه السلوكيات الحسنة والأفعال الصحيحة، وهو مصدر القوّة لهم، والحامي والمدافع عنهم، وفي نفس الوقت يعطف عليهم ويربّيهم التربية الحسنة.. الأب هو الذي يُلبّي كلّ احتياجات الأسرة من مأكل ومشرب وملبس، وكلّ ما تطلبه الأسرة لا يتوانى لحظةً واحدةً في توفيره مهما كان، فالأسرة تكون قويةً بوجوده، فهو السند والحامي لها، يفعل المستحيلات من أجلها.. والأم

هي الأخرى لا يقلّ شأنها عن شأن الأب، فهي من تهتم بالأبناء وتربّيهم وتكون بمثابة الرجل في البيت في غياب زوجها، تتحمل الكثير من الألم والتعب منذُ حملها حتى ولادتها، تهتمّ بالطفل وترعاه وتحافظ عليه وتعتني به..

فضل الوالدين على الأبناء لا يمكن إنكاره أو تجاهله، فالأب هو مَن يوفر الاحتياجات الأساسية من مأكل ومشرب، بينما الأم تهتم بالرعاية والاهتمام بالأبناء، وتكون مسؤولةً عن التربية، وإن كان الأب يشترك في ذلك، ولكن ليس كما هي الأم.. ويعود إلى انشغاله الدائم بالعمل وتوفير احتياجات البيت، فحياة الأبناء تقوم على أكتاف الآباء، فمهما كبر الإنسان وأصبح مستقلًا في حياته فلا بدّ أن يعود إلى أبويه ليحسّ بحنانهما وحبهما، فلا أحد يشعر بفضل الوالدين في حياته إلا مَن يرى الآخرين الذين فقدوا والديهم.. تكفي السنوات الأولى من حياة الإنسان ليتذكّر فضل الوالدين عليه وكيف كانوا يتعاملون معه وكيف كانوا يرعونه ويهتمون به، ويحافظون عليه من أيّ مكروهٍ؛ ليتذكّر ذلك عمره كلّه.. وعندما يكبر الإنسان يفعل الوالدين كلّ شيءٍ من أجل إسعاده ومساعدته فيما يريد، فينفقون عليه من أجل تدريسه وتعليمه ليكون القدوة لهم، ولكنّ الحياة قد تفرض على الوالدين خياراتٍ لا يُحسدون عليها، فيشعر الابن أنهما تركاه، ولكنه لا يعلم أنهم فعلوا المستحيلات من أجله ولو باستطاعتهم المزيد ليفعلوه لما تأخروا، ولكن الحياة جعلتهم مقيّدين بقيودها التي لا ترحم أحدًا.. وتأكد -أيها الإنسان- أنّ الوالدين يريدان لك الخير، وليس هناك أيّ والدين يريدون غير ذلك لأبنائهم مهما كان عاقًا لهم، فمن المستحيلات أن تجد والدين لا يدعمان ابنهما ويساعدانه في الوصول إلى ما يريد ويبذلان الغالي والنفيس في سبيل تعليمه ونجاحه ليحقق طموحه ويحقق أهدافه.. تأكد -أيها الإنسان- أنّ والديك يريدان لكَ أن تكون أفضل منهما، ولم يقفوا عند هذا فقط؛ بل ويدعمونك لتكون كذلك، وليس مجرّد أمنية فقط.. وتأكد أيضًا أنه مهمًا فعلت لهما وخدمتهما ورعيتهما فإنك لن تستطيع الإيفاء بحقّهما طوال عمرك، فحقهما كبيرٌ ولا يمكن الإيفاء به كما يجب.. وستتذكر هذا عندما يكون لديك أطفالٌ، وستعرف حينها كيف تكون المعاناة مع التربية، والخوف على الطفل الصغير من أيّ مكروهٍ يمسه وتوفير الاحتياجات الأساسية له..

تأكد أنّ كلّ سعادةٍ وفرحةٍ مررت بها في حياتك كان والداك سببًا فيها.. لا تنتظر لوفاتهما لتقول حينها "لو كانا موجودين لصرتُ خادمًا لهما"، برّهما من الآن حتى لا تندم فيما بعد، فالكثير نشاهده يبدي حزنه لمفارقته

لوالديه ويقول لو كانا على قيد الحياة لفعل المستحيلات من أجل إسعادهما، ولكن حتى لو عادا إلى الحياة لكان تعامله نفس ما تعامل معهما في السابق، ولا يمكن أن يصبر عليهما لأنهما كبرا في السنّ، كما كانا يهتمان به ويرعيانه عندما كان صغيرًا.. خمس عشر سنة إن لم تكن أكثر من الرعاية والاهتمام قبل أن يهتم بالقليل من شؤونه وأصبح مسؤولًا عنها، فالأب والأم هما اللبنة الأساسية في المجتمع، وهما الأساس في تربية الطفل وغرس الأخلاقيات والسلوكيات الحسنة فيه، وتعليمه التعليم الصحيح، وتوجيهه التوجيه الحسن، والإمساك بيده حتى إيصاله إلى برّ الأمان.. وحتى إن كبر؛ سيظل الأبوان يدعمانه بالنصائح والتوجيهات التي يريدها ويحتاجها خلال مسيرة حياته، فلا يمكن أن يتخلّى الأبوان عن ابنهما مهما كبر وعلت مكانته وشأنه؛ فهو يظلّ صغيرًا بنظرهما ويحتاج إلى الدعم والتوجيه مهما كبر سنه.. وطاعة الوالدين ليست فرضًا على الأبناء فقط؛ بل واجبة عليهما، وبر الوالدين وطاعتهما هي أقصى درجات الإحسان، فقد قرن الله سبحانه وتعالى طاعتهما والإحسان إليهما بعبادته قال تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أو كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أف وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء – ٣٣]، فمهما كبر الوالدين لا يجب أن نتأفف منهما، ويجب علينا أن نعرف كم عانيا في تربيتنا، فطاعة الوالدين موصلة إلى الجنة، وهي من أحبّ الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى؛ كما جاء في حديث عبد الرحمن عبد الله بن مسعود قال: (سألتُ النبي أيّ العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلتُ: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله) [متفق عليه].

****

الإنسان
بين حاجاته ورغباته.. أيهما أولى؟

في كلّ مراحل الحياة التي يمر بها الإنسان منذ ولادته وحتى آخر أيام حياته؛ يكون له احتياجاتٌ لا يمكن العيش بدونها، ولديه رغبات لا يمكن الاستغناء عنها.. الأمر ليس مقتصرًا على الأكل والشرب فقط؛ بل والعطف والحنان والأمان والجنس والاهتمام، ففي مراحل الإنسان الأولى يحتاج إلى العطف والحنان والرعاية والاهتمام مِن الأبوين، ولكن مع تقدّمه في العمر تختلف هذه الاحتياجات، إذ يرغب في الزواج والإنجاب والمشورة من الوالدين والعمل، ومعَ تقدمه أكثر في العمر تختلف الاحتياجات، ومعَ ذلك؛ فهناك احتياجات لا يمكن الاستغناء عنها في جميع مراحل حياة الإنسان؛ كالأكل والشرب والأمان، فالمأكل والمشرب أساسيان للبقاء على قيد الحياة، والأمان للحفاظ على الحياة، فلا يمكن الاستغناء عن واحدٍ من هؤلاء الثلاثة، فإن لم يجد الأمن ستموت الحياة، فالأمن مِن الأساسيات التي لا يمكن لأيّ إنسانٍ أن يعيش بدونها، يقول الله سبحانه وتعالى في القران الكريم في آخر سورة قريش ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾، فبعد أن يشبع الإنسان يبحث عن الأمان، وإن تحقق الأمان يبحث عن حاجاتٍ أخرى..

هناك فرقُ بين الرغبة وبين الاحتياج، فالرغبة هي ما يريده الإنسان مِن تحقيقٍ لأحلامه وطموحاته من العيش الكريم والزواج بالفتاة التي يتخيلها وإنجاب الأبناء وتربيتهم التربية التي يريدها، بالإضافة إلى رغبته في السفر حول العالم والعيش كما يريد والتمتع بما يحبّ، ولكن في الأغلب لا تتحقق الرغبات كلّها؛ بل قد لا

يصل إلا للبعض منها، ليس لأن الإنسان لا يريد؛ بل لأنه لا يستطيع، فهو محكومٌ بواقعه، فليس كلّ ما يرغب به يتحقق.. بينما الاحتياجات تختلف عن الرغبة؛ تصبح ملحّةً وإن لم يحصل عليها ستفنى حياته، فالماء من أساسيات الحياة، فإذا لم يجده الإنسان سيموت عطشًا لامحالة، والأكل كذلكَ بالإضافة إلى الأمان، والجنس ليس حاجةً بقدر ما هو رغبة، ولذلك قد تجد الكثير من الأشخاص لم يتزوجوا، وفي حالاتٍ قليلةٍ يكون حاجةً لاستمرار السلالة البشرية، فالأمر مختلف كثيرًا بين الرغبة والحاجة، فالحاجة لا يستطيع الإنسان التخلّي عنها مهما عمل؛ لأنها مرتبطة بحياته ارتباطًا وثيقًا، بينما الرغبة يستطيع الإنسان التخلّي عنها؛ لأنها ليست مرتبطةً بحياته مباشرةً، وليست تهديدًا مباشرًا له.. قد يكون لدية رغبةٌ، ولكنه لا يستطيع الوصول إليها، وأحيانًا يصل إليها، ولكنها ليست بذات الأهمية كما هي الحاجة.

فالإنسان لا يبحث عن رغباته بقدر ما يبحث في الأوّلِ عن حاجاته التي تبقيه على قيد الحياة.. فالحاجة إن لم يسعَ لها سيفنى وتنتهي حياته.. فالجنس لا يحتاجه الإنسان منذ صغره؛ بل عند بلوغه، ولذلك يعتبر رغبةً وليس حاجةً.. فالحاجة هي الماء والطعام والأمان الذي لا يستطيع الإنسان التخلّي عنهما منذ ولادته حتى وفاته، ومن المستحيلات أن يتخلّى عنها لأيّ سببٍ من الأسباب مهما كانت.. وهناك احتياجات أخرى يحتاجها الإنسان؛ فهو يحتاج إلى الحبّ، إلى العطف والحنان والاهتمام والتقدير، ولكنها ليست مهمّةً بالنسبة لوجوده، ولكنه يريدها ولا يستغني عنها، فهذه الاحتياجات ضرورية لتشعره بوجوده وحبّ الآخرين له وتقديرهم له، فالطفل إن لم يشعر بحبٍّ وعاطفةِ الأبوين له سيشعر أنه منبوذٌ منهما؛ بل ويبدأ في التشكيك بوالديه بأنهما لا يحبانه أو أنهما لا يشعرونه بأهميته بينهما كابنٍ لهما وليس كأيّ شخصٍ آخر.. وعندما يكبر هذ الطفل يحتاج إلى التشجيع من والديه عند نجاحه في المدرسة، بل إن النجاح والتفوّق يعتبر رغبةً لدى الطالب لإثبات جدارته ويثق بنفسه.. فالإنسان مهما كان كبيرًا أو صغيرًا لديه حاجات ورغبات، فحاجاته لا يمكن الاستغناء عنها بينما الرغبات يسعى إلى الوصول إليها.. فالزواج صعبٌ؛ خصوصًا هذه الأيام مع ارتفاع الأسعار وتكاليفه العالية، ولكن القليل مَن يسعى إليه ويعمل بكلّ طاقته وجهده للحصول على رغبته في الجنس مهما كلّفه الأمر؛ لأنه بذلك حصل على المال، وقبل المال أمن على حياته واستطاع أن يوفر العيش الذي يريده، وبهذا لم يقف عند هذا الحدّ؛ بل رغب في الزواج والإنجاب، وفي مرحلةٍ معيّنةٍ من حياته سيبحث عن رغباتٍ أخرى؛ لأنه حقق الأولى.. والبعض لا يستطيع أن يتزوّج للمصاريف الكثيرة والتكاليف المرتفعة،

ولذلك تعتبر رغبةً وليس حاجة، ولو كانت رغبةً لكانت مرتبطةً بالإنسان منذ ولادته حتى وفاته، بينما الرغبة تأتي للإنسان ليسَ دفعةً واحدةً، ولكن على مراحل مِن مراحل عمره، ومتى ما حقق الإنسان وأمّن احتياجاته سعى نحو رغباته لتحقيقها؛ لأنها تضيف لحياته معنىً وتشعره بوجوده في هذه الحياة.. والإنسان لن يموت إذا لم يتزوّج، ولكنه سيموت حتمًا إذا لم يأكل أو يشرب، وهنا يكمن الفرق بين رغبات الإنسان واحتياجاته.. الإنسان يسعى دائمًا للحصول على احتياجاته بشتّى الوسائل والطرق الممكنةِ مِن مأكلٍ ومشربٍ ومأمنٍ، وقد يقاتل من أجلها إن كان هناك أحدٌ ينازعه عليها، فإن تحقق له ذلك بدأ بالبحث عن رغباته التي يريدها، ومعَ ذلك لا يبحث عنها قبل أن يؤمّن احتياجاته، فاحتياجاته بالنسبة له هي أولوية، فليس كلّ إنسان يسعى إلى رغباته، ولكن كلّ إنسان يسعى إلى احتياجاته، فيعمل ويجدّ ويجتهد للحصول على المال الذي يبقيه على قيد الحياة؛ ليوفّر لأسرته القوت الضروري.. والبعض -وربما الأغلب- لا يصل إلى رغباته؛ بل يظل يسعى إلى سدّ احتياجاته من مأكلٍ ومشربٍ حتى وفاته، ولا يعيش كما يريد، فالحياة السعيدة لن تكون سعيدةً إلّا بتحقيق الرغبات، فإن لم تتحقق فليست حياةً، فالعمل يعتبر حاجةً ملحّةً مرتبطةً بالبقاء على قيد الحياة، فإذا لم يعمل الإنسان ستنتهي حياته، وإلا كيف سيجني المال ويوفّر المصاريف اليومية؟! فالعمل حاجة ضرورية مرتبطة بحياة الإنسان..

رغبة الإنسان في التطوّر وكسب مهاراتٍ جديدةٍ واكتساب أشياء جديدةٍ أكثر من حاجته إليها؛ لأنه بذلك يريد أن يثبت لنفسه أنه يستطيع عمل ما شاء، ويريد أن يثبت للآخرين ماذا يستطيع أن يفعل، فالرغبة عندما تكون ملحّةً وعاجلةً لا يستطيع الإنسان الانتظار حتى يعملها؛ بل يعمل بكلّ الوسائل لتحقيقها، فالارتقاء في العمل رغبةً في الوصول إلى منصبٍ أعلى والحصول على صلاحياتٍ أقوى مما كان عليه في المنصب السابق، فعندما تتحقق له الرغبات كما يريد يسعى إلى رغباتٍ أخرى؛ ليس لأنها ضروريةً بالنسبة له، ولكنه يرى بأنه يجب أن يحصل عليها، فلا يمكث طويلًا حتى الحصول على كلّ رغباته، فالإنسان بلا رغباتٍ كجسدٍ بلا روح.. وإنسانٌ لا تحركه رغباته للتطوّر والتفوق والحصول على المزيد مما يحتاجه فليس بإنسان.. فالبعض تكون رغبته كبيرة في الجاه والسلطة، فيسعى لها مهما كلّفه الأمر؛ ليس لأنها احتياجٌ ضروريٌّ، بل رغبة.. ورغبة الإنسان في الإنجاب تكون من أجل أن يحمل أبناؤه اسمه ويرثونه، فالإنسان تحرّكه رغباته ليس أكثر مما تحركه احتياجاته، ولكن إن حصل على احتياجاته الأساسية بحث عن رغباته التي تجعل حياته أكثر رفاهيةً

وسعادةً، فالإنسان لا يسعى إلى الرغباتِ قبل أن يؤمّن الاحتياجات.. فكيف برغبةٍ يسعى إليها بينما حاجته للأكل قد تؤدي بها إلى الوفاة إذا لم يحصل عليها!

والإنسان يحتاج إلى التشجيع، ولكنه ليس حاجةً أساسيةً؛ بل حاجةً معنويةً له تجعله يعتزّ ويفخر ويشعر أنه محلّ تقدير مِن الآخرين، وأن الآخرين يشعرون بوجوده وبما يفعله.. والتشجيع قد يكون من الأهل عند النجاح في الجامعة أو المدرسة، أو في العمل من الزملاء، أو مِن أصدقائه، فالإنسان كائنٌ شعوريٌّ يشعر ويتألم ويحس ويحزن ويفرح، ولو لم يكن يمتلك هذه الصفات لكان كباقي الحيوانات، وإن كانت بعض الصفات تجدها في بعض الحيوانات كحزن إحداها على أبنائها أو شعورها بخطرٍ ما يقترب منها.. صحيحٌ قد تراهُ ظاهرًا عليها، ولكنها لا تستطيع التعبير عنه بالكلام، بينما الإنسان يفعل..

إنّ الاحتياجات ليست حكرًا على البشر، فحتى الحيوانات إذا لم تحصل عليها ستموت، فالماء والأكل ضروريان بالإضافة إلى الأمان أيضًا للحفاظ على سلالتها مِن الحيوانات المفترسة، وإلا فسوف تنقرض، فالاحتياجات مشتركةٌ ولا يمكن الاستغناء عنها سواء من البشر أو الحيوانات، فالحيوانات تسافر آلاف الكيلومترات لحاجتها إلى الماء أو الأكل، ولو ظلّت مكانها وقت الشدّة لما عاشت، فحاجتها للعيش هي ما تدفعها للبحث عن وسائل الحياة، لا يهم كيف تحصل عليها بقدر ما يهم أين تجدها، فحاجتها للبقاء تدفعها إلى السفر بحثًا عن حياةٍ تعيشها ولو في مكانٍ آخر..

****

المعلم
بين التربية والتعليم

المدرسة هي ثاني محطة للتعلّم والتربية بعد الأسرة، فالمدرسة ليست مهمتها تلقين الطالب فقط؛ بل تعليمه الأخلاقيات والسلوكيات الحميدة أيضًا، وتقويم السلوك الانحرافيّ الذي يتمتع به البعض، وإرجاعه إلى طريق الصواب.. فالمدرس في المدرسة مهمته تتطلب أن يكون أبًا ومعلمًا، قاسيًا وحنونًا، أخًا وزميلًا، أبًا حريصًا على أبنائه ومعلمًا حريصًا على تلاميذه من الضياع والانحراف.. ومن يمتهن مهنة التعليم يجب أن يكون عند حسن المسؤولية ويتمتع بأخلاقياتٍ عاليةٍ وصبرٍ لا حدود له؛ ليستطيع السيطرة على الطلاب والتأثير عليهم التأثير الإيجابي، فالمعلم ليست مهمته تلقين الطالب ما هو موجود في الكتاب المدرسي فقط؛ بل إعطائه مساحةً للتعبير عن آرائه بالصورة التي تجعله يثق في نفسه كثيرًا ليشعر بذاته، وفي نفس الوقت يعلّمه كيفية الإصغاء للرأي الآخر.. فالتحدث والاستماع لكلّ منهما ضوابط خاصة، فالمدرس له كامل الحرية فيما يتعلق بالطالب، ولكن لا يجب أن يستخدمها في الجانب السلبيّ، ويجب أن يكون مسؤولًا عن كلّ قولٍ أو فعلٍ تجاه الطالب؛ لأنه سيتعلّم منه.. وأنا أؤيد الضرب بخلاف البعض، ولكن ليس بالطريقة التي تقول "السيئة تعمّ، والحسنة تخصّ"؛ بل الحسنة تخصّ والسيئة أيضًا تخصّ، فما ذنب طالبٍ آخر بما فعله طالبٌ سيئ؟! وهنا لا يجب أن يستخدم الضرب مبررًا للانتقام من طالبٍ ما؛ بل لتقويم سلوكه وإرجاعه إلى جادة الصواب؛ لأن البعض من الطلاب يأتون مِن أُسَرٍ لا تربيهم كما يجب، ولا تنهاهم عن منكرٍ ولا تأمرهم

بمعروف.. في هذا الوقت يأتي دور المعلم، ولكن ليس كما تعامله أسرته بتساهلٍ؛ بل يجب أن يكون جادًّا جدًا، فالتربية أولى من التعليم، وبعض الأسر -كما تمّ شرحها في موضوعٍ سابق- للأسف الشديد تنجب أطفالًا وترميهم إلى الشوارع؛ فلا هي ربّتهُم التربية الحسنة، ولا هي التي امتنعت من إنجابهم، فتجد شبابًا أخلاقهم سيئةً تقول حينها "هل يملك هؤلاء أسرة؟! ولماذا لم ترعَهُم وتهتمّ بهم وتعلّمهم الأخلاقيات المتعارف عليها؟! لماذا ينجبونهم إذا كانوا لا يستطيعون تربيتهم؟!".. حقًا؛ إذا لم يستطِع البعض تربية أبنائه فلماذا ينجبهم؟! الأمر بسيطٌ جدًا، توقّف عن الإنجاب فالشارع ملكٌ عام، والزواج مسؤولية كبيرة لا تقدم عليها إذا لم تستطِع تحمّل المسؤولية وتربية أبنائك، فالأبناء مسؤولية كبيرة تتحملها الأسر، والآخرين لا يجب أن يتحمّلوا أخلاقهم السيئة.. والطفل يتعلّم خلال الست السنوات الأولى مِن حياته ما لم يتعلّمه طيلة حياته كلّها، فالأسرة هي المصدر الأول للتربية، فإن لم يتعلم الطفل في أسرته وإذا لم يكن الأبوان عند حسّ المسؤولية فلن يتعلم الأخلاق في مكانٍ آخر، فالمدرسة لن تعلمه شيئًا كثيرًا، فالأسرة هي كلّ شيء، فهي من يتعلم منها الطفل الأخلاقيات والسلوكيات سواء أكانت سيئةً أو حسنةً، فالطفل يتعلّم من المشاهدة أكثر مما يتعلمه من التلقين، فعندما يشاهد أمه أو أباه يقوم بشيءٍ سيقوم هو بفعلِهِ لا شكّ في ذلك؛ لأنه رأى ذلك، وعندما يسمع شيئًا سيقوله فيما بعد؛ لأنه سمعه من قبل، فالتربية مسؤولية أكثر من التعليم.. لا بأس أن تعتني بطفلك، ولكن هذا لا يمنع أن تنصحه عندما يخطئ وتجلس معه وتقول له أنّ ما يفعله خاطئ.. إن لم يتعلم منكَ؛ فليس هناك مكانٌ آخر سيتعلّم منه، بل سيرى في كلّ ما يفعله بأنه أمرٌ جيّد حتى وإن كان سيئًا؛ لأن أحدًا مِن قبل لم يخبره أن ما يفعله خاطئ، فالأمر فقط يحتاج إلى توجيهٍ وإرشادٍ، والكارثة الكبرى أن يظلّ الطفل يرتكب الأخطاء ولا أحد يقول له أن هذا خطأ، فيكبر على هذه الحالة، وكلّ ما يقوم به يراه صحيحًا بينما هو خطأ.. الأبناء أمانة، وتربيتهم مسؤولية.. ويجب على كلّ أبٍ أن يربي أبناءه التربية الحسنة، ويوجههم التوجيه السليم، ويغرس فيهم الأخلاق والسلوكيات الحسنة والحميدة، فكما لك حقّ الطاعة من أبنائك فعليك حقّ التربيةِ لهم، فالتربية مسؤوليتك أنتَ، ولكن الطاعة تقع على عاتق الأبناء.. واجبك أن تربيهم وتنشئهم النشأة الحسنة، وحقّك أن يطيعوك كواجبٍ عليهم.. لا تكن متناقضًا مع ابنك؛ لأنك بذلك تجعله لا يصدقك فيما تقوله له مهما كان، وستجعله ينفر منكَ ويراك تكذب فيما تقوله وفيما تفعله، ولم يستنتجها هو؛ بل رآها واقعًا منك، فاحذر من ذلك؛ لأنك وقتها لا تستطيع أن تعطيه تعليماتٍ ومحاضراتٍ عن الأخلاق وقد شاهد مِنك

ما شاهد.. فإذا أردت أن تعلّم ابنك السلوك الصحيح فافعل الأفعال الحسنة والكلام الجميل أمامه حتى يتعلّم منك؛ ليس قولًا فقط، بل وعملًا.. لا تضربه أو تضرّه بأيّ لفظٍ كان وأنت لم تعلّمه، فالمجتمع بالخارج لن يرحمه، وسيعلمه الأسوأ لأنك لم تعلّمه الصحيح.. انتقده عندما يخطئ، ولكن تأكد أنّك نصحته من قبل، فكررها، فبذلك يكون لك الحقّ في انتقاده؛ ليس بالعنف، ولكن باللين ليعرف أنّ من يخاطبه يعرف مصلحته أكثر مما يعرفها هو..

بعض طلاب اليوم والجيل الجديد -ليس تعميمًا- لا يريدون أن يتعلّموا بقدر ما يريدون أن يفسدوا الآخرين، وهنا لا يجب أن يكون المعلم متفرجًا على ذلك؛ بل يجب أن يقوم بعمله، وهنا لا يكون معلمًا فحسب؛ بل يكون أبًا ومعلّمًا في نفس الوقت، فالأمر إن مرّ هكذا دون عقابٍ للطالب فلن يستطيع أن يقول له لا فيما بعد..

المدرسة هي المحطة الفارقة في حياة الطالب، فلا يجب أن يخرج منها كما دخل أو أسوأ؛ بل يجب أن يكون طالبًا مختلفًا عندما يتخرج من المدرسة أخلاقيًا وسلوكيًا وطالبًا يُحتذى به، ففي هذه النقطة تحديدًا نقول للمدرسين الذي مرّ عليهم "شكرًا لهم"؛ لأنهم يستحقون ذلك، فالكثير من الطلاب يزداد سلوكهم سوءًا بمجرّد وصولهم إلى المدرسة؛ لأنهم لم يلقوا أيّ حزمٍ من جانب مُدرّسيهم، وبذلك استمر الطالب على ما هو عليه، فلا أحد اعترض طريقه، ولا أحد قال له أنّ هذا خطأ أو هذا صواب؛ بل وفي اعتقاده أنّ ما يقوم به صائبٌ، وهنا تكون المصيبة الكبرى، فالطالب يحتاج إلى موّجهٍ يدلّه أين يتجه وإلى أين يذهب، وفي اعتقادي هذا ما يجب أن تقوم به الأسرة، ولكن كما ذكرتُ وأكرّر؛ البعض من الأسر تتخلى عن واجبها الأسريّ في تربية أبنائها، فتتركهم يعبثون كما شاءوا ويعملون ما يريدون..

فالمدرسة هي المحطة التالية بعد الأسرة، ويجب أن يخضع الطلاب فيها للتربية ويتعلموا السلوكيات والأخلاقيات التي يجب أن يكونوا عليها.. البعض من الطلاب لا يجب أن يستخدم معه العنف المتمثل بالضرب؛ بل بالكلام والتوجيه والإرشاد، والبعض الآخر العكس من ذلك، فالطالب عقله لا يزال متقبلًا لأيِّ شيءٍ خصوصًا في سنواته الأولى في المدرسة، وعلى المعلم أن يستغلّ ذلك لإدخال كلّ ما هوَ جميلٌ وحسنٌ من الأخلاقيات والسلوكيات التي تنفعه فيما بعد، وتجعله شخصًا نافعًا للمجتمع وشخصًا يُحتذى به بالأخلاق.. يجب استغلال هذا الموقف لإيصال السلوكيات التي يجب أن يتمتع بها الطالب اجتماعيًا ودينيًا وأخلاقيًا، ومِن هذا المنطلق يجب أن يكون المعلّم الذي يشرف على هذه الفصول فاهمًا ودارسًا لنفسية الطالب

ومزاجيته؛ فليس كلّ معلمٍ يستطيع التعامل مع الطلاب، فالطالب في الصفوف الأولى ليس كالطالب الذي يكبره، فهو يحتاج إلى معاملةٍ خاصةٍ وأسلوبٍ خاصٍ في التعامل، ويجب على المعلم لهذه الصفوف ألّا يعامل الجميع معاملةً واحدةً، فكلّ طفلٍ له شخصيته وأسلوبه في التعامل.. وهنا عندما أؤيد استخدام الضرب مع الطالبِ أنا لا أؤيد استخدامه الخاطئ؛ بل عند الضرورة القصوى، وعندما لا يجد المعلّم أيّ وسيلة أخرى للتعامل مع الطالب، ويكون خياره الأخير؛ لأنّ البعض لن يغير سلوكه إلا اذا استخدمت سلوكًا مضادًا له، فالمعلم لا يجب أن يشعر الطالب أنه خائف منه؛ بل يكون له اليد الطولى عليه حتى يتعلّم بالشكل المطلوب، فالبعض من الطلابِ -للأسف الشديد- عندما يجد المعلم ضعيف الشخصية يمتهنونه ويسخرون منه، وهنا يجب أن يكون المعلم قويًا وصاحب شخصية قوية حتى يستطيع السيطرة على الطلاب، فالطلاب لن يرحموه إذا وجدوا منه تساهلًا تجاههم، بل يجب أن يكون حازمًا وصارمًا في التعامل معهم، ولا يعطيهم فرصةً واحدةً للتفكير في شخصيته.. كن حازمًا في كلّ شيءٍ يتعلّق بهم، وإن رأيتَ شيئًا سلبيًا منهم فأخبرهم أنّ هذا خاطئ، وإن لم ينتهوا أو إن لم يصوّبوه فانصحهم مرّةً أخرى، وإن لم ينتهوا فاستخدم معهم الخيار الأخير وهو الضرب.. وعندما تضع واجبًا للطلاب يجب أن تسأل عنه في اليوم التالي، ولا يجب أن تعطيهم نظرةً سلبيةً عنك بأنك متساهلٌ مع الواجبات؛ بل أوّل ما تبحث عنهُ قبل بداية حصتك الدراسية هو الواجب اليومي حتى يكون الطالب في أعلى تركيزه معك، ولا يغفل دقيقةً واحدةً عما أمرته به، وهذا سيعلمهم في المستقبل الحزم والوقت وعدم التفريط به..

يجب أن يكون المعلم تأثيره قويًا على طلابه؛ ليس بالقوة والتخويف، بل بالسلوك والأخلاقِ؛ حتى يقتدوا به ويتخذوه مثالًا لهم في حياتهم، فالتأثير لا ينفع بالقوّة والخوفِ بقدر ما يكون بالأخلاق والسلوك الحسن والكلمة الطيبة.. الطالب لن يتعلم كثيرًا مما هوَ مكتوبٌ في الكتب المدرسية بقدر ما يتعلّم من مدرسه أخلاقه وسلوكه وكلامه وطريقة حديثه، فما هو موجودٌ في الكتب سيحفظه، وفي نهاية السنة سيذهب للاختبار وبمجرّد أن ينتهي من الاختبار سينسى كلّ ما درسه مِن قبل وكأن السنة كانت يومًا واحدًا، وهُنا تظلّ أخلاق من كان قدوةً له وهو المعلم الذي يجب أن يكون قد أوصل إليه كيف يجب أن تكون أخلاقه وسلوكه وتعامله مع الناس وطريقة كلامه وحديثه، فما سيتعلمه الطالب خلال سنةٍ من المعلّم ليس بالأمر الهيّن مقارنة بما سيحفظه لأجل ورقة الامتحان، فالأثر يبقى، والأخلاق تظلّ، وفيما بعد لن يتذكره طلابه؛ لأنه كان يقرأ جيدًا

من الكتاب، بل لأن أخلاقه وسلوكه كانت جميلةً وتعلّموا منها الكثير وما زالوا يمشون على خطاه إلى اليوم، فالكثير من طلاب اليوم يلعنون معلميهم لأنهم لم يؤثروا فيهم بالشكل الصحيح؛ بل بالشكل الخاطئ، وهنا مشكلة المدرّس، والقليل منهم يشكرون معلميهم لأنهم تركوا فيهم أثرًا لن تمحوه السنوات..

تعتبر المدرسة المحطة الأولى للطالب للاندماج مع المجتمع الخارجي من خلال التشارك والتعارف بينه وبين الطلاب الآخرين، وتمثّل نقطة تحوّلٍ بالنسبة له إذا استغلّها من يقومون عليه في الاتجاه الصحيح وهم المعلمون؛ فشخصية الطفل تبدأ من الأسرة، ولكنها تكبر وتقوى في المدرسة، ويجب أن تستغلّ بشكلٍ صحيحٍ؛ لأن الطالب متقبّلٌ لأيّ شيءٍ يأتي من معلمه خصوصًا إذا أحبّه ووثق به، فكلّ ما سيراه من معلّمه سيحاول تطبيقه، وهُنا يجب أن يكون المعلمون حذرين في التعامل مع طلابهم؛ لأنهم يأخذون منهم سلوكهم ويتعلمون من أخلاقهم أكثر مما يتعلموه في الكتب التي يدرّسونها لهم، فالملاحظة أقوى طرق التعلم نفعًا، فالمدرسة محطة لتغيير سلوك وتعليم الأخلاق واكتساب مهارات وإدخال أفكار إلى عقلية الطالب، وليست محطة عبورٍ للوصول إلى الجامعة فقط.. ويجب أن تُستغل لمصلحة الطالب، وهُنا ليست فقط لتربيته وتدريسه؛ بل يجب أن تكون أكثر مِن ذلك أخلاقيًا وسلوكيًا واجتماعيًا وثقافيًا ودينيًا وفكريًا.. يجب أن يتعلّم الطالب كلّ ما يهمه في حياته، ففساد مجتمعٍ أو صلاحه تكون البداية من المدرسة، فالمعلّم يجب أن يكون مثقفًا وواعيًا ويعرف أن يتعامل مع الطلاب الأقلّ والأكبر سنًا، الطيّب والسيء، الصالح والطالح.. يجب أن يكون مؤهلًا للتعامل مع جميع شخصيات الطلاب، يجب أن يكون لديه قوّة صبرٍ ليستطيع السيطرة على الطلاب، يجب أن يكون لديه قوّة تأثيرٍ ليتأثروا به ويثقوا بهِ ليتعلّموا منه عن طريق الملاحظة، ويجب أن يكون مدركًا وواعيًا لكل خطوةٍ يخطوها، ويجب أن يعلم أن هناك شخصًا يراقب أفعاله وكلامه وهم الطلاب ليقتدوا به..

كنت أتمنى أن أيّ طالبٍ لا يجب أن يجتاز الثانوية العامة -وهي آخر محطةٍ من محطات المدرسة- ويدخل إلى الجامعة إلّا بعد اختبار أخلاقه، ومعرفة هل هو مهيّأ لدخول الجامعةِ أخلاقيًا، والتي تمثل صرحًا أكاديميًا، فالبعض للأسف لا يفرّق بين المدرسة والجامعة، فلا يزال عقله مرتبطًا بالمدرسة، ولا يعرف أنه انتقل من صرحٍ تعليميٍّ -وهو المدرسة- إلى صرحٍ أكاديميٍّ -وهو الجامعة- ويجب عليه أن يغيّر من سلوكه ويتعامل بنضجٍ؛ لأنه لم يعد طفلًا، بل أصبح طالبًا أكاديميًا، وبعد سنواتٍ سيكون دكتورًا أو مهندسًا.. فالمدرسة كسائق سيارة؛ المعلم فيها السائق، والركّاب هم الطلاب، فإن أوصلهم إلى برّ الأمان كان خيرًا وبركةً، وإن لا

فسيكون العكس مِن ذلك.. فصلاح المجتمع أو فساده يبدأ من المدرسة، وهُنا يجب علينا أن نحدّد ماذا يجب علينا أن نخرج من المدرسة؛ هل نخرج طلابًا يحبّون العلم والتعلّم والابتكار؟ أم ينفرون منه؟ هل نخرج طلابًا يحبّون مجتمعهم ويقتدون به؟ أم طلابًا لصوصًا وقطّاع طرق؟! هل نخرج طلابًا واثقين من أنفسهم يعرفون ما يعملون؟ أم طلابًا يقودهم الآخرون إلى الهاوية؟! هل نخرج طلابًا مثقفين؟ أم جاهلين؟! هل نخرج طلابًا واعين؟ أم متخلفين؟! ومِن هذا المنطلق؛ يجب أن نضع الخطط التي يجب أن تسير عليها المدارس، وتطبّقها تطبيقا كاملًا بدون أيّ تهاونٍ أو نقصان.. يجب أن توضع الاستراتيجيات للرفع من مستوى التعليم واختيار المعلمين الأكفاء، فليس كلّ من ملك شهادةً استطاع التدريس، فالتدريس لمن لديه القوّة للتأثير على الطلاب، ولمن يملك الرغبة في التعليم، الرغبة في إخراج جيلٍ متعلّمٍ، وليس مجرّد معلمٍ يأتي من أجل راتبه الشهري، لا يؤثّر ولا يعلم بالشكل الذي أريد له ذلك.. فرغبة المعلم في تعليم الطلاب يجب أن تكون أكثر من حاجته للحصول على راتبه.. أعلم أنّ هذا من حقه، ولا نقاش في ذلك، ولكن لا يجب أن يطغى حبّ التعليم على حاجته للمال، فالتعليم مهنة عظيمة، ويجب أن يُعطى المدرس حقوقه كاملةً حتى يستطيع أن يعطي ويبذل كلّ ما لديه عن قناعةٍ ورضا، وليس إرغامًا من أجل المال، يجب ألّا يفكر المعلم بأيّ شيءٍ غير إيصال المعلومة للطالب وكيف يؤثر عليه التأثير الإيجابي والتأثير الصحيح الذي يجعل الطالب يشكره فيما بعد؛ لأنّه علمه شيئًا لن ينساه في حياته..

التعليم أمانةٌ قبل أن يكون مهنةً، ورسالةٌ قبل أن يكون هوايةً، فالمعلم يجب أن تكون عليه رقابة لمعرفة هل هوَ يؤدي عمله بالشكل المطلوب أم لا؟ ليتم تغييره واستبداله بشخصٍ آخر أكفأ منه، بالإضافة إلى تقييم كلّ ستة أشهرٍ أو سنةٍ لمعرفة مكامن الخلل وهل يؤدي وظيفته على أكمل وجهٍ أم أن هناك قصور؟! فالرقابة والتقييم تجعل منه معلمًا ملتزمًا، والبعض القليل جدًا لا يحتاجون إلى هذه الطريقة ليقوموا بأداء عملهم، فهم يعرفون أنّهم محمّلون أمانةً أكثر من معرفتهم بالثواب والعقاب، فالتعليم أمانة ورسالة، والطالب يجب أن يخرج من المدرسة ناضجًا فكريًا وعقليًا، ولديه كلّ المقومات التي تجعله فردًا فاعلًا في المجتمعِ، فردًا ينفع ويفيد، وليس العكس..

وعلى المعلم ألا يقوم بالتفريق بين طلابه، وألّا يعطي الأفضلية لطالبٍ على الآخر، فطلابه يجب أن يكونوا متساويين في نظره، وعندما قلتُ أنّه يجب أن يعامل كلّ طالبٍ بحسب شخصيته؛ فهذا يكون بدون أن يحس

الطلاب الآخرين بذلك، فالطالب مهما كان يجب أن يحسّ بالتشجيع والتحفيز من معلمه حتى وإن كان غبيًا، ويجب أن لا يشعر أنّ معلمه يفضّل طالبًا على حسابه، ويجب أن يشعر الجميع بأهميتهم لدى المعلم، فالطالب يحب المدح من معلمه، فالغبي يجبّ تشجيعه ليقوم بأفضل مما يعمله، والذكي يحفّزه ليستمر على ما هو عليه ويبدع وينتج أكثر، فالتحفيز والتشجيع مهمة المعلم، ويجب ألّا ينساها أو يتغاضى عنها المعلم مهما كان طلابه أغبياء فهم يحتاجون إلى تشجيعهم ليخرجوا أفضل ما لديهم، فالمعلم يجب أن يركز على التربية أكثر من تركيزه على التعليم.. ولك أن تتخيل طالبًا ليست لديه تربية؛ فماذا ستفعل به؟! بكلّ تأكيدٍ هو سيضّر المجتمع ومن المستحيل أن ينفعه، فالتربية يجب أن تغرس في الطالب كثقافةٍ، وليس كخوفٍ من عقاب.. والأخلاق يجب أن تكون مبادئًا عنده لا تتغير بتغير الظروف والأحوال.. والمعلم يجب أن يصبّ تركيزه على فهم الطالب، وفتح مداركه وعقله بما يقوله له، وليس مجرّد تلقين فقط، فالمعلم ليس هذا دوره؛ بل يجب أن يخاطب العقل ويجعل الطالب يفكر ويناقش ولا يحصره في زاوية التلقين، ويجعله يفهم ويفكّر، وليس يتلقّى فقط، فما سيلقيه المعلم على الطالب من تلقينٍ سيقرأه في المنزل، ولما أتعب نفسه بالمجيء إلى المدرسةِ، والمدرسة لم توجد لذلك؛ بل وُجِدَت للتأثير الصحيح وتقويم سلوك الطلاب وفتح مداركهم وجعلهم يفكرون أكثر مما يتحدثون.. اجعل الطالب يحاور ويناقش؛ بل استفزز عقله أنت كمعلمٍ، واجعله يبادر بطرح السؤال، ولا تجعله يخاف منك، فالخوف يمنع الطالب من الإبداع والإنتاج.. أفسح له المجال، أعطه الحرية في الحديث والتفكير، ولكن قبل هذا تأكّد أنّ كلّ ما يفكر به في الاتجاه الصحيح، وتأكد أيضًا أنّ ما يفعله ويقوله سينتفع به في المستقبل، فالطالب يجب أن يعرّف أن كلّ ما يعمله المعلم هو لصالحه، وهذا ما يجب أن يقوم به المعلم، وذلك من عدة جوانب؛ التوجيه والإرشاد والنصح وتقويم السلوك، ويجب أن يكون لدى الطالب اعتقاد أنّ مَن أمامه أبوه قبل أن يكون معلّمه، وهُنا يجب تأهيل وتدريب الكوادر التي يجب أن تتعامل مع الطلاب خصوصًا مع طلاب الصفوف الأولى، فكلّ طفلٍ له قابلية للفهم، وليس كلّ الطلاب أذكياء، وبالطبع ليس أغلبهم أغبياء، فالبعض من الطلاب ذكيٌّ بالفطرة، والبعض الآخر إذا تمّ تعليمه التعليم الصحيح سيأتي في المركز الأوّل؛ فقط هو بحاجةٍ إلى التعليم الصحيح والتشجيع والتحفيز من معلمه، والبعض الآخر من الطلاب لديه ذاكرة قويّة يحفظ أكثر مما يفهم، فقابليته للحفظِ أكثر من قابليته للفهم، وهُنا وجب على المعلم معرفة الجميع؛ حتى يستطيع التعامل معهم، فمن يحفظ يجب على المعلم أن يجعله يفهم أولًا..

الأمل
لا يظلّ الطريق مَن تمسّك به

سيشرق الأمل؛ إن لم يكن اليوم، فغدًا، فربّما هناك أشياء عظيمة تنتظر، عظيمة كعظمة الانتظار.. وتذكّر أنّ كلّ ما مررت به ستنساه بعد ذلك، واعلم أنّ ما أنت فيه الآن ما هو إلا اختبار، فاصبر واعمل جاهدًا لتجاوزه.. لا تتأفف وتقول "لماذا أنا؟" فالأشياء العظيمة تتأخر قليلًا لتأتي وقد نضجت، تأتي كغيمةٍ محملةٍ بالماء، فتلقي بحمولتها مرّةً واحدةً إلى الحد الذي يجعلك تسعد لبقية عمرك.. فقط كُن متفائلًا!

الأمل هو الشيء الذي يجعلنا نتعلّق بأشياء رغم يأسنا الشديد من حدوثها.. الأمل حياة أخرى لليائسين مِن الحياة ومن كلّ شيء يتعلق بها.. الأمل هو النور الذي يعطينا الضوء لنصل إلى برّ الأمان.. لا يجب أن نتخلّى عنه مهما كانت الظروف والأحوال، فالأمل جرعة معنوية يعطينا الشعور أنّ هناك شيءٌ جميلٌ ينتظر.. وتذكر أنّ خلف كلّ صباحٍ جميلٍ كان هناك ليلٌ مظلم، فلمَ اليأس؟! فربما الفرج قريبٌ، ويقترب كثيرًا؛ فقط تحلَّ بالأمل، وتأكّد أن الله لن ينسى أحدًا، فهو خلقك وهو متكفلٌ برزقك..

لا تيأس! فاليأس يميتُ الحياةَ فينا، ويجعلنا لا نحيا؛ بل نظن أنّا موتى معَ أننا مازلنا على قيد الحياة.. تحلَّ بالأمل مهما كانت الظروف.. صحيحٌ أنّ هناك أوقات تأتينا تجعلنا نيأس من كلّ شيء في الحياة، ولكن ومعَ هذا لا يجب أن يحلّ اليأس محلّ الأمل.. لا أقول أن تكون حديدًا؛ فمن منا لم يحزن؟ ومن منا لم ييأس؟! فالحياة صعبة وقاسية، فهي تقسو علينا بكلّ ما تحمله من قوّة.. ومعَ ذلك؛ يجب ألّا نستسلم لها، يجب أن يظل الأمل

فينا قولًا وفعلًا، ولا نعطيها ما تريد، فالأمل هو محطة عبورنا لنتجاوز به قساوة الحياة، فإن فقدناه حتمًا سنفقد حياتنا، فالأمل يجب ألّا نتخلى عنه، وأن يظل يرافقنا طيلة حياتنا لنقهر به قسوة الحياة وجبروتها، لنصل إلى برّ الأمان ونحن منتصرين على الحياة.. الأمل هو ما يجب أن نتخذه سلاحًا وصديقًا للوصول إلى برّ الأمان..

اهزم يأسك وحزنك، انشغل بأعمال تحبّها، اعمل أيّ شيءٍ؛ المهم ألّا تظلّ فارغًا.. اقرأ كتبًا، تطوّع للقيام بأعمالٍ في حيّك أو في مدينتك، فاليأس يلتهمنا عندما يتمسّك بنا الفراغ، فالفراغ قاتلٌ ويجب ألّا نجعله رفيقنا؛ بل ننفضه عنّا ونبحث عن أشياء تلهينا عنه وتسعدنا لنفعلها.. تمسّك بكلّ شيءٍ يبعدك عن الهمّ والحزن والفراغ، أفلتهما وأنت في طريقك إلى حياتك التي تريدها، وخذ الأمل صديقًا في الطريق.. ومهما علاك اليأس أخبره أنك متمسكٌ بالأمل، فمن غير المعقول أنّه ليس هناك شيءٌ ينتظر في الضفة المقابلة..

اتخذ الأمل مرشدًا ودليلًا، فسيرشدك إلى الطرق الصحيحة؛ فقط يجب أن تكون واثقًا من أن هناك شيئًا ينتظر، وأن انتظارك لن يذهب سُدَىً، فالله لن يضيعك وهو يعرف ماذا تعمل وما لذي تعانيه.. كُن قويًا لتصل سالمًا، اهزم اليأس وأبعده عنك في كلّ مرّةٍ يحاول الاقتراب منك، وأخبره أنك متسلّحٌ بالأمل، وهو السلاح الأقوى بين كلّ الأسلحة الأخرى، فاليأس يمرضنا، والفراغ يقتلنا، والحزن يفتك بنا.. ويبقى الأمل لنصارع به الواقع الذي يتصدّى لنا في كلّ مرّةٍ نحاول العيش كما نريد.. أخبر اليأس أنّه ليس له مكانٌ فيك، ومهما حاول السيطرة عليكَ أخبره أنه لن يستطيع، فالأمل هو ربّان السفينة الذي سيقودك إلى برّ الأمان؛ فقط تمسّك به جيدًا ولا تحاول إفلاته، فقد لا تجده مرةً أخرى.. الحياة لم ترحمنا يومًا واحدًا، ونحن لن نستسلم لها بكلّ سهولةٍ، بل سنقاوم ونقاوم وسنخرج منتصرين من كلّ حروبها التي حاربتنا بها، وما أكثرها! ليس أوّلها اليأس، وليس آخرها التشاؤم، ولكن لدينا ما نتصدّى لها به؛ إنه الأمل الذي يجعلك تشعر بأنك على قيد الحياة، وأنك ما زلت تتنفس، ومازال هناك خيرٌ ينتظر، لا تنسَ ذلك! وتذكّر أنّ التشاؤم واليأس سينتظرك في الضفة المقابلة إذا تخلّيت عن الأمل، فخذ الأمل صديقًا ورفيقًا لك في هذه الحياة، وتمسّك به جيدًا، ولا تفلته أبدًا، وإن لم تجده فابحث عنه وستجده حتمًا..

لا تقف حيث يتواجد الفراغ، اهرب مِن هُناكَ واركله بكلتا رجليك ولا تنظر إلى الخلف! الأمل كالماءِ مُهمٌّ في حياتنا؛ فهو يعطينا الشعور الجميل بأنّ هناك شيئًا جميلًا في طريقهِ إلينا.. كما هو الماء، فنحن نشرب لنرتوي من الظمأ، وعندما نشرب تعود الحياة إلينا، والأمل كذلك؛ فهو يعطينا جرعةً شعوريةً بأنّ الخير ما زال في

طريقه إلينا، فلا نيأس.. تمسّك بالأمل، فمن ينتظر بزوغ الفجر يعلم أنه سيأتي وإن طال الوصال بعد ليلٍ طويل.. ومن انتظر سنين طويلةً للعودة إلى أهله بعد غربةٍ طويلةٍ لم يكن يعلم أنه سيضمّهم مرّةً أخرى، ولكن الأمل موجودٌ في قلبه.. ومن وصل إلى مراتب النجاح في حياته لم يكن متأكدًا بأنه سيصل ولكنه تمسّك بالأمل فوصل إلى حيث يريد، وكان الأمل رفيقه.. ومن انتظر المطر لينزل بعد شتاءٍ قاسٍ ليروي زرعه الذي أوشك على اليباسِ لعطشه الشديد وحاجته إلى الماءِ تمسّكَ بالأمل.. فالأمل مرشدنا إلى الطريق الصحيح الذي يجب أن نكون عليه، فالأمل هو القادر أن يصل بنا إلى برّ الأمان إذا تمسكنا به جيدًا بيقينٍ أن كلّ خير سيأتي، وأن الإنسان لم يخلقه الله عبثًا؛ بل لغايةٍ في الأرض، وتكفّل برزقه، وأنه لن ينساه وهو القائل ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم – ٦٤]، فالله لم يخلق أحدًا دون أن يرزقه، فالرزق مكتوبٌ لبني آدم منذ ولادته.. فعلينا أن نتمسّك بالأملِ، ونصبر ونتيقّن أنّ ما هو آتٍ خيرٌ مما مضى، فرغم قلة الأفراح وكثرة الأحزان لا يجب أن نتخلّى عن الأمل، فهو طريقنا إلى النجاةِ من جحيمِ الحياة وسوداويتها التي لم تتركنا يومًا لنعيش حياتنا كما نريد..

الأمل هو الذي يبقينا على قيد الحياة، وهو الذي ينقذنا من أنفسنا عندما نفكّر بشيءٍ نضرّ به أنفسنا عندما يصل بنا الحال إلى اليأس ويسيطر علينا الإحباط ويتمسك بنا التشاؤم وتغادرنا السعادة، فلا أحد يتصوّر ما الذي قد يفعله مَن فقد الأمل في الحياةِ بنفسه، فنفسه ستكون أوّل من يؤذيها.. تمسكوا بالأمل جيدًا، فيومٌ من الأيام سيأتي وإن تأخّر، ولكنه حتمًا سيأتي.. الأمل إن فقدناه فمن الصعب أن نسترجعه مرّةً أخرى.. لا أحد في هذه الحياة البائسة لم يحزن ولم يتألم ولم يعتريه التشاؤم، ولكن الأغلب لم يفقدوا الأمل، وظلّوا متمسكين به إلى أن وصل بهم إلى برّ الأمانِ وأخرجهم من مستنقعِ حياتهم وتفكيرهم الخاطئ الذي كاد أن يوصلهم إلى الهاوية، وأخبرهم أنّ هناك خيرًا ما يزال في طريقه إليهم فظلّوا متمسكين به ومنتظرين للأمل إلى أن حلّ، فخلصهم مما يعانونه.. ومنذ ذلك الوقت أصبح الأمل رفيقهم وصديقهم الدؤوب الذي يرافقهم أينما حلّوا وارتحلوا..

فلتكن نظرتنا للحياةِ نظرة تفاؤلٍ وأملٍ، ومهما كانت صعبةً –وهي كذلك– نحاول بكلّ الطرق للتعايش معها، والتمسّك بأيّ شيءٍ يمكّننا من العيش وسط كلّ هذه الفوضى والحزن الذي تمتلئ به هذه الحياة، فالأمل قد يأتي من ثقبٍ صغيرٍ أو من كلمةٍ لا تتوقعها من أحدهم.. كن مجتهدًا في بحثك، فلا شيء يأتي بسهولةٍ، وإن وجدته فتمسّك بهِ جيدًا، فهذه قاعدة الحياة الأولى التي عليك تعلّمها.. ستبتسم وتفرح يومًا ما؛ تأكّد من ذلك، وكُن موقنًا بذلك، ولن تعيش حياتك كلّها وسط أحزانٍ وتشاؤمٍ، بل سيأتي الخير يومًا ما وبجانبه

السعادة، وستلتقي بهما في طريقك، وبعد أن كان الجميعُ ينفرون منكَ سيتخذونك صديقًا دائمًا لهم.. تمسّك بهما جيدًا، ولا تفارقهما أبدًا وأخبرهما أنكَ انتظرتهما طويلًا، وحقّ لهما أن يكونا رفيقيك بعد كلّ ما عانيته.. افرح واسعد بكلّ لحظةٍ، ولا تضيّعها، فربما تذهب منكَ مرّةً أخرى.. وتذكّر أنّ كلّ شيءٍ يمشي بحكمةٍ إلهيةٍ، فربما لم يحِن وقتك بعد.. وعندما يحين الوقت؛ أنا متأكدٌ أن لا أحد سيستطيع إيقافك، فسنين انتظارك كانت بناءً وعملًا، وأعطتك قوّةً، واكتسبت مهارةً، وتعلّمت حرفةً.. وعندما حان الوقتُ أصبحتَ جاهزًا للانطلاق..

****

الكلمة
تأثيرها ومفعولها على الآخرين

تأثير الكلمات على الآخرين كتأثير الأفعال، وربما أقوى، فعندما تتحدث مع شخصٍ تحدّث معه كأنك تتحدث مع نفسك.. زِن كلماتك قبل أن تتكلم بها، وحاول ألّا تتكلم بأيّ كلمةٍ بدون أن تعرف معناها، بدون أن تعرف إن كان من يقف أمامك ينزعج منها أو لا.. لا تحكم على الآخرين كما تحكم على نفسك، فالشيء الذي يعجبك قد لا يعجب شخصًا آخر، فكلّ شخصٍ لديه أشياء يحبها وأشياء لا يحبها، وليس شرطًا أن تكون مثلك، وليس شرطًا أن يحبّ ما تحبّ، ويكره ما تكره.. ربّ كلمةٍ واحدةٍ قد تعطيك انطباعًا جيدًا وراحةً نفسيةً، فحاول بقدر استطاعتك أن تعطي الآخرين كلماتٍ تحفيزيةً، كلماتٍ يحبونها، كلماتٍ يكون تأثيرها كبيرًا عليهم، فهم لا يريدون المزيد من الإحباط.. لا تتحدث معَ الجميع بنفس الكلمات، فكلٌّ منهم يحتاج لكلماتٍ تناسبه، فالناجح يحتاج لكلماتٍ تحفيزية، والموظف لكلماتٍ تشجيعية، والابن لكلماتٍ توجيهية..

الكلمة أداة تأثير قد ترفع شخصًا، وقد تحطمه، قد تلهمه، وقد تعجزه، قد تفرحه، وقد تحزنه، قد تقيم حربًا، وقد توقفها.. قد نتحدّث ولا نشعر بتأثير الحديث على الآخرين، فربّ كلمةٍ قد تزعج الآخر أو تفرحه، وقد لا نشعر بذلك، فمن يشعر بذلك هو المتلقّي الذي يستمع للحديث الذي نقوله.. من السهل أن نطلق الكلمات ونتحدّث كثيرًا، ولكن لا أحد يشعر بتأثير الكلمات إلا إذا كان في موقع المتلقّي أو المستمع..

انتقِ كلماتك عند الحديث مع الآخرين، واعلم أنّ تأثير الكلمات كالتأثير السحريّ على الآخرين.. يجب أن تكون كلماتك حافزًا ودافعًا لهم، وليست إحباطًا ويأسًا عليهم.. فالكلمات أكثر تأثيرًا على عقول ومشاعر الآخرين من أيّ شيءٍ آخر، فعندما تمدح شخصًا -ولو حتى بكلمةٍ- يتحوّل حزنه إلى فرحٍ، ويومه إلى سعادةٍ، وعملة إلى نجاحٍ.. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليّنًا في كلامه، يخاطب أصحابه بلطفٍ، ويختار الكلمات المناسبة التي يحبها المتلقّي، وكان ذلك أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكن مع أصحابه فقط؛ بل حتى مع أعدائه، فعندما جاء إليه عتبة بن ربيعة ليتفاوض معه، استمع الرسول صلى الله عليه وسلم له حتى أكمل ما يريد قوله، ومن ثم بدأ الرسول بالتحدث فقال له (اسمع منّي يا أبا الوليد) وكانت العرب حينها تحبّ الألقاب، فقد كنّاه الرسول صلى الله عليه وسلم باسم ابنه، والعرب كانت تحبّ هذا الأسلوب وتعتبره نوعًا من المدح.. فرغم أنه من أعدائه وجاء إليه ليفاوضه على التخلّي عن الإسلام، ومعَ ذلكَ لم ينادِه الرسول باسمه؛ بل بكنيته وهي أحبّ شيءٍ إلى أيّ شخصٍ أن يُدعى بها.. ثمّ بدأ الرسول بقراءة آياتٍ من القرآن حتى وصل إلى قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت – ١٣]؛ حينها قام عتبة بن ربيعة من مكانه، وعاد إلى قريشٍ وقد تغيّر لونه وشحب وجهه، وكان أعلم الناس بالشعر، وعندما عاد قال كلمته المشهورة (والله إني لأعلَمُكم بالشعرِ، وأعلمكم بالنثر، والله ما هو بالشعر ولا بالنثر.. والله إن أعلاه لُمورِقٌ، وإن أسفله لمغدقٌ، وإن عليه لحلاوة، وإن له لطلاوة، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه)..

فالكلمات تأثيرها قويٌّ وكبيرٌ على متلقّيها، فهذا أديسون الذي أنار العالم باختراعه المصباحِ أرسلت المدرسةُ رسالةً إلى أمه تخبرها أن ابنها غبيٌّ وعليها ألا تذهب به إلى المدرسة مرّةً أخرى.. وعندما وصلت الرسالة إلى أمّ أديسون لم تنقل له ما هو مكتوبٌ في الورقة؛ بل أخبرته بكلماتٍ أخرى محفّزة ومشجّعة، جعلت منه عالمًا كبيرًا وصل باختراعه إلى كلّ بيتٍ في العالم، وكان ما أخبرته به أنه عبقريٌّ وذكيٌّ وأن المدرسة غير قادرةٍ على استيعاب قدراته الفائقة، ويدعونها إلى البحث عن مدرسةٍ أخرى تليق بذكائه وعبقريته، فكانت هذه الكلمات نقطة تحوّلٍ في حياته، فاختراعاته كثيرة وليست فقط مقتصرةً على المصباح.. أحيانًا يأتيك الإحباط ممن يجب عليهم تشجيعك وتحفيزك.. ولو علمَ ما هو مكتوبٌ في الورقة لما وصل إلى ما وصل إليه، ولكنها وصلت إلى أيادي أمينة وهي أمه؛ من خلالها حوّلت الكلمات المحبطة والتشاؤمية إلى كلماتٍ محفّزةٍ ومشجّعةٍ جعلته من أعظم العلماء في التاريخ؛ كيف لا وهو من اخترع المصباح الذي يوجد في كلّ بيتٍ ولا يخلو أيّ بيتٍ منه؟!

فالتحفيز والتشجيع تأثيره قويٌّ جدًا؛ خصوصًا عندما يكون بكلماتٍ مناسبةٍ مؤثرةٍ تجعل من المتلقي لا ينساها طيلة حياته.. وأكثر من يحتاجون هذا النوع من التحفيز والتشجيع هم الأطفال؛ لأنهم في بداية حياتهم، فالتحفيز بكلماتٍ قويةٍ ومؤثرةٍ يكون مردوده قويًّا عليهم ويجعلهم يتذكرونه طيلة حياتهم..

الكلمات قد تجعلنا سعداء أو تجعلنا حزينين، ومعَ ذلك يبقى الأثر الأكبر على مَن قالها، فإن كان صديقًا أو حبيبًا سيكون تأثيرها أقوى مِن أيّ شخصٍ آخر.. قد لا نبالي بما يقوله الآخرون تجاهنا بقدر ما نبالي بما يقوله أصدقاؤنا ومن نحبهم ونحترمهم ونوقرهم ومن تربطنا بهم علاقات قوّية، فتأثير الكلمة مِن القريب أقوى مِن البعيد.. فبداية الحبّ تبدأ بمشاعر تجاه الطرف الآخر ولكن المشاعر لا تفعل شيئًا إذا لم يكن هناك شيءٌ آخر، وهذا الشيء هو الكلمة التي تتغزل بها فيمن تحبّ.. والكلمة هي الوسيط الذي ينقلك مباشرةً من حالةِ العشق إلى القلب مباشرةً، فتسكن قلبَ مَن تحبّ بكلماتٍ بسيطةٍ، ولكن لا تهمّ بساطتها بقدر ما يهمّ قائلها.. فأحيانًا –بل في الأغلب– نتعرّض لكلماتٍ من الثناء والمدح من أشخاصٍ لا تربطنا بهم علاقة قوية، وهذا لا يؤثر فينا بقدر ما تؤثر فينا كلماتُ مَن نحبّهم ونحترمهم، فالموظّف يحبّ أن يسمع المديح والثناء والتشجيع من مديره في العمل، وعندما يسمع الكلمات التي يريدها يبذل المزيد من الجهد مِن أجل أن يكون كما تمّ وصفه.. والنفس البشرية عمومًا تحبّ المديح والثناء، والبعض من الأشخاص لا يريد أن تمدحه؛ ليس بهذا المعنى تمامًا، فليس هناك شخصٌ لا يحبّ أن يُفخَر به، ولكنه لا يريد أن تمدحهُ إذا لم يقم بشيءٍ، فليس بهذا العالم شخصٌ لا يحب أن يُقالَ له "أنتَ شخصٌ رائعٌ ونشكرك على كلّ ما تقدّمه، وأتمنى لك التقدم والنجاح في حياتك"، لا أحد لا يريد هذا الكلام، وما أردت قوله أنّ المدح أحيانًا لا يكون في محلّه، فيصيب الشخص بالغرورِ وهو لم يقدم شيئًا..

أقوال العلماء والمفكرين والكتّاب والأدباء ما زالت إلى اليوم يتداولها الناس؛ ليس لشيءٍ بل لأنها أثّرت فيهم، فبعض الكلمات التي تُقال تترك أثرًا كبيرًا، لا يهم نوعية تأثيرها سواء أكان تأثيرًا إيجابيًا أو سلبيًا، بل الأهم هو التأثير الذي تتركه، فالكلمات التحفيزية التي تُقال في الحروب كلمات يتلقّاها الجندي في المعركة كجرعاتٍ معنويةٍ متى ما أحس باليأس تذكّرها حتى يعود إليه نشاطه وهمّته في تحقيق النصر، ومعَ هذا؛ فهو لا يرى أنه سيُهزم، بل يرى أنه سيفوز بفضل الكلمات والتعبئة المعنوية التي تلقّاها قبل المعركة..

إذًا لا يهمّ في أيّ مكانٍ قيلت الكلمات أو في أيّ زمانٍ تحدّث الآخرونَ بها بقدر ما يهمّ تأثيرها الكبير على متلقيها.. وإذا كان قائلُ الكلمة قد مات؛ فكلماته لم تمت، بل ما يزال الناس يتداولونها، وما زالت تؤثر فيهم بمجرد أن يقرؤوها وإن اختلف المكان والزمان الذي قيلت فيه، فالكلمة لا يمكن الاستهانة بها وبمدى تأثيرها على الآخرين؛ بل إنها فتحت بلادًا ورفعت ظلمًا وقهرًا ودخل الناس الإسلام بكلمة.. ومعجزة الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم معتمدًا على الفصاحة والبلاغة للوصول إلى عقول الناس وقلوبهم، فدخلوا في سبيل الله أفواجًا؛ ليس بالقوّةِ العسكرية، ولكن بقوّة الكلمة والتأثير البلاغي وفصاحة المتحدث، فكلمةٌ قد تبني وأخرى قد تهدم، فالشعر القديم لايزال يُتداول إلى يومنا هذا لقوّة تأثيره ووصفه للواقع المعاش في ذلك الوقت وحتى الآن، فالكلمات تعبّر عن مشاعرنا وتمثّل شخصياتنا، فكلّ ما نقوله عائدٌ لنا سواء أكان سلبًا أو إيجابًا.. فبالكلمةِ تبني وتعمر وتزرع الثقة وتزداد المحبة وتتحقق الألفة وتتصافى المشاعر وتتجدد العلاقات، وبكلمةٍ أخرى قد تهدم ما بُنِيَ خلال سنواتٍ طويلةٍ من علاقاتٍ ومشاعر تجاه بعضنا البعض؛ بل إنّ بعض الكلمات قد تحوّل الأصدقاء إلى أعداء، والعكس.. فالكلمات يجب أن لا نقولها جِزافًا؛ بل نقولها عن درايةٍ، فليس أيّ كلمةٍ تُقال، فيجب أن نراعي كلماتنا عندما نتحدث مع الآخرين، ويجب أن يكون الحديث إيجابيًا مملوءًا بالمشاعر الطيبة، فالكلمة يجب وزنها ومعرفة مدى ودقةّ تأثيرها على الآخرين، بل ومن الإنصاف أن نضع أنفسنا مكان المتلقّي لنعرف حينها كيف ستكون ردّة فعلنا عندما تُقال لنا هذه الكلمات، فالحديث ليس مجرّد كلامٍ فقط؛ بل هي كلماتٌ يتأثر بها البعض سلبًا أم إيجابًا، فالكلام المحفّز والتشجيع يرفع المعنويات ويطلق خيال الإنسان، والحديث ليس بكثرته؛ بل بتأثير كلماته، فليس كلّ ما يُقال يؤثر في النفس، ولكن هناك كلماتٌ معينة قد تختلف من شخصٍ لآخر، فالبعض يريد كلماتِ المدح والثناء، والبعض الآخر التشجيع والتحفيز، فليس دائمًا ما يعجب شخصًا مِن كلماتٍ قد يعجب الآخر..

عندما كنتُ أدرس في الجامعةِ كانت هناك مادّة يدرسها أحد الدكاترة، وكان الشائع بين الطلاب أنّ الدكتور الذي يدرس هذه المادة يضع اختبارً صعبًا لا ينجو منه إلا القليل من الطلاب، وليس هناك أيّ طالبٍ منذ بدأ تدريسه أخذ الدرجة الكاملة، والقليل من الطلاب يتجاوزون الامتحان.. وقبل الامتحان تواصل بي أحد زملائي ممن يدرسون معي في الجامعةِ يقول لي "من المستحيل أن أنجح"، فقلتُ له "لماذا؟"، فقال لي: "ألا تسمع ماذا يقولون عن الدكتور بأنه دكتور معقد ويضع اختباراتٍ صعبة؟!"، قُلتُ له: "لا تصدّق كلامهم..

ذاكِر وستنجح"، أصرّ على كلامه وقال لي أنّ هناك القليل من الطلاب الذين تجاوزوا اختباراته.. كان هذا الشائع بين الطلاب الذين قبلنا بسنةٍ وسنتين وثلاث، وبالفعلِ أتى يوم الاختبار والتقيت بزميلي الذي تواصل معي، وسألته: "كيف المعنويات؟ هل أنت جاهز للاختبار؟!"، قال لي: "نعم، ولكن..."، أجبته: "لا تكمل! أعرف ما تودّ قوله، ادخل الاختبار كأيّ اختبارٍ آخر، ولا تخَف مما تسمعه، فليس كلّ ما تسمعه حقيقةً.. البعض يحدّثك عن وهمٍ لن تجده؛ فهو فقط يريد أن يخيفك"، قال لي: "سأفعل ما تقوله"، وبالفعل؛ دخل الاختبار، وبعد الاختبار التقيته وسألته كيف كان الاختبار، فأجابني أنه كان جيدًا، وأنه لم يكن يتوقع أنّ يكون بهذه السهولة.. وأثناء تسليم النتائج تفاجأ بنتيجته لأنه لم يكن يتخيل بأنه سينجح، وعندما أخبرني بذلك قلتُ له: "من بعد الآن لا تصدّق كلّ ما يقوله الآخرون لك"، بل والغريب أيضًا أن هناك طلابٌ كُثُر رسبوا في المادة رغم معرفتي بأنهم أذكياء جدًا، فالحديث عن الدكتور المعقد والمادة الصعبة أثّر فيهم جدًا وجعل دماغهم يشتغل على ذلك، وأصبح الطالب يرى أنّ من المستحيل أن ينجح؛ ليس لأنه متأكدٌ من ذلك، بل لأن شخصًا أثّر فيه وجعله حبيس كلامٍ لا أساس له من الواقع، ولو لم يستمعِ للكلام لما رسب.. ومن الغرابةِ أنّ هذا الكلام ما يزال مُتوارثًا بين طلاب الجامعة إلى الآن، فكلّ دفعةٍ تتحدث للدفعة التي بعدها؛ بل المعنى الصحيح هو مجرّد تحطيم للدفعة التي تليها.. يجب علينا أن نؤثر؛ ليس سلبًا، وإنما إيجابًا، فالأشخاص يتأثرون بالكلامِ المسموع أكثر من أيّ حديثٍ آخر، ومن الظلم حقًا أن نحبط أحدًا بإعطائه كلماتٍ تجعله ييأس من كلّ شيءٍ في حياتهِ بينما نستطيعُ أن نعطيه كلماتٍ تجعله يفخر ويثق بنفسه.. نعم؛ نحنُ نستطيع ذلك، فقط علينا أن نقرر في أي اتجاهٍ نكون..

الله سبحانه وتعالى لم يقل في القرآن الكريم ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة – ٨٣] مِن دون سببٍ؛ بل لتأثير الكلمة على متلقّيها.. قد لا يشعر من يقولها بأيّ شيءٍ، ولكنّ من يتلقاها يعرف الأثر عليه، فكلّ كلمةٍ نقولها يجب أن نعرف معناها وتأثيرها على الآخرين، ويجب أن تكون كلماتنا جميلةً ولطيفةً مع الآخرين؛ لأنها قد تحبطه أو قد تحفزه وتشجعه.. قد نجامل أحدهم بكلماتٍ جميلةٍ وتحفيزيةٍ ونشجعه، ولكن لا ينبغي أن نكذب.. قد نتكلّم ونتحدث عن الآخرين، ولكن لا ينبغي أن ننافق.. كلماتنا يجب أن تكون موزونةً ولها تأثيرها، ولكن ليس سلبيًا؛ بل إيجابيًا، فحتى نصح الآخرين بالكلمة لا يجب أن يكون أمام مرأى ومسمع الآخرين، وإن أردت نصيحة أحدهم فخذه على انفرادٍ وقُل له ما تودّ قوله، ولكن إياك أن تنصحه أمام الآخرين، فهذا ليس

بأسلوبٍ ناصحٍ بل فاضح، والأمام الشافعي يقول (إذا نصحتني على انفرادٍ فقد نصحتني، وإذا نصحتني أمام الناس فقد فضحتني)، فالبعض -للأسف الشديد- تكون كلماتهم جارحةً لمن يتلقّونها، ومعَ هذا يكتمها إلى الحدّ الذي يجعله لم يعد يستطيع التحمّل، وهؤلاء ينطبق عليهم قول الرسول عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرًا أو ليصمت) [رواه البخاري ومسلم]، فالصمت لن يكون أسوأ من جرح أحدهم وفضحه أمام الآخرين إن هو اتخذ هذه الطريقة لنصحه..

وفي القرآن الكريم؛ يقول الله سبحانه وتعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم، ٢٤ – ٢٦].. فلنتأمل عظمة القرآن وكيف شبّه الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة، والكلمة السيئة كالشجرة الخبيثة.. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الكلمة الطيبة صدقة)، فالإنسان بطبعه كائنٌ يحبّ المدح بكلماتٍ جميلةٍ يحبها، والثناء، والتشجيع، والتحفيز، لا يهمّ ممّن بقدر ما أنه يحتاجها في كلّ الأوقات.. وفي الجانب الآخر؛ الكلمة السيئة قد تكون كطعنة على المتلقّي مِن قائلها، وقد لا يتأثر كثيرًا لو كانت من شخصٍ لا يعرفه بقدر ما يتأثر بها مِن شخصٍ يعرفه، فهنا اختلافٌ في التأثير، فلك أن تتخيل وأنت ذاهبٌ إلى عملك في الصباحِ الباكر استقبلك مديرك أو أحد زملائك في العمل بعد أن تأخّرتَ قليلًا بسبب المواصلات وقال لكَ أنكَ كسولٌ وغير مهتمٍ بعملك وسيتم خصم مبلغٍ من راتبك.. ماذا ستكون ردّة فعلك حينها؟! ستطأطئ رأسك لما سمعته، وسيتحوّل ذلك الكلام يومك إلى كآبةٍ وصباحك إلى ليل..

وهنا قصةٌ وعبرةٌ أخيرةٌ على تأثير الكلمة السلبية على الآخرين:

في يومٍ من الأيامِ شعر فلّاحٌ بالغضب الشديد على صديقه وأخذ يقذفه بأبشع الكلمات الجارحة المؤلمة، ولم يرد عليه صاحبه أو ينطق بكلمةٍ، بل ظلّ ينظر إليهِ في صمتٍ موجوعًا من أثر كلماته، فتركه الفلاح وانصرف إلى منزله، ولكن بعد مدّةٍ قصيرةٍ هدأت أعصابه وبدأ يشعر بالندم؛ لأنه أحزن صديقه، وأخذ يعاتب نفسه قائلًا: "كيف خرجت هذه الكلمات مِن فمي؟! سوف أذهب الآن على الفور وأعتذر من صديقي".. وبالفعل؛ أسرع الفلاح إلى منزل صديقه، وفي خجلٍ وندمٍ شديدين قال له: "أنا أعتذر منك يا صديقي.. أرجوك سامحني

على الكلمات الجارحة التي قلتها لك".. تقبّل الصديق اعتذاره، ولكن لم يشعر الفلاح بارتياحٍ أيضًا، وعاد إلى بيته وهو لا يزال يشعر بالندم، وأخذ يعاتب نفسه ويلومها مراتٍ ومراتٍ على تلك الكلمات التي أحزنت صديقه.. لم يسترح قلبه، فقرر الفلاح أن يلتقي بشيخ القرية ويعترف له عمّا بدر منه ليساعده في هذه المشكلة التي تؤلمه وتؤرق نومه.. قال الفلاح للشيخ: "أرجوك ساعدني! أريد أن تستريح نفسي ويهدأ قلبي وبالي، فأنا ألوم نفسي بشدّةٍ على هذه الكلمات التي بدرت مني في حقّ صديقي"، فقال له الشيخ: "إن أردت أن تستريح وتهدأ؛ فقم بملء جعبتك بريشِ الطيور، واعبر على جميع بيوت القريةِ، وَضَع أمام كلّ منزلٍ ريشةً واحدةً".. تعجّب الفلاح من هذه الفكرة، ولكنّه قرر تنفيذها بأيّ حالٍ من الأحوال، وبالفعل؛ قام بتنفيذ ما طلبه الشيخ، ثمّ عاد إليه من جديدٍ، فقال له الشيخ: "الآن اذهب واجمع الريش مِن أمام جميع البيوت"، عاد الفلاح ليجمع الريش، ولكنه وجد أن الرياح قد حملت الريش وألقت به بعيدًا ولم يستطع العثور سوى على عددٍ قليلٍ مِن الريش أمام الأبواب، فعاد حزينًا إلى الشيخ، في تلك اللحظة اقترب الشيخ منه وقال له: "كلّ كلمةٍ تنطق بها أشبه بريشةٍ تضعها أمام بيتِ أخيك، ما أسهل أن تقوم بذلك! ولكنّ الصعب فعلًا أن تردّ الكلمات إلى فمك من جديدٍ بعد أن بدرت مِنك مثلما يكون من الصعب عليك أن تقوم بجمع الريش؛ إذن عليك أن تجمع ريش الطيور أو تمسك لسانك".

نستنتج من هذه القصة أنّ الإنسان لا يخطئ على الآخرين ويتفوه عليهم بكلماتٍ قاسية ومن ثم يبادر إلى طلب المسامحة منهم، وإن سامح الإنسان أخاه الإنسان، ولكن تأثير الكلمة يبقى، ولا يمكن أن يُمحى بسهولة، فليس من المنطق أن تقذفني بكلماتٍ وتتهمني بأشياء ليست موجودةً ومن ثمّ تبادر إلى طلب المسامحة، فالبعض -للأسف الشديد- يقوم بهذه الأعمال عن قصدٍ ظنًا منه أن الآخرين سيسامحونه.. صحيح أنّ الأغلب قلوبهم رقيقة ورحيمة تسامح، ولكنّ الأثر يبقى، وأقصد هنا أثر الكلمات التي قيلت، وإن سامح اللسان ولكنّ القلب لن يسامح والذاكرة لن تنسى..

وفي النهاية لزامًا عليّ أن أذكر قصّةً قصيرةً عن تأثير الكلمة الطيبة على متلقّيها:

يُقال أنّ هناك رجلًا يعمل في إحدى شركات تجميد الأسماك في إحدى البلدان، وبينما كان ينهي عمله في أحد الأيام أخذ يشرف على ثلاجات الأسماك، وبينما كان يتفقد إحدى الثلاجات أُغلق عليه الباب من الخارج، وكان العمّال قد انصرفوا بالفعل.. أخذ الرجل يصرخ هنا وهناك لعلّ أحد الأشخاص يسمعه وينقذه من

الموت المحقق، ولكن لا حياة لمن تنادي، فجميع الموظفين قد عادوا إلى بيوتهم بعد انتهاء دوامهم.. تأكّد حينها أن الموت قادمٌ لا محالة مِنه، وبدأ بالانتظار له، ولكن وسط يأسه من الحياة حصل ما كان غير متوقعٍ.. دخل عليه حارس المصنع وأنقذه من الموت بعد أن كان قريبًا منه.. وحين سُئِلَ الحارس الذي أنقذه "كيف عرفتَ أنّ العامل ما زال موجودًا في الداخل؟"، وهنا كانت المفاجأة، قال الحارس: "يعمل في المصنع آلاف من العمال يدخلون ويخرجون يوميًا، ولكن ذلك العامل هو الوحيد الذي يسألني عن حالي بشكلٍ يوميٍّ"، قد يبدو الأمر طبيعيًا إلى هُنا، ولكن الكلام المهم هو ما قاله الحارس فيما بعد؛ قال: "وعندما انتهى الدوام لم أسمع تلك الكلمة، وكان العامل قد أتى صباحًا؛ مما يعني أنه ما يزال في الداخل، فعلمتُ أنه في مأزقٍ ما ويريد المساعدة، وأخذت أبحث عنهُ في كلّ أرجاء المصنع حتى وجدته عالقًا داخل الثلاجة فأخرجته منها".

أرأيتم تأثير الكلمة الطيبة على الآخرين؟! كلمة طيبة أنقذته من موتٍ محقق.. آلاف العمال لم يتأثر بهم، ولم يشعر بهم؛ لأنهم لم يشعروه بأهميته ولا بوجوده ولا بكونه إنسانًا، بينما عاملٌ واحدٌ فعل ذلك؛ وكان يسأل عنه وعن أحواله، وكانت تلك الأسئلة نجاته من الموت، فالكلمات لا تُقاس بكثرتها بل بتأثيرها، فمن المهم ألّا يندم الإنسان على صدقِ نواياه تجاه الآخرين، فيومٌ من الأيام ستأتي النتائج وإن تأخرت..

****

الأشياء
ليست دائمًا كما نراها

الأشياء ليست دائمًا كما نراها، فما تراه أنتَ حقيقةً قد يراه شخصٌ آخر تزييفًا، بينما شخصٌ آخر قد يراهُ خيالًا، وآخر كذبًا.. أحدهم قد يكون على حقٍّ، ولذلك لا تحكم على الأشياء بناءً على ما تريد أنتَ؛ بل بناءً على ما تكون في الحقيقة.. لا تعتقد أنّ كلّ ما تراه حقيقةً قد يكون غير ذلك، ولكنك لا تريد أن تراه على حقيقته؛ بل بناءً على ما تريد.. لا تنظر للأشياء بناءً على ما تريد؛ بل بناءً على حقيقتها الموجودة، حتى وإن كُنتَ غير مقتنعٍ بها.. تذكّر أنّ كلّ ما تراهُ أنتَ سواء أكان إيجابيًا أو سلبيًا قد يراه شخصٌ آخر من زاويةٍ أخرى، فكلّ شخصٍ يرى الأشياء بناءً على ما يريد، وليس بناءً على ما تكون في الواقع.. فأحدهم قد يرى الرقم تسعة بينما شخصٌ آخر قد يرى الرقم ستةً من جانبٍ آخر، كلاهما صحيحانِ، ولو تبادلا الأدوارَ وذهبَ كلٌّ منهما مكانَ الآخر لاتّضح لهما أنهما على حقٍّ ولم يجهدا نفسيهما في جدالٍ عقيم.. لا تصرّ على رأيك، وتذكّر أنّ الآراء تتبدل وتتغير وتظلّ الحقائق.. لا تصدر الأحكام قبل أن تعرف الأسباب الكاملة.. ما تراه أنت مخطئًا قد يراه شخصٌ آخر صحيحًا.. لا تعتقد أنّ ما تراه أنت سيوافق عليه الجميع، فكلّ شخصٍ له نظرة خاصة به، ولن تجد أمرًا اتفق عليه الجميع إلا ما ندر وفي أحيانٍ قليلة، ورغم ذلكَ ستجد البعض منهم له رأيٌ مختلفٌ عَن الآخرين، فكلّ شخصٍ له تفكيرٌ غير الآخر.. أحدهم قد يرى لوحةً جميلةً جدًا، بينما شخصٌ آخر قد لا تعجبه ولا تثير

اهتمامه، فليس دائمًا ما يعجبكَ أنت سيعجب الآخر، والعكس صحيح.. كلّ الآراء تعود إلى أصحابها، وكلّ شخصٍ تختلف وجهة نظره عن الآخر، فالعواطف في الغالب هي ما تحكمنا..

سأضرب لكم مثالًا: في مباريات كرة القدم، هناك فريقانِ في الملعب، وهناك حكمٌ، وهناك أيضًا جماهيرٌ لكلا الفريقين.. عندما يتم احتساب خطأ على فريقٍ ما يغضب جماهيره ويصبّون جام غضبهم ولعناتهم على الحكم، ويتّهمونه بالتحيّز للطرف المقابل، ولكنهم لم يعرفوا أنّ قرار الحكم كان الصحيح.. والعكس أيضًا عندما يحتسب خطأ يفرح أنصار الفريق الآخر الذي يكون الخطأ له، فربما تكون فرصةً للتهديف، ولكن الحكم لم يرَه بهذا الشكل، بل رأى بأنه خطأ وعليه محاسبة الطرف الآخر.. الأشياء ليست كما نراها، وحتى لو اعتقدنا أنها صحيحة، فقد يأتي شخصٌ آخر ويراها عكس ذلك..

لا تكُن أنانيًا بنظرتك للأمور، فكلّ شيءٍ تراه له جانبين؛ سلبيّ وإيجابي.. حاول أن ترى الجانبين، وليس جانبًا واحدًا فقط، ولا تنظر من الجانب الذي تريده أنتَ، فقد تظلم الجانب الآخر.. كُن مُنصفًا في نظرتك للأشياء، وحاول أن ترى، ولكن ليس من وجهة نظرك فقط، ولكن من وجهة نظر الآخرين أيضًا، فقد تكون نظرتك مخطئةً، ولسنا دائمًا على صوابٍ.. ومن الخطأ أن تعتقد ذلك.. لكلّ حدثٍ يحدث هُناك أشياء لا نراها؛ تمامًا كما يحدث في كواليس المسلسلات، فقد تشاهد مسلسلًا من ثلاثين حلقةً أو أكثر بجودةٍ عاليةٍ، ولكنك لا تعرف ماذا حدث، وكيف خرج هذا العمل بهذا المستوى، وما هي الصعاب التي واجهت من كان مسؤولًا عن العمل، بالإضافة إلى فريق العمل كممثلين ومصورين.. الأمور ليست دائمًا كما نتصوّر فهناك أشياء لا نراها دائمًا؛ ليس لأننا لا نريد أن نراها، بل لأنها تختبئ خلف حدثٍ آخر علينا اكتشافه والحكم عليها من خلال الجانبين وليس من جانبٍ واحد..

لا شيء يحدث من باب المصادفة، فكلّ حدثٍ يحدث ومشكلةٍ تظهر هُناك أسباب قادتها للظهور.. لا تنظر للمشكلة من رأسها، ولكن إلى جذورها، إلى الأشياء التي دفعتها للظهور، فالطالب الذي يرسب في المدرسة أو الجامعة هُناك أسباب دفعته للرسوب، لا تنظر مِن جانبٍ واحدٍ؛ أنه فاشل، ولكن انظر إلى الجوانب الأخرى التي دفعته للرسوب؛ كمدرسٍ فاشلٍ لم يستطِع توصيل المعلومة كما هي، أو أنّ الطالب لا يحبّ المجال الذي درس فيه وأسرته أجبرته على ذلك.. المشكلة ليست دائمًا كما نراها؛ بل لها جوانب كثيرة، فيجب ألّا

تحكم من وجهة نظرك فقط؛ بل استمع للآخرين واعرف وجهة نظرهم وربما تقتنع بعدما استمعت لهم أنّ وجهة نظرك كانت خاطئة؛ لأنك لم تنظر للأمور كما هيَ، بل رأيتها كما تريدُ أنت..

أقلّهم تعبيرًا أكثرهم حُبًّا.. ليس مَن يحبك يحبّك كما تعتقد، ولكن ربما يريدُ منكَ شيئًا آخر، فإن حصل عليه ذهب بعيدًا، فالأشياء ليست دائمًا كما تبدو عليه.. لا تعمم ما يعيشه الآخرونَ عليكَ، وتخبر نفسك أنّ التجارب التي خاضوها فاشلةً واتخذتَ قرارًا بعدم الخوض فيها.. ربما ما فشلَ فيه الآخرونَ ستنجحُ فيهِ أنت، فقط كُن ذا عزيمةٍ كبيرةٍ وإرادةٍ قويّةٍ ولا تقارن نفسك بالآخرين مهما بدت الأمور، وتذكّر أنّ الأمورَ ليست دائمًا كما تبدو عليه، فأحدهم قد يفشل وآخر ينجح.. ليسَ كلّ من يضحك سعيدًا، وليس كلّ من يبكي حزينًا، فربما تكون دموعَ فرحٍ.. والأمور لا تبدو غالبًا على ما هي عليه، لذا لا تحكم على الأشياء بناءً على نظرتكَ فقط؛ بل تريّث قليلًا، فربما سترى الحقيقة.. لا تحكم على الأشخاص بناءً على ما سمعت عنهم؛ فربما من أخبرك عنهم لا يريد لهم الخير، فنقل لك كلامًا لم يقولوه وأشياء ليست موجودةً فيهم.. تأكد من كلّ ما تسمعه، اذهب إليهم، واستمع لهم، وأخبر نفسك "هل ما سمعته عنهم صحيح؟!"، ولا تحكم عليهم من مظهرهم الخارجيّ، وحاول أن تدخل إلى قلوبهم، ففي القلوب أشياء جميلة وصادقة لا يستطيع إخراجها إلّا من يشبهها، فمن تسمع عنه كلامًا سيئًا قد يكون جيدًا إذا صادفته، فالكثير من الناس لا يتكلمون عن الآخرين بالخيرِ؛ بل بالسوء، ومن تراه جيدًا قد يكون سيئًا بنظر أحدٍ ما.. لا تعتقد أن كلّ من يضحك لكَ يحاول إسعادك؛ فربما هناك شيءٌ آخر وراء ابتسامته، وكما وصفها الشاعر الكبير المتنبي بقوله:

إذا رأيتَ نيوبَ الليثِ بارزةً فلا تظنَّنَ أنّ الليثَ يَبتَسِمُ

فلا تظنّ أنّ من ابتسمَ لكَ يحبّك، فربما هناك غرضٌ وراء هذه الابتسامة، وهناك أسبابٌ وليس سببًا واحدًا؛ فقط عليك أن تكتشفها، فالأشياء ليست دائمًا كما تبدو عليه في الواقع..

ملكة سبأ "بلقيس" استدعاها النبي سليمان عليه السلام إلى عرشه.. وعندما أتت؛ بمجرّد وصولها إلى عرشه رفعت الغطاء عن ساقيها ظنًا منها أنها بركة ماءٍ لتستعدّ للسير فيها.. ولقد خلّد هذه الواقعة القرآن الكريم، وأوضح أنها لم تكن بركةً؛ بل كان صرحًا ممردًا من قوارير، وكان مِن عمل الجن مصنوعًا من الزجاج يعكس الصورة كما يفعل الماء.. وهنا يتّضح جليًا أنّ الأشياء ليست كما تبدو عليه في الواقع، فنظرتنا للأشياء قد تختلف عما يراها الآخرون، وحكمنا على الأشياء قد يكون خاطئًا بينما الآخرون قد يكونون على صواب.. لا تثق بأيِّ

شخصٍ ثقةً عمياء، ولا تبادله أسرارك وأحلامك، واجعلها لكَ وحدك.. اجعله صديقكَ، ولكن إياك أن تعطيَه كلّ ما لديك.. احتفظ بما لديك لنفسك، فمن هو صديقك اليوم قد يكون عدوك في الغد، وربما قد يستخدم ما كان بينكما ضدّك، فاحذر، وتذكّر أنّ الأشياء ليست كما تبدو عليه دائمًا..

أكبر مِن ذلك السماء؛ فهي ليست زرقاء كما نعتقد أو كما تبدو عليه في النهار، بل إنّ لونها أسود، والأسود يعني انعدام اللون، فألوان السماء هي انعكاسٌ لضوء الشمس على طبقات الغلاف الجوي للأرض.. حرب طروادة أشهر الحروب في التاريخ والتي دائمًا ما سمعنا عنها وقرأنا عنها، ولكن الأغلب -إن لم يكن الجميع- لا يعرفون ما هو الهدف الحقيقي منها ولماذا اجتمعت الجيوش ولماذا حوصرت المدينة لمدة عشر سنين؟! ليست قصة الحبّ التي كانت بين باريس وهيلين سببًا للحرب كما سمعنا واستقرّ في أذهاننا، ولكن كانت الحرب من أجل أشياء أخرى.. صحيحٌ أنها كانت سببًا من أسباب الحرب؛ بل وربما كانت السبب الرئيسي؛ أقصد هيلين التي وُصِفَت بأنها أجمل امرأة عاشت في هذه الأرض؛ بل وقيل أنها المرأة التي تحرّكت من أجلها آلاف السفن، لكن في الحقيقة لم تتجهز الجيوش وتتأهب السفن من أجلها؛ بل من أجل إسقاط المدينة والسيطرة عليها، وهُنا نكرر قول أنّ الأشياء ليست دائمًا كما تبدو عليه.. وفي تفاصيل القصة أنّ هيلين كانت متزوجةً من شقيق ملك إسبارطة، وعشقت وهي متزوجة به ابن ملك طروادة، ولم تقف عند هذا الحدّ؛ بل هربت معه إلى مملكة أبيه.. جمع الإسبارطيون جيشًا كبيرًا وركبوا البحر إلى طروادة، وحاصروها من كلّ جانبٍ، فلم يعد يخرج أو يدخل شيءٌ إليها، وفي خضم الحصار الخانق الذي فرضه عليهم الإسبارطيون لعلّهم يتجنبوا الحرب التي بدأت تدور رحاها في الأفق، اقترح عشيق هيلين ابن ملك طروادة التي هربت معه هيلين أن يتبارز مع زوجها، فإن هزمه وقتله يكون قد أخذ بثأره منه، وإن هزم زوجها يعود الإسبارطيون من حيث جاؤوا.. لاقت الفكرة استحسان زوج هيلين؛ لأنه رأى خصمه ضعيفَ البنية ولا يقدر على المبارزة وليس له في الحرب أو القتال شيء.. ورغم موافقة الجميع على الرأي، لكنّ القول الفصل جاء من صاحب القرار الأخير وهو ملك إسبارطة الذي قال لأخيه: "لم آتي إلى هُنا من أجل زوجتك الشمطاء، لقد جئتُ من أجل طروادة"، فالهدف ليست استعادة هيلين؛ بل أخذ المدينة من أيديهم والسيطرة عليها..

وسأذكر لكم قصّةً ذُكِرَت في القرآن الكريم تؤيد ما تحدثتُ به، ولا أعتقدُ أنّ أحدًا لم يقرأها، هي في سورة الكهف، وهذه القصة بين موسى عليه السلام وبين الخضر.. بدايتها عندما سُئِل موسى عن أعلم أهل

الأرض، فقال: "أنا" يقصد نفسه، فأوحى الله إليه بأنه ليس بأعلم أهل الأرض، فهناك مَن هُوَ أعلم منه، فطلب موسى من الله أن يدلّه على هذا الرجل الذي هو أعلم أهل الأرض؛ بل أعلم مِن موسى عليه السلام، وهو نبيٌّ مُرسَل.. بدأ موسى بالبحث عن هذا الرجل؛ وهو الخضر، وعندما التقى به سأله موسى عليه السلام: "أنت الخضر؟"، فأجابه: "نعم، فمن أنت؟" أجابه: "أنا موسى، جئتُ أتعلّم منكَ"، وبدأ بينهما الحوار المذكور في سورة الكهف، فاصطحب الخضر موسى عليه السلام من أجل تعليمه، واشترط الخضر على موسى ألّا يسأله أيّ سؤالٍ حتى يتحدث به هو، فوافق موسى على ذلك، فكانت أولى المحطات السفينة.. مرّ قومٌ في سفينةٍ لهم فحملوا الخضر ومعه موسى عليه السلام، وفي وسط البحر ثقب الخضر السفينة عمدًا، فقال له موسى عليه السلام: "أخرقتها لتغرق أهلها وهم قومٌ حملونا معهم؟!"، فقال له الخضر: "ألم أطلب منكَ ألا تسألني عن شيءٍ حتى أحدثك عنه؟!"، قال له موسى: "ربما نسيت، وأرجو منك أن تسامحني على ما بدر منّي"، فاستمرا في المشي فلقيا أطفالًا في الطريق، فأخذ الخضر طفلًا وقتله، فقال له موسى: "أقتلت نفسًا بدونِ ذنبٍ؟! لقد أثمت على ما قمت به"، قال له الخضر: "ألم أطلب منك ألا تسألني عن شيءٍ حتى أحدثك عنه؟!"، قال له موسى: "هذه آخر مرّةٍ أسالك وإن تكررت فلا تصطحبني معك"، فاستمرا في المشي ووصلا إلى قريةٍ أهلها بُخلاء، طرقوا كلّ الأبواب الموجودة في القرية من أجل الماء والطعام ولكن لا أحد أعطاهم، فكان هناك جدارٌ على وشك السقوط، فذهب الخضر إلى الجدار وشيّده ولم يأخذ عليه مقابلًا، فقال له موسى: "لو أخذت أجر ما عملته لكنّا أخذنا طعامًا وشرابًا"، فقال له الخضر: "هذا فراق بيني وبينك، ولكنني سأقول لك الأشياء التي رأيتها منّي ولم تستطِع أن تصبر حتى أحدثك بها"، فبدأ الخضر بسرد الأحداث الثلاثة التي مروا بها لموسى عليه السلام..

الحدث الأول: السفينة

كانت السفينة التي خرقتها لأناسٍ مساكين يعملون في البحر، وكان وراءهم ملكٌ غاصب يأخذ كلّ السفن غصبًا عن أصحابها.. ولو رآها الملك صالحةً وسليمةً سيأخذها منهم.. والملك لا يأخذ السفن التي يوجد بها عيوب، ففعلتُ ما فعلته وذهبت حتى لا يأخذ الملك السفينة، فعندما أتى الملك ليراها وجدها لم تعد تنفع فتركها لهم وذهب..

الحدث الثاني: الطفل

الطفل له أبوان مؤمنان، وقد علم الله ما ستؤول إليه حياة هذا الطفل عندما يكبر، فعند كبره سيكون كافرًا وشقيًا؛ بل ويفتن أبويه ويخرجهما من دينهما، ففعلتُ ما فعلتُ رحمةً للطفل ولأبويه.

الحدث الثالث: الجدار

الجدار يملكه غلامان يتيمان، والدهما صالح، ويوجد تحت الجدار كنزٌ، ففعلت ما فعلتُ من أجل الكنز الموجود تحت الجدار، فلو سقط الجدار لجاء أهل المدينة وأخذوا الكنز الموجود.. وما قمتُ به كان حفاظًا على الكنز من أن يأخذه أهل المدينة، وعندما يكبر الغلامان ويكونان قادرين على استخراج الكنز سيفعلون ذلك فالكنز لهما..

الحكمة مِن هذا أنّ كلّ حدثٍ قام به الخضر بنظر موسى كان شرًّا قبل أن يُفصِحَ عنه الخضر ويتضح أن وراء كلّ حدثٍ شرّ بنظر موسى كان الهدف منهُ خيرًا..

****

انتهى

الفهرس

الإهــــداء ٣
تساؤلات قبل البداية؛ لنجيب عنها في النهاية ٧
المقدمة ٩
البــدايــــة ١١
لماذا هُم وليسَ نحن؟ الأوطان لا تُبنى بدونِ الإنسان ١٢
الحرّية هَل كُل ما نستطيع القيام به نفعله بداعي الحرية؟ ٢٠
القانون والإنسان من يتحكم بالآخر؟! ٢٥
الخير والشر من أين يأتيان؟ ٣٣
اختلاف النفس البشرية أسرار وغموض لا تفهمه ٣٩
نصائح لمن يقرأ الآن.. لكَ أنت! ٤١
قُل شكرًا لكَ أولًا، ثمّ للآخرين ٤٢
المواقف تجاربنا في الحياة ٤٦
القناعة كنزٌ لا يفنى ٥٠
النجاح هل هو فشل الآخرين؟ ٥٣
التميز على الآخرين بالعمل قبل القول ٥٧
التكنولوجيا لا تفسد المجتمعات؛ بل المجتمع من يسيء استخدامها ٦١
لا تحزن لا تحزن ما دمت لم تظلم إنسانًا ولم تقطع طريقًا ولم تقتل بريئًا ٦٥
رسالة إلى صديق يا صديقي لا تكُن عقيمًا! ليس ألّا تنجب؛ فهذه أسهل مهمّة يؤديها البشر، ولكن ألّا تفكر ٧١
المرأة بين أنوثتها ومنافسة الرجل ٧٦
الإهمال وآثاره على النفس ٨١
الخوف يقتل الإبداع ٨٤
افخر بنفسك دائمًا وأبدًا ٨٨

بادر بالقول والفعل ٩٦
الحياة كيف نعيشها؟ ١٠٠
التغيير يبدأ من النفس أولًا ١٠٤
السعادة هل الجميع سعداء؟! ١٠٧
الابتسامة متى نبتسم؟ ولماذا؟ ١١٠
العقل بين التفكير والتعطيل ١١٥
الإعلام التزييف والتدليس بأبهى صورة ١٢١
بناء شخصية الطفل ١٢٦
العلاقات بكثرتها؟ أم بمدى تأثيرها؟ ١٣١
آراؤنا ليست قُرآنًا ١٣٤
حق الآباء على أبنائهم ١٤٠
الإنسان بين حاجاته ورغباته.. أيهما أولى؟ ١٤٣
المعلم بين التربية والتعليم ١٤٧
الأمل لا يظلّ الطريق مَن تمسّك به ١٥٤
الكلمة تأثيرها ومفعولها على الآخرين ١٥٨
الأشياء ليست دائمًا كما نراها ١٦٦
الفهرس ١٧٢

****

هل للكلمة تأثير في حياتنا؟!
ما هو الأمل؟ وكيف نتمسّك به؟ وماذا ستكون النتائج عند فقدانه؟
هل كلّ ما نراه حقيقة؟ كيف نقيّم المواقف والأحداث لنحصل على النتائج الصحيحة؟
أيهما أولى؛ التعليم؟ أم التربية؟ أم الاثنان معًا؟!
لماذا نشيد بالآخرين ونترك أنفسنا؟ هل لا نستطيع؟ أم أنه ليست لدينا القدرة؟ ما الذي يمنع أن يشيد بنا الآخرون ويتفاخرون بنا؟
هل الإنسان يتحكّم بالقانون؟ أم القانون يتحكم بالإنسان؟ من يتحكم بالآخر؟!
هل الخوف يقتل الإبداع؟ أم أن له مبرراته؟
كيف نغيّر؟ ومتى نتغيّر؟
أيهما أولى للإنسان؛ حاجياته؟ أم رغباته؟
وهل من السهل الوصول إلى رغبات الإنسان دون جهدٍ يبذل منه؟
لماذا نكرر الأخطاء إذا كانت الحياة تجارب ومواقف؟ ولماذا لا نتعلم من الآخرين؟ بل لماذا لا نتعلّم من أنفسنا أولًا لنتجنب الأخطاء في المستقبل؟
هل كلّ امرأة أنثى؟ أم العكس؟
لماذا يخاف الإنسان من الخوض في تجارب جديدة؟ وهل ذلك يمنعه من الفشل عند بداية تجربة جديدة؟
هل للتكنولوجيا فوائد في حياتنا؟ ولماذا نتّهمها بإفساد المجتمعات؟ من المتّهم بذلك؟ المستخدم للتكنولوجيا؟ أم التكنولوجيا نفسها؟
متى يتم تشجيع الطفل؟ ومتى يجب تحذيره؟
ما الذي يجب على الآباء فعله لتربية أبنائهم تربية صحيحة؟
لماذا يسعى الجميع للنجاح؟ وهل النجاح مبنيٌّ على فشل الآخرين؟ أم مساعدتهم؟